

العِرفَاتُ
الإِسْلَامِيَّةُ

تأليف: آية الله
الميرزا حسين بن أحمد خراساني

ترجمة

كلمات السيدة

طاب أحوالها في دار أحياء التراث العربيه



العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماعة آية الله الشيخ حسين انصاريان

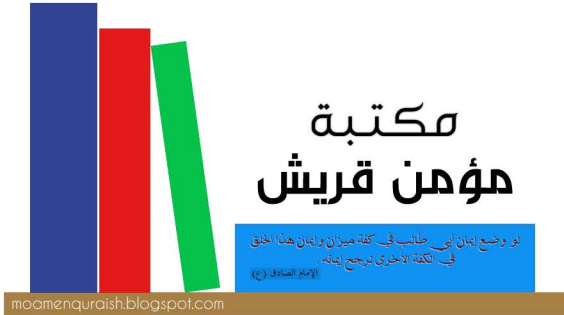
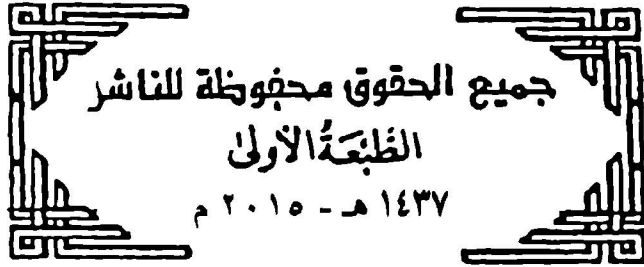
ترجمة

كمال السيد

الجزء الخامس

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI دار إحياء التراث العربي
Publishing & Distributing للطباعة والنشر والتوزيع

المنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O:11/7957 - Postal
Code:-11/072250 **Tel:009611455559** - 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(١٣)

في آداب الشروع بالصلاة

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إِذَا اسْتَقْبَلْتَ الْقِبْلَةَ فَانْسَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَالْخَلْقَ وَمَاهُمْ فِيهِ (وَفَرِّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى) ^١ وَعَايِنُ بِسَرِّكَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَأَذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُنَالِكَ تَبْلُؤُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ^٢ وَقِفْ عَلَى قَدَمِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَإِذَا كَبُرَتْ فَاسْتَصْغِرْ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ دُونَ كِبَرِيَّائِهِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَ يُكَبِّرُ وَفِي قَلْبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِهِ فَقَالَ: يَا كَاذِبُ أَتَخْدَعُنِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَحْرَمَنِكَ حَلَاوَةَ ذِكْرِي وَلَأَحْجُبَنَّكَ عَنْ قُرْبِي وَالْمُسَارَّةَ بِمُنَاجَاتِي.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى خِدْمَتِكَ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِكَ وَدُعَائِكَ وَإِنَّمَا دَعَاكَ بِفَضْلِهِ لِيُرْحِمَكَ وَيَبْعُدَكَ عَنْ عَقُوبَتِهِ وَيَنْشُرَ عَلَيْكَ مِنْ بَرَكَاتِ حَنَانِيَّتِهِ وَيَهْدِيكَ إِلَى سَبِيلِ رِضَاهُ وَيَفْتَحَ لَكَ بَابَ مَغْفِرَتِهِ.

فَلَوْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى ضِعْفِ مَا خَلَقَ مِنَ الْعَوَالِمِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى سَرْمَدِ الْأَبَدِ لَكَانَ عِنْدَهُ سِوَاءً كَفَرُوا بِهِ بِأَجْمَعِهِمْ أَوْ وَحَدُوهُ.

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْخَلْقِ إِلَّا إِظْهَارُ الْكِرَمِ وَالْقُدْرَةِ فَاجْعَلِ الْحَيَاءَ رِذَاءً وَالْعَجْزَ إِزَارًا وَأَدْخِلْ تَحْتَ سَرِيرِ سُلْطَانِ اللَّهِ تَغْنَمَ فَوَائِدِ رَبُّوبِيَّتِهِ مُسْتَعِينًا بِهِ وَمُسْتَعِينًا إِلَيْهِ.

١- هذا الجزء غير موجود في نسخة عبدالرزاق اللاهيجي.

«إِذَا اسْتَقْبَلْتَ الْقِبْلَةَ فَأَنْسَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَالْخَلْقَ وَمَاهُمْ فِيهِ وَفَرَّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ شَغَلَكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَايِنُ بِسَرِّكَ عَظَمَةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾^١ وَقَفْ عَلَى قَدَمِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَإِذَا كَثُرَتْ فَاسْتَصْغِرْ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ دُونَ كِبَرِيَّاتِهِ»

في هذا المقطع الذي يشتمل على جمل نورانية ثمة نقاط هامة نذكرها:

١ - القبلة.

٢ - حالة القلب.

٣ - الخوف والرجاء.

٤ - حقيقة تكبيرة الاحرام.

وقبل أن نبدأ الحديث في شرح وتوضيح هذه الموضوعات من الضروري الإشارة الى عظمة الصلاة حيث تنضوي هذه النقاط الأربعة في جوهرها وغيرها من الحقائق لكي ندرك أهمية وقيمة الصلاة والمصلّي ومن ثم نتطرق الى شرح أجزائها:

عظمة الصلاة:

الصلاة أقوى آصرة بين الله وعباده ويحسن القول بين العباد وربهم والويل كل الويل لمن يفتقد هذه الآصرة الالهية فهو يعيش بعيداً عن أنوار الصلاة في حياة مظلمة.

الصلاة حقيقة كبرى حيث الله الرؤوف يريد من الانسان الحب والمودة فهي أكثر الأعمال الانسانية القأ وهي النور الذي يضيء في ليل الحياة.

الصلاة جبل يتصل بين الوجود الانساني وبين مصدر الوجود ومنبع الفيض ولا يوجد ما يصل الى مستوى هذه الآصرة بين الانسان وبين المطلق.

الصلاة ملاذ الانسان الذي لا ملاذ له، والروضة الغناء للأرواح العاشقة والمصباح الذي يتوهج في منتصف ليل المشتاقين وانطلاق القلوب الهائمة وسلم السالكين الى مدارج الكمال.

الصلاة أفضل العبادات والمرآة التي تنعكس فيها جميع الحقائق وينبوع البركات ومفتاح الحل لجميع المشكلات والنعيم الذي تستحم فيه القلوب من خطرات الظنون والنور الذي يضيء طريق العارفين والمنهاج الذي على هداه يسير المخلصون.

الصلاة هي التي تبعث الروح وتمنح الحياة الجمال وتضيء الطريق الى الكمال وتاج السالكين وسرّ العارفين ورأسمال المساكين.

الصلاة دواء من كلّ داء والشعلة التي تتوقّد في نفوس الأولياء والضوء الذي ينير الطريق للحائرين وأمل الآملين وفرقد المستيقظين في الأسحار وطوق النجاة للغارقين في هموم الحياة.

الصلاة السَّلم الذي يرتقيه العبد لبلوغ مقام القرب من الله عزوجل والوسيلة التي ينزل بها الفيض والصلاة اكسير الحياة والسبب في النجاة بها يثرى الفقراء ومن دونها يبتس الاثرياء.

الصلاة نافذة مفتوحة على الجنة الخضراء، والمجنّ الذي يحمي الانسان من الوقوع في هاوية الجحيم الحياة الانسانية بلا صلاة يعني أرضاً بلا شمس ومنزلاً غارقاً في الظلمات والصلاة نشيد المؤمنين وكلمات العارفين الضمان على استمرار انسانية الانسان.

الصلاة حقيقة العبودية لله حيث تكمن في أسرارها الحرية الحقيقية.

الصلاة شمس متوهجة تغمر الحياة الانسانية بالدف والنور والأمل.

الصلاة شواطئ حاملة آمنة في بحر الحياة، وقارب يشق أمواج البحر وظلال وارفة في الرمضاء، والمنزل المفعم بالسكينة يلوذ اليه الانسان من صحب الحياة. الصلاة عين الهداية ولبّ الولاية والصلاة نهر يجري تتدافع مياهه يغسل القلوب من الأدران وتسخم فيه الأرواح ممّا يعلق بها من الذنوب والعصيان فاذا هي بيضاء كما هبطت من العلياء.

هذه سورة الحمد آيات تتردّد في نشيد الصلاة سورة الحمد التي تحكي قصة الوجود لو تأمل الانسان في كلماتها وسبر أنوار معانيها واكتشف ما فيها من الحقائق لادرك مجد الصلاة ودورها في الحياة.

انظر الى ظهيرة يوم عاشوراء والى تلك الملحمة التي خلّدتها السماء الى سيّد الشهداء كيف يؤدي الصلاة والسهام كالمطر لا يعبأ بالاعداء وأمواج الخطر؟! وتأمل كلماته عند ما قال أبو ثمامة الصائدي صاحبه بعد أن نظر الى الشمس وقد حان وقت الصلاة قال له سبط النبي ﷺ:

ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين.

الصلاة في مرآة التاريخ:

سيدنا آدم عليه السلام والصلاة:

جاء في «تفسير على بن ابراهيم قمي»:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾!

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ آدم عليه السلام بقي على الصفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة وعلى خروجه من جوار الله عزوجل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ قال: يا جبرئيل مالي لا أبكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني الى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فأنزل الله عليه قبةً من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكة فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم واخرج من الجنة أول يوم من ذي القعدة، فلما كان يوم الثامن من ذي الحجة أخرج جبرئيل عليه السلام الى منى فبات بها، فلما أصبح أخرج جبرئيل عليه السلام الى عرفات وقد كان علمه حين أخرج من مكة الاحرام وأمره بالتلبية، فلما زالت الشمس يوم العرفة قطع التلبية وأمره أن يغتسل، فلما صلى العصر وقفه بعرفات وعلمه الكلمات التي تلقى بها ربه وهو «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم،

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي أنك أنت التواب الرحيم.

فبقي إلى أن غابت الشمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرع ويبكي إلى الله، فلما غابت الشمس رده إلى المشعر فبات بها، فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله بكلمات وتاب عليه، ثم أفضى إلى منى وأمره جبرئيل عليه السلام أن يحلق الشعر الذي عليه فحلقه ثم رده إلى مكة فأتى به عند الجمرة الأولى فعرض إبليس له عندها فقال: يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات وأن يكبر مع كل حصاة تكبيرة ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبر مع كل حصاة تكبيرة، ثم مضى به فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة وأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبر مع كل حصاة تكبيرة فذهب إبليس وقال له جبرئيل عليه السلام: انك لن تراه بعد هذا أبداً فانطلق إلى البيت الحرام وأمره أن يطوف به سبع مرات ففعل، فقال له: إن الله قد قبل توبتك وحلت لك زوجتك، فقال: فلما قضى آدم حجّه لقيته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجك.

ومن هذه الرواية التي وردت في بعض كتب الحديث ان شريعة آدم عليه السلام تتضمن القيام بأداء الصلوات غير انه لا يعلم كيفية الصلاة وشروطها وعدد ركعاتها وأوقاتها ولا ضرورة في معرفة ذلك إلا ان الروايات تؤكد أن آدم كان يؤدي الصلاة وأنه مسؤول عن هذا العمل العبادي.

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«لَمَّا مَاتَ آدَمُ عليه السلام فَبَلَغَ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ قَالَ هَبْهُ اللَّهُ
لِجِبْرِئِيلَ عليه السلام: تَقَدَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَلَ عَلَيَّ نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَالَ
جِبْرِئِيلُ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِالسُّجُودِ لِأَيِّكَ فَلَسْنَا نَتَقَدَّمُ إِبْرَارَ وَلَدِهِ
وَأَنْتَ أَبْرَهُمْ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسًا عِدَّةَ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا
عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدًا عليه السلام وَهِيَ السَّنَةُ الْجَارِيَةُ فِي وَلَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^١.
وعلى أية حال ان مسألة الصلاة حتّى على الجثمان - جزء من الواجبات
والفرائض الدينية والالهية وانها في طليعة العبادات التي أمر الله بها عباده.

سَيِّدُنَا اِدْرِيسَ عليه السلام وَ الصَّلَاةَ:

اِذَا دَخَلْتَ الْكُوفَةَ فَاتِ مَسْجِدَ السَّهْلَةِ فَصَلِّ فِيهِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَكَ لَدَيْكَ
وَدُنْيَاكَ فَإِنَّ مَسْجِدَ السَّهْلَةِ بَيْتُ اِدْرِيسَ النَّبِيِّ عليه السلام كَانَ يَخِيطُ فِيهِ وَيُصَلِّي فِيهِ
وَمَنْ دَعَا اللَّهَ فِيهِ بِمَا أَحَبَّ قَضَى لَهُ حَوَائِجَهُ وَرَفَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكَانًا عَلِيًّا إِلَى
دَرَجَةِ اِدْرِيسَ عليه السلام وَاجِيرٍ مِنْ مَكْرُوهِ الدُّنْيَا وَمَكَائِدِ أَعْدَائِهِ^٢.

وَيَذْهَبُ الْمَفْسَرُ الْكَبِيرُ الطَّبْرِيُّ رحمته الله إِلَى أَنَّ اِدْرِيسَ هُوَ جَدُّ نُوْحٍ عليه السلام وَأَنَّهُ مِنْ
أَقْدَمِ الْأَنْبِيَاءِ عليه السلام^٣.

١- التهذيب: ٣٣٠/٣، باب الصلاة على الأموات، حديث ٥٩؛ من لا يحضره الفقيه: ١٦٣/١، باب

الصلاة على الميت، حديث ٤٦٥؛ بحار الأنوار: ٢٦٠/١١، باب ٨، حديث ٣.

٢- قصص الانبياء، راوندى: ٨٠، فصل ٢، حديث ٦٤؛ بحار الأنوار: ٢٨٠/١١، باب ٩، حديث ١٠؛

مستدرک الوسائل: ٤١٣/٣، باب ٣٩، حديث ٣٨٩٩.

٣- مجمع البيان: ٥١٨/٦.

سَيِّدَنَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الصَّلَاةُ:

روي عن الامام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ انه قال:

« كانت شريعة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعبد الله وحده بالتوحيد والاخلاص وخلع الانداد وهي التي فطر الناس عليها وأخذ ميثاقه على نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والنبين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرام والحلال»^١.

سَيِّدَنَا اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الصَّلَاةُ:

سَيِّدَنَا اِبْرَاهِيمَ الخليل هو بطل التوحيد ومحطم الأصنام هكذا يذكره التاريخ أمره الله لما كان في فلسطين أن يصطحب زوجته هاجر وولده اسماعيل ويرحل، وكان ابراهيم من المسلمين لله عزوجل.

فلتبى أمر الله ورحل ربما كان يتمنى أن يحط رحاله في أرض خضراء ذات أشجار وأنهار ولكن شاء الله أن يرحل ابراهيم الى واد مقفر لا كلاً فيه ولا ماء الى واد غير ذي ذرع عند بيته المحرّم وكان على ابراهيم أن يترك هاجر وولده الرضيع اسماعيل في هذا الوادي الموحش ويعود من حيث أتى.

ولما ودّع زوجته تشبثت به وقالت: أتتركنا في هذه الأرض القفر وترحل، قال ابراهيم الذي أسلم وجهه لله: هكذا أمرني الله ولا راد لمشيئته.

كانت هاجر مؤمنة بالله فقالت: إن كان هذا مشيئة الله فلن يضيعنا وأسلمت وجهها لله كانت واثقة بان الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

١- الكافي: ٢٨٢/٨، حديث نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيامة، حديث ٤٢٤؛ بحار الأنوار: ٣٣١/١١، باب ٣،

وعاد ابراهيم الى دياره يعتصر قلبه الألم على فراق ولده الوحيد اسماعيل، اسماعيل الذي وهبه الله لابراهيم في شيخوخته.

ومع ذلك قال وهو يتجه بكل ذرة في كيانه الى السماء الى خالق الوجود:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^١؛

وكان يدعو الله عزوجل أن يوفقه لاقامة الصلاة.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^٢.

سيدنا اسماعيل عليه السلام و الصلاة:

قال تعالى في سورة مريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا

نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^٣.

سيدنا اسحاق و يعقوب عليهما السلام و الصلاة:

قال تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ *

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

١- ابراهيم ١٤: ٣٧.

٢- ابراهيم ١٤: ٤٠.

٣- مريم ١٩: ٥٤ - ٥٥.

وَأِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿١﴾:

من المفيد أن نذكر ان سيدنا يعقوب ووفقاً لما جاء في القرآن الكريم جمع أولاده لما حضره الموت وأوصاهم بالتزام دين الاسلام دين ابراهيم خليل الرحمن ولما كان دين ابراهيم يشتمل على الصلاة فان دين يوسف عليه السلام وكل الأنبياء من نسل يعقوب يتضمّن عبادة الصلاة وانه لا يوجد نبي من الأنبياء عليهم السلام لا تتضمن شريعته ودعوته ذلك فكل شرائع الأنبياء لا تخلو من الصلاة هذه العبادة العظيمة.

ان الصلاة حقيقة جامعة ولا يكتمل الدين الالهي الا بها ولا تتجلى عبودية العباد الا بأدائها.

ان القسم الأعظم من الرشد والنمو والكمال الانساني يتحقّق بالصلاة وأن الانسان بلا صلاة هو في الحقيقة عن أصل العالم لبعيد ومن رحمة الحبيب محرووم.

الصلاة طريق المستقيم الذي من خلاله يصل الانسان الى الله وهو علامة حب الانسان لله عزوجل ومركبة فائقة السرعة تطير بالانسان وتحلق به الى عالم الملكوت وانها الحقيقة التي من خلالها كل الكائنات في هذا الوجود نحو الحق تعالى.

سيدنا شعيب عليه السلام و الصلاة:

قال سبحانه وتعالى في سورة هود:

﴿وإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
 تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ
 تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا
 نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ^١:

أجل ان الصلاة لها دور كبير في ردع الانسان عن ارتكاب المعاصي
 والذنوب والأعمال السيئة، ليس هذا فحسب بل تدفع بالانسان المصلي الى أن
 يقوم بدور اصلاحي في المجتمع من أجل هذا اصطدم شعيب بمجتمعه وقومه
 وتحمل ما تحمل وعانى ما عانى في أداء رسالته الاصلاحية من خلال الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر.

سيدنا موسى عليه السلام والصلاة:

جاء في كتاب الله العزيز في سورة طه:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ
 إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا
 يُوحَى * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
 لِذِكْرِي^٢﴾.

١- هود ١١: ٨٤- ٨٧.

٢- طه ٢٠: ١١- ١٤.

وروى عن الامام الباقر عليه السلام انه قال:

«أوحى الله عزوجل الى موسى عليه السلام: أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ فقال موسى عليه السلام: لا يا رب، فقال الله عزوجل: يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك نفساً، يا موسى انك اذا صلّيت وضعت خديك على التراب^١.

يقول فروغي:

عند ما تصبح في حضرته غلاماً وعبداً فانه يهبك سلطة الوجود بأسره فكن له عبداً لأن نظرة منه والتفاتة تجعل منك سيداً في العالم.

سَيِّدُنَا لَقْمَانَ عليه السلام وَ الصَّلَاة:

قال عزوجل في سورة لقمان على لسان لقمان وهو يعظ ابنه:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٢:

سَيِّدُنَا دَاوُدَ عليه السلام وَ الصَّلَاة:

أورد العلامة المجلسي عدداً من الروايات تصف سَيِّدَنَا دَاوُدَ عليه السلام وفضائله وكثرة عبادته ويمكن مراجعة النصوص في مصادرها^٣.

١- من لا يحضره الفقيه: ٣٣٢/١، باب سجدة الشكر، حديث ٩٨٥٧٥؛ علل الشرايع: ٥٦/١، باب ٥٠،

حديث ١؛ بحار الأنوار: ٨/١٣، باب ١، حديث ٨

٢- لقمان ٣١: ١٧.

٣- بحار الأنوار: ٩٨/١٤، باب ٨

سَيِّدَنَا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةَ:

وكانت الصلاة على رأس العبادات لدى سَيِّدَنَا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى اشتهر في عصره بكثرة الصلاة!

وكيف لا يكون أنبياء الله كذلك في صلاتهم حيث الصلاة علاقة حب عرفاني بين العبد وربّه والذي لا يوفق الى اقامة الصلاة وادائها يعني انه في حالة حرمان من الحب الأزلي.

سَيِّدَنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةَ:

قال عزوجل في كتابه الكريم:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصواً ونبياً من الصالحين﴾^١

سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةَ:

وجاء في كتاب الله العزيز قوله تبارك وتعالى:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

١- بحار الأنوار: ٩٨/١٤ - ١٠٤، باب ٨

٢- آل عمران ٣: ٣٨ - ٣٩.

* وَبِرَّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيئاً * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ
يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا! :

سَيِّدَنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الصَّلَاة:

قال عزوجل في سورة الصافات:

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ﴾^٢:

ذكر المرحوم الطبرسي في تفسير هذه الآية راوياً عن قتادة ان المراد من
تسبيحه الصلاة فلو لا أن كان من المسبحين أي كان من المصلين^٣.
ومن مجموع الآيات التي وردت آنفاً يتضح لنا ان جميع الأنبياء والرسل بعثوا
الى اممهم وأقوامهم وشعوبهم بالصلاة وأن الصلاة هبة الله عزوجل الى عباده
ولا تخلو شريعة من الشرائع الالهية من هذا اللون من العبادات ذلك ان للصلاة
دور بناء وجوهري في ترشيد حركة الانسان في مدارج الكمال الروحي وأنه من
دون الصلاة ومن دون الاتصال بالله عزوجل من خلال الصلاة فان حركة
الانسان نحوربه تبقى ناقصة.

ان الصلاة عالم من الأسرار الالهية ومن خلال التقوى يمكن للانسان أن يبلغ
كنه الأسرار المودعة في هذه العبادة العظيمة.

١- مريم : ١٩ - ٣٠ - ٣٣.

٢- الصافات ٣٧ : ١٤٣ - ١٤٤.

٣- بحار الأنوار: ٤٠٣/١٤، باب ٢٦، مجمع البيان: ٥٩١/٨.

الصلاة عالم من المجد تفتح للانسان من خلالها الافاق والأعماق ويتحقق الرضوان الالهي الذي هو غاية الغايات.

الصلاة شرف الانسان وفضيلته ومنطلق حركته نحو الحق تبارك وتعالى. الصلاة تفتح أبواب الرحمة والبركات الالهية على العباد والصلاة في طليعة الأسباب في نجاة الانسان يوم القيامة فليعرف الانسان ربه من خلال القرآن الكريم وليدرك صفاته وأسماءه وليتأمل الانسان في ما أفاض الله عليه من النعم وليتجه نحو الله في علاقة حب.

واضرم ايها الانسان نار العشق في أعماق قلبك ولتشكر الله على ما أعطاك ان الصلاة أداء الشكران للمنعم كما جاء في الأثر عن الامام الرضا^١.

حينئذ سترى ايها الانسان ان صلاتك في رحاب الله علاقة حب وأنها أفضل الأعمال التي يؤديها الانسان في حياته لأنها صلاة تهض على العشق الالهي. طوبى لمن ينظر اليك انك وحدك.

حتى تتجلى في مرآته أنت وحدك لا غير.

وأهل النظر هو من تتجلى في عينه الصورة والمعنى.

قد أغمض عينه عن كل شيء وأصبح ينظر من خلاله.

الصلاة في مرآة القرآن:

يرسم القرآن الكريم في آياته والكتب الحديثية والروايات صورة للانسان المؤمن حيث تشير الآيات والروايات الى علامات الانسان المؤمن وخصائصه

١- علل الشرائع: ٢٦٠/١، باب ١٨٢.

هذه العلامات والخصائص التي تدلّ على طهارة النفس المؤمنة وحقيقتها المكونة. وتشغل الصلاة موقعاً فريداً بين هذه العلامات بمعنى ان الصلاة التي يؤديها الانسان وكما تشير الروايات والآيات اذا ما أداها الانسان بشروطها الظاهرية والباطنية سوف تكون في طليعة الأعمال والنشاطات التي يقوم الانسان المؤمن على الاطلاق.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^١:

ونقرأ في تفسير الآية الكريمة أعلاه ان قيام البدن حالة تكون فيها الأعضاء كل في وضعه الطبيعي ولكل عضو وظيفة في انجاز هذا القيام.

ويكون الجسم بالهيئة التي يبدو فيها؛ فمراكز الادراك والرأس في أعلى البدن الذي يستند الى فقرات الظهر والجميع قائم على عمودي الساقين.

وتستجيب أعصاب الادراك والحركة الى الأمر بيسر فهي تأخذ الأوامر وتستجيب وتتحرك العينان وتتجه الاذنان واليدان والقدمان الى جهة مطلوبة.

فالارادة مسلطة على الأعصاب والأعصاب مسلطة على العضلات والعضلات على مفاصل البدن هذه هي مملكة الجسم.

ان قيام البدن مرتبط بقيام الفكر والتصوير وما لم يكن المطلوب مصدر بوضوح فان الارادة لا تحصل ولا ينصب البدن للنهوض على خلاف الرغبة والميول.

ويستعد الانسان المؤمن للصلاة وحينئذ تتحرك همه المرء بارادة الله سبحانه ويتوقد الذهن بعد أن ينصرف ويعرض عن الحواس وتنطفئ الشهوة أو تنام. وتسري الارادة والعزم الى الاقدام.

هنا لك تستقر القوى النفسانية في حالاتها الطبيعية وتنهض بنهوض البدن. وفي الهيكل الداخلي لجسم الانسان يشغل مركز التفكير والادراك الموقع الأعلى فيما تشغل العواطف القلب الذي يقع في المحل الأدنى ثم تأتي المعدة والأمعاء التي هي قدر الشهوة الغذائية في محل أدنى من القلب ثم تلي شهوة الطعام والغذاء الشهوة الجنسية حيث الأعضاء التناسلية للانسان تشغل الموقع الأدنى من موقع شهوة البطن.

وفي الهيكل الباطني للنفس تأتي هذه القوى وتركب على هذا النحو من الترتيب.

معنى الاقامة:

الاقامة في اللغة النهوض والوقوف وكمالها في الانسان قيام البدن والنفس الظاهر والباطن في الانسان.

وكمال القيام هنا يتم في اجتماع الاثنين وذلك عند ما يقوم الفرد بارجاع الأهواء مصدر الاختلاف والنظام الطبقي «الشيطاني» نحو التوحيد والاصطفاف وراء الامام العادل العالم الذي له حق الاولوية في الاقتداء به.

ولأن تحقق الصلاة وكمالها يحصل بالاقامة فان القرآن يأمر باقامتها كاملة أو بعضها لذا نجد مفردات عديدة مثل «أقام، اقم، يقيمون، ومقيم» اما الذين يغفلون عن حقيقة الصلاة فقد ندد القرآن بهم مستخدماً كلمة «ويل» ووجهها الى «المصلين».

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾^١ لا إلى المقيمين الصلاة.

والاستثناء لهذا الاستخدام نجده فقط في سورة المعارج في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا *
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^٢:

وفي سورة البقرة^٣ استخدم الفعل المضارع «يقيمون» للدلالة على الاستمرار في الإقامة لأن الإقامة والاستقامة في الانسان ينبغي أن تحصل على نحو متدرج ومتواصل الى مدى الحياة.

وفي النتيجة يقوم الانسان خلال عمره باقامة الصلاة وبما ينسجم مع مقام الانسان وعندما يقوم الانسان بأداء هذا التكليف على نحو تام واستقامت حقيقة حينئذ تكون مأموريته ومهمته في هذا العالم قد انتهت ويشد الرحال للرحيل كما لو أنه قدم الى هذا العالم لانجاز عمل كامل وتام. أجل أقم الصلاة بشروطها لتستقيم حقيقتك.

واتخذ من اقامة الصلاة سُلماً لتصل بشخصيتك الى الذرى.

وتصبح مرآة نفسك صافية تتألق فيها الأنوار بعد أن زالت عن صفحتها شوائب الذنوب وغبار الآثام.

١- الماعون ١٠٧: ٤.

٢- المعارج ٧٠: ١٩ - ٢٣.

٣- البقرة ٢: ٣.

أقم الصلاة لتتحرر من حبال الشيطان وتنجو من دسائسه وترى في نورها الحقيقة.
أقم الصلاة من أجل أن يتحرر قلبك من تعلقات المادة ويضيء الحب
الازلبي الأبدى جوانب نفسك وآفاق روحك وتتخلص من كل ما يحول دون
انشدادك الى حقيقة الوجود الله عزوجل.

أقم الصلاة لتتنجو من المادية وتسمو نفسك الى عالم المعاني.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^١.

أجل ان صرف الادعاء بالايمان والعمل لا يجدي نفعاً ولا يفضي بصاحبه الى
الانتظام في قوافل أهل الخير والسعادة أن ما يوجب الفلاح والفوز هو الباطن
والعمل الصالح وان مشكلات الانسان في الحاضر والمستقبل في الدنيا والآخرة
لا يمكن ان تحل الا في ضوء العقيدة الصواب والعمل الصالح.

وان قيمة الانسان تكمن في الايمان والعمل الصالح والانسان بمعزل عن
الايمان والعمل الصالح إنما هو كتلة من اللحم والعظم تتحرك على سطح
الأرض لا دور لها سوى ازعاج الآخرين.

الانسان، الكائن الأفضل:

الانسان في المعارف الاسلاميّة هو الكائن الأفضل والمخلوق الاسمى على صعيد الوجود والحياة غير انه ينبغي ان تنتبه الى ان هذا التفوق في الوجود الانساني كامن بالقوة وما على الانسان الا أن يحول هذه الأفضلية بالقوة الى أفضلية بالفعل ولأن الانسان يجهل الطريق الذي يحول القوة الى فعل فقد منّ الله عزوجل عليه بارسال الانبياء وبعث الرسل وأنزل الكتب والشرائع. والآية الأنفة الذكر جزء من التخطيط الالهي الشامل للانسان من أجل يحول ما هو كامن في أعماقه بالقوة الى فعل.

ويعتقد الواعون الذين أوقفوا أعمارهم على التأمل في القرآن الكريم والتدبر في آياته ان الآية المذكورة هي الوصفة الأكمل والأرقى من بين آيات القرآن في ترشيد حركة الانسان نحو الخير والسعادة والكمال المنشود.

ان الذين انفصلوا وابتعدوا عن القرآن علماً وعملاً وسلوكاً لا بد وانهم ارتموا في مستنقع الشهوات واسلموا قيادهم للغرائز والرغبات فاستحالت حياتهم الى ميدان تعربد فيه الغرائز واستحالوا الى بهائم تسرح وتمرح في المراعي لاهم لها سوى بطونها واشباع شهواتها وهؤلاء يسبحون ضد التيار حيث تتحرك الحقائق نحو التكامل أماهم فينحدرون نحو هاوية الفساد والشر.

هؤلاء احرقوا عقولهم وفطرتهم ووجدانهم في نار الشهوات وافرغوا وجودهم من كل ما هو انساني نبيل واستحالوا الى حيوانات تلهث وراء الشهوات بل انهم يتخبطون في حركتهم الى ما هو أسوأ من الحيوانات.

ولكن الانسان الذي يتحرك علماً وعملاً وفق الوصفة الالهية سوف يحافظ

على توازنه ووقاره وانسانيته.

هؤلاء ينطلقون في حركتهم وحياتهم على أجنحة الملائكة منطلقين في الافق الذي تتألق فيه القيم الالهية السامية.

ان الله سبحانه يباهي سكان الملكوت الأعلى بوجود عباده هؤلاء.

لقد استحالوا الى مجمع للفضائل ومصدر للبركات وميداناً للخيرات ونبعاً للاحسان وينوعاً للحسنات.

وجودهم مصدر خير للمجتمع فهم غوث للملهوف وعوناً للمتكوب وظلالاً وارفة لليتامى والمساكين.

ومنزلة هؤلاء المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر وبالملائكة والكتب الالهية وبما أنفقوا في سبيل لا يعرفها الا الله عزوجل.

وفي يوم القيامة تفتح أبواب الجنان لاستقبالهم ادخلوها بسلام آمنين.

أما أعداء الله والحق والانسانية فمصيرهم الى النيران والعذاب الأليم.

جاء في الأثر عن النبي ﷺ في مصير هاتين الطائفتين:

«إِذَا وُضِعَ الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ وَأَنْصَرَفَ أَصْحَابُهُ حَتَّى لَيْسَمَعَ خَفَقَ نَعَالِهِمْ أَنَاهُ مَلَكَانِ يُحَاسِبَانِهِ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَرِيَاهُ مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ضَرْبَاهُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً بِسَمْعِهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ!»^١

ان على الانسان أن يعرف نفسه وأن يتعرف على منزلته في الوجود وأن

يكشف الطريق الحقيقي الذي ينبغي أن يتحرك فيه وأن يكتشف هدفة الخلق الانساني ورسالة الانسان في الوجود ان تفهم تطلعات ودور القوى الباطنية ودورها سوف يسهم في ازدهار ونمو شجرة حياته فتصبح وارفة الظلال مثقلة بالثمار.

مراتب الملك و الملكوت:

يقول العرفاء: اعلم ان العقل هو آدم وان الروح حواء وان الطبيعة ابليس والشهوة الطاوس والغضب الحية.

وان اجتماعها مع بعض اياها الى الدنيا وافتراقها ذهاب عن الدنيا.

يعني ان اجتماعها جملة قدوم من عالم الغيب الى عالم الشهادة ومن عالم العقل الى عالم الحس وافتراقها عن بعضها ذهاب من عالم الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الحس الى عالم العقل.

ايها الدرويش في عالم الملكوت ملك وشيطان في عالم الملكوت عقل وملك وفي الطبيعة شيطان.

ولأن العقل والطبيعة كلاهما مصوران فمن كليهما ظهرت صورة آدم.

واذن فان آدم مركب من الملك والشيطان يعني من العقل والطبيعة.

واذن فكل من غلب فيه العقل اصبح ملكاً بل أفضل من الملائكة وإن كان له

صورة الانسان وكل من غلبت فيه الطبيعة كان شيطاناً أو حيواناً بل أسوأ من الحيوان.

هذه مراتب الملك و الملكوت وهذا بيان كتاب الله وكلام الله بصورة كلمة

وكلام الله بمثابة معنى الكلمة وتمام الكلمة تكون بصورة المعنى.

واذن فمجموعهما هي الكلمة ولها أسماء كثيرة ذلك انه جملة الأسماء أما

اسمه فواحد وهو الاسم الأعظم والاسم الاعلى وذلك الاسم هو الرب.
 واذن لو شبهنا كلمة الكائنات بالشجرة فان ثمرة هذه الشجرة الانسان العالم،
 ويقال للانسان العالم كلمة أيضاً ذلك ان لكل من له شجرة فله ثمرة.
 واذن فان الانسان العالم هو ثمرة شجرة الكائنات ولو شبهت كلمة الكائنات
 بالانسان فان قلب هذا الانسان هو الانسان العالم.

واذن فان الانسان العالم قلب الكائنات وقال بعضهم: ان الانسان الكامل هو
 كتاب الله وهو كلام الله أيضاً ذلك ان الانسان الكامل هو مجموع هذين العالمين.
 وقال بعض ان الانسان الكامل كتاب الله وحديث الانسان الكامل كلام الله.
 فانصفوا في القول هل ثمة طزيق للوصول الى نقطة الكمال العظمى غير
 طريق التطهر من كل لوث والتحلي بالحسنات؟

كما يقول المرحوم قمشئي:

ان نظرت بقلبك لن ترى في الفناء.

سوى وجه الله عين البقاء.

اخرج من خلف استار الحجب اخرج من الجسد واخطو في مملكة الروح
 ستري أينما تنظر أسرار الله.

وابتعد عن أوهام الطبيعة ليصفو فؤادك.

ففي صفاء القلب ترى حسن المحبوب.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^١.

وقد ذهب المفسرون الى ان هذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام وقلب العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت اقامة الصلاة من علامات الانسان المؤمن وهي محور الايمان^١.

التمسك بالكتاب و اقامة الصلاة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^٢.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^٣.

في الآيتين أعلاه موضوع له جذور ونتيجة له وهي التمسك بالكتاب و اقامة الصلاة. وأما نتيجة صلاح الانسان لاتصاله بهذين الموضوعين التمسك بكتاب الله الذي هو خارطة الهية لهداية الانسان نحو كل خير وكمال. فالقرآن الكريم هو علاج لكل الآلام وكل الامراض وطريق حل كل المشكلات وقيادة الانسان نحو الله.

١- تفسير القمي: ١٧٠/١، تفسير العياشي: ٣٢٨/١، حديث ١٣٩؛ تفسير الكشاف: ٦٨٢/١؛ التفسير

الكبير: ٣١/١٢؛ مجمع البيان: ٢٦٣/٣.

٢- الانفال: ٢٠٨ - ٣.

٣- الاعراف: ٧: ١٧٠.

وهذا الاتصال لا يحصل إلا بالتزام ما يلي:

١ - قراءة القرآن.

٢ - فهم القرآن.

٣ - العمل بالقرآن.

ان الذي ينهض لقراءة القرآن الكريم ويجتهد في فهم هذا الكتاب العزيز ويسعى الى العمل بآياته ويثبت في هذا الطريق خطواته هو مصداق حقيقي للتمسك بكتاب الله.

وسأسى الى التفصيل في هذا الموضوع في شرح الحديث الرابع عشر من كتاب مصباح الشريعة باذن الله.

اجل ان من خصائص الانسان المؤمن الهامة التمسك بالكتاب واقامة الصلاة لأنهبعد اذا سلك طريق القرآن والصلاة سيكون مصلحاً بمعنى انه سيصلح نفسه أولاً ومن ثم سيصلح أهله وذريته وبعدها سوف ينتقل الى اصلاح المجتمع وان الله لا يضيع أجر المصلحين.

وهكذا انسان يتمتع بمنزلة خاصة عند الله عزوجل وقد حاز خير الدنيا والآخرة. والتمسك بالكتاب هو نتيجة العشق للقرآن والعشق للقرآن هو نتيجة معرفة الانسان بكتاب الله.

والمعرفة تؤكد الهمة والحب والهمة والحب مولدة الحركة والعمل والفائز من يثبت على العشق ويمضي في الطريق.

كل قلب مبتلى بالعشق يصبح عاشق لله.

وكل آهة لا تطرق القلب محرومة من ناي الحب.

واجمل من صفاء الصباح ليل يصفو بوجه.

والى الأبد سيبقى الحب في زوايا العالم الوجود.
ستبقى قصة العاشق والعشيق لأن البقاء هو بقاء الحب.
ومادام العالم قائماً لأنه في ظلال رحمة الحب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾^١!

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^٢!

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^٣!

والآيات أعلاه انما هي امثلة من كتاب الله عزوجل تذكر الصلاة على انها من
خصائص الانسان المؤمن البارزة وثمة آيات اخرى من كتابه سبحانه تشتمل
على هذا المعنى نشير إلى طائفة منها:

الأنعام، ٩٢؛ التوبة، ٧١؛ الرعد، ٤٢؛ ابراهيم، ٣١؛ الحج، ٣٥ - ٤١ المؤمنون، ٢؛
النور، ٣٧؛ النمل، ٣؛ لقمان، ٤؛ الفاطر، ١٨ - ١٩؛ الشورى، ٣٨؛ البينة، ٥؛ المعارج،

١- البقرة: ٢: ٢٧٧.

٢- التوبة: ٩: ١١.

٣- التوبة: ٩: ١٨.

٢٣؛ فهناك ما يناهز الى «٢» آية تشير الى الصلاة على انها من أهم علامات الانسان المؤمن والانسان الصالح.

ان الانسان امرأة كان أم رجلاً لا يحظى بهذه الميزة الرفيعة فانه خارج عن الايمان الحقيقي بعيد عن الدرجات الالهية العالية.

وهؤلاء البشر يعبر عنهم القرآن وبسبب عدم ايمانهم وضعف أعمالهم تحت عناوين خارج الانسانية من قبيل «الانعام»، «شرّ الدواب»، «أصحاب النار» و «الفاسين».

الصلاة في مرآة الروايات:

وعند ما نتأمل في موضوع الصلاة في الروايات والأحاديث الاسلامية نجد ان الانبياء والرسل الالهيين والأئمة المعصومين يؤكّدون على الصلاة قبل جمع الأحكام. لأن الصلاة خلاصة لجميع العبادات والحقائق والانسان الذي يقيم الصلاة هو في حقيقته على اتصال دائم باللطف الالهي والفيض الرباني.

والصلاة لدى أرباب المعرفة والسالكين العارفين والعارفين العاشقين هي رداء رائع في شكله وحلّة بهية يرتديها الانسان مزينة بالمعاني الملكوتية حيث يبدو الانسان الذي يقيم الصلاة بشروطها في أجمل صورة في مرآة الغيب.

وقد عبّر عنها الذين يمحرون في بحر العشق الالهي والهائمون في درب الحبيب بأن الايمان خرقة الستار وأصل الايمان رعاية الحق وحقيقة الايمان ترك ما سوى الله وسرّ الايمان كلّ الشهادة، وروح الايمان القرآن، وتاج الايمان الطاعة وبيضة الايمان العلم واوراق الايمان التقوى وقشر الايمان الحياء وجذر الايمان الخوف وجذع الايمان التوبة وثمره الايمان المعرفة والصدق.

وكمال الايمان التسليم ومسكن الايمان قول المؤمن وطهر الايمان خرقة الحياة وروح الخرقة الثناء وفريضة الخرقة الصحة وغسل الخرقة الترك والتجريد وهذه جميعاً قابلة للتحقيق في الصلاة والحقيقة ان الصلاة مرآة لجميع هذه الحقائق وميدان لجميع هذه الوقائع الالهية العالية.

والذي يعرف معنى شرب هذه الكأس ينسى رأسه.

ان شئت أن تجد الباب مفتوحة فاعترف بعجزك.

الهي حقق أمنيته وارو قلبي الظامئ من فيض كرمك.

واسرج الضوء في جوانب روحي وأحيي فؤادي بحضورك ونجني من نفسي بتوفيق من نورك.

واجعل قلبي محرم اسرارك وايقظني يا رب من نوم الغفلة^١.

الصلاة والأطفال:

وتبلغ أهمية الصلاة في الاسلام ان الشريعة تحث على تعليم الصلاة للأطفال قبل سنوات من بلوغهم سن التكليف فقد حثت الشريعة على أن يبادر الآباء الى تشجيع أبنائهم الصغار على أداء الصلاة وتعلمها لكي يشعروا بالألفة والانس مع الصلاة وتكون جزءاً من حياتهم المفعمة بالبراءة.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 «فِي كَمْ يُؤْخَذُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ فِيمَا بَيْنَ سَبْعِ
 سِنِينَ وَسِتِّ سِنِينَ»^٢:

١- اسرار نامه، عطار نيشابوري.

٢- التهذيب: ٣٨١/٢، باب الصبيان متى يؤمرون بالصلاة، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ١٨/٤، باب ٣،

عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«سَأَلْتُهُ عَنِ الْغُلَامِ مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ؟»

قَالَ: إِذَا رَاهِقَ الْحُلْمَ وَعَرِفَ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ^١:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

«إِنَّا نَأْمُرُ صَبِيَانَنَا بِالصَّلَاةِ إِذَا كَانُوا بَنَى خَمْسَ سِنِينَ،

فَمَرُّوا صَبِيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا كَانُوا بَنَى سِتْعَ سِنِينَ^٢:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ:

سَأَلْتُ الرِّضَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ سُئِلَ وَأَنَا أَسْمَعُ عَنِ الرَّجُلِ يَجْبُرُ

وَلَدَهُ وَهُوَ لَا يُصَلِّي الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ فَقَالَ: وَكَمْ أَتَى

عَلَى الْغُلَامِ؟ فَقُلْتُ ثَمَانِي سِنِينَ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

يَتْرَكُ الصَّلَاةَ قَالَ: قُلْتُ يُصِيبُهُ الْوَجَعُ قَالَ: يُصَلِّي عَلَى

نَحْوِ مَا يَقْدِرُ^٣:

«عَنْ عَلِيِّ فِي حَدِيثِ الْأَرْبَعِ مِائَةَ قَالَ: عَلَّمُوا صَبِيَانَكُمْ الصَّلَاةَ

وَخَذُوهُمْ بِهَا إِذَا بَلَغُوا ثَمَانِي سِنِينَ^٤:

١- الاستبصار: ٤٠٨/١، باب الصبيان متى يؤمرون بالصلاة، حديث ٤١ وسائل الشيعة: ١٩/٤، باب ٣،

حديث ٤٣٩٩؛ بحار الأنوار: ١٣١/٨٥، باب ٤، حديث ٣.

٢- الكافي: ٤٠٩/٣، باب صلاة الصبيان، حديث ٤١ وسائل الشيعة: ١٩/٤، باب ٣، حديث ٤٤٠١.

٣- من لا يحضره الفقيه: ٢٨٠/١، باب الحد الذي يؤخذ فيه الصبيان، حديث ٨٦٢ وسائل الشيعة:

٢٠/٤، باب ٣، حديث ٤٤٠٤.

٤- الخصال: ٦٢٦/٣، حديث ١٠ وسائل الشيعة: ٢٠/٤، باب ٣، حديث ٤٤٠٤.

السموات السبع:

هذا العالم العظيم بكل وجوده الفسيح المترامي الذي يعجز البصر عن استكشافه مهما أوتي من قدرة متسلحاً بعلم الفلك والنجوم وانظر وتأمل وامعن الفكر كيف تكون وكيف تشكل وما هي عناصره وكيف اجتمعت هذه العناصر لتؤلف هذا الموجود الذي لا يعرف أحد حدوده ولن يعرف ذلك أحد في المستقبل حتى الخيال الوثاب يكلّ عن تصور حدود لهذا الوجود بل ان العقل البشري لن يتوصل الى فهم وادراك الذرة والخلية وسيبقى الانسان عاجزاً أمام معرفة الكون من ذراته المتناهية الصغر الى مجراته الهائلة والسدم الجبارة التي تبهر عقل الانسان وتخطف لبه.

لقد تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن سبع سماوات طباق وما تحدث عنه العلماء والفلكيين على مدى مئات السنين حول النجوم والكواكب انما يرتبط بالسماء الاولى والتي يعبر عنها القرآن الكرين بـ«السماء الدنيا» وجزء محدود من هذه السماء يمكن رؤيته بالعين المجردة.

وما يزال الانسان يقف عاجزاً عن استكشاف المجرات البعيدة ومعرفة طبيعة الغبار الكوني بالرغم من التقدم الهائل الذي احرزه على صعيد ابتكار وصناعة التلسكوبات المتطورة.

لقد ألف الانسان المئات الآلاف من الكتب حول السماء الدنيا وابتكر العشرات والمئات من الأدوات العلمية لمشاهدة المناظر الفلكية الخلافة لكنه ما يزال حتى الآن يقف عاجزاً عن تحديد طول الكون وعرضه ونهايته.

ولو أمعنا النظر في ما قاله العلماء في الشرق والغرب حول عجز العلم عن ادراك الحقائق، لرأيت العجب العجاب في مشهد العلماء الذي ينحنون اجلاً

ويدركون انهم ما يزالون يراوحون على ضفاف الوجود وانهم لا يعرفون عن أسرار الكون والعالم شيئاً.

قبل حوالي ألفين وأربعمئة عام قال الفيلسوف اليوناني الكبير «ديموكريت» ربما تتألف المجرة من تجمع ملايين النجوم ثم جاء غاليلوا ليؤيد هذا المقولة بعد اختراع التلسكوب فقد رأى ان المجرة عبارة عن كم هائل من النجوم. واليوم يقول العلماء الفلكيين ان المجرة عبارة عن سديم يتألف من حوالي ملياري نجم!

وتبلغ المسافة بين كل نجم وآخر حوالي أربع سنوات ضوئية وان عرض أو سمك هذه المجرة يبلغ مئتي سنة ضوئية وتشتمل هذه المجرة على ثلاثين ألف منظومة شمسية حيث منظومتنا الشمسية هي احدى هذا العدد الهائل! ولهذه المجرة مدار تدور فيه تستغرق الدورة فيه ثلاثمئة مليون سنة ضوئية وهذه مجرة واحدة.

يقول العلم ان الكون يشتمل على حوالي مئة مليون مجرة وان المسافة بين كل مجرة وأخرى تبلغ مليوني سنة ضوئية! وأقرب المجرات الينا هي مجرة «المرأة السلسلة» والمسافة بين هذه المجرة والأرض تصل الى حوالي ثمنمئة ألف سنة ضوئية وهي تبدو للناظر بالعين المجرة مجرد نجم يومض على وهن. وهناك مجرات تبعد عنا ألف مليون سنة ضوئية وبعضها تسعمئة مليون واخرى ثمنمئة مليون سنة ضوئية.

يقول العالم الرياضي والفيزيائي المعروف اسحاق نيوتن ان الكون يشبه

محيطاً عظيماً من المحيطات وان ما اكتشفه الانسان من هذا الكون لا يعدو حصة يرميها طفل على شواطئه هنا هناك.

وقال في مناسبة اخرى: الآن وقد بلغت سن الشيخوخة اتصور انني قد تعلمت كل شيء ولكنني اجهل حتى هذه الذرة التي لا ترى وكنت في شبابي اعتقد بانني اعرف كل شيء.

ويقول: ان العلم ومع تقدمه الواسع الا انه ما يزال طفلاً يخبو.

ويقول الفيلسوف لودج ان ما اعلمه لا يساوي شيئاً في مقابل المعارف الجمة انني أقول ذلك بقوة قد لا يشاطرنني الرأي في ذلك أحد.

ويقول ابن سينا: يمكننا أن نقيس طول وعرض وحجم الأشياء ولكننا نعجز عن معرفة حقيقتها.

وعلى أية حال فان الأرض وما فيها من مخلوقات والسموات السبع وما فيها من أشياء وعالم الملكوت والملائكة والجن لهو أقل من ذرة أمام عظمة الخالق المطلقة بل هو كل ذلك صفر وعدم.

الاستخفاف بالصلاة:

بعث الله الرسل والأنبياء عبر تاريخ الانسانية وأمرهم بدعوة عباده الى اقامة الصلاة خضوعاً له وتواضعاً وقد قام مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول بابلاغ أمر الله الى الناس ولذا فان من يستخف بالصلاة انما هو انسان لا قيمة له ولا شأن وهو انسان منحط ضعيف قد انسلخ عن انسانيته وان الذي يرفض اداء هذه العبادة لله الذي وهبه كل شيء وغمره بلطفه ورحمته لهو انسان شقي واشقى من كل

مخلوق في هذا الوجود.

ان الاستخفاف بالصلاة التي هي حكم الهي عظيم دليل على جهل الانسان وشقائه.
ان أهل المعرفة والعشاق والأولياء والهائمين بحب الله عزوجل ينظرون الى الصلاة بعين تختلف عن عيون غيرهم.

وهؤلاء يتعاملون مع الصلاة بحب وعشق وعلاقة عرفانية ووعي فالصلاة لديهم سراج يضيء القلب والروح؛ رحلة تأخذهم الى درب المحبوب.
انهم لا يمكنهم العيش من دون الصلاة ولا يتحركون بلا صلاة لا يريدون العالم بلا صلاة ولا يعرفون طريقاً نحو عالم الملكوت الأ طريق الصلاة، ولقد أدركوا حلاوتها واقتطفوا ثمارها فهم يلهجون بها آناء الليل وأطراف النهار.
يهيمون في صلاتهم ولا يشعرون بما يجري حولهم أثناء دخولهم فيها فهي نشيدهم الذي ينشدونه فاذا هم كالسكارى وما هم بسكارى ولكنهم قد هاموا بعشق الحبيب.

فهللوا يا أعزائي الى ان نظر الى الصلاة كما ينبغي ونضعها على رأس الأحكام.
ان الله عزوجل قد جعل الصلاة مفتاحاً للضيافة والدخول الى رحابه والأ فما شأننا وما مقدار منزلتنا لو لا رحمة منه سبحانه.

وان الله سبحانه وهو يندبنا الى الصلاة فهذا دليل على حبه لعباده ولو لا عشق الخالق للمخلوق ما كانت الصلاة لأن الصلاة صرخة الحب ونداء العشق الذي يخترق الحجب والاسرار وفيها يلتحم الانسان مع حركة الوجود السائر نحو الله عزوجل.

حرمة الاستخفاف بالصلاة في الروايات:

كثيرة هي الروايات والأخبار الواردة حول حرمة الاستخفاف بالصلاة.

ومن الضروري الاطلاع على طائفة منها:

عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «لَا تَتَهَاوَنُ بِصَلَاتِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ عليه السلام قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:»

«لَيْسَ مِنِّي مَنْ اسْتَخَفَّ بِصَلَاتِهِ، لَيْسَ مِنِّي مَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا لَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضِ لَا وَاللَّهِ»^١:

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

«والله انه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة فأني شيء أشد من هذا والله انكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها ان الله عزوجل لا يقبل الا الحسن فكيف يقبل ما يستخف به»^٢.

لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةُ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يَنَالُ شَفَاعَتَنَا مَنْ اسْتَخَفَّ بِالصَّلَاةِ»^٣:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لِكُلِّ شَيْءٍ وَجَةٌ وَوَجْهٌ دِينِكُمْ الصَّلَاةُ فَلَا يَشِينَنَّ أَحَدَكُمْ

١- الكافي: ٢٦٩/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٢٣/٤، باب ٦، حديث ٤٤١٣.

٢- الكافي: ٢٦٩/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٢٤/٤، باب ٦، حديث ٤٤١٤.

٣- الكافي: ٢٧٠/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ١٥؛ وسائل الشيعة: ٢٤/٤، باب ٦، حديث ٤٤١٥.

وَجَهَ دِينِهِ وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَنْفٌ وَأَنْفُ الصَّلَاةِ التَّكْبِيرُ^١:

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«الصلاة وُكِّلَ بها ملك ليس له عمل غيرها فاذا فرغ منها قبضها ثم صعد بها فان كانت مما تقبل قبلت وان كانت مما لا تقبل قيل له ردّها على عبدي فينزل بها حتّى يضرب بها وجهه ثم يقول اف لك ما يزال لك عمل يعينني»^٢.

وروى أبو بصير قال: دخلت على أم حميدة أعزّيتها بأبي عبدالله الصادق عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبدالله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً فتح عينيه ثم قال أجمعوا إلي كل من بيني وبينه قرابة قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه قالت فنظر اليهم ثم قال: ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة^٣.

وعن أبي جعفر عليه السلام:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ مِثْلُهَا كَمِثْلِ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ إِذَا ثَبَتَ الْعَمُودُ ثَبَتَ الْأَوْتَادُ وَالْأَطْنَابُ وَإِذَا

١ - الكافي: ٢٧٠/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ٩٦؛ وسائل الشيعة: ٢٤/١٤، باب ٦، حديث ٤٤١٦.

٢ - الكافي: ٤٨٨/٣، باب النوادر، حديث ١٠؛ ثواب الأعمال: ٢٢٩؛ بحار الأنوار: ٢٦٢/٨١، باب ١٦، حديث ٦٢.

٣ - الأمالي، شيخ صدوق: ٤٨٤، المجلس الثالث والسبعون، حديث ١٠؛ المحاسن: ٨٠/١، باب ٣، حديث ٤٦؛ وسائل الشيعة: ٢٦/٤، باب ٦، حديث ٤٤٢٣.

مَالِ الْعَمُودِ وَأَنْكَسَرَ لَمْ يَثْبُتْ وَتَدَّ وَلَا طُنْبٌ^١!

حرمة تضييع الصلاة ووجوب المحافظة عليها:

ان مسألة وجوب الصلاة والمحافظة على هذه الوديعة الالهية في الحياة تبلغ من الأهمية بحيث يعد تضييعها من المحرمات وفي مقابل ذلك حثت الشريعة على المحافظة عليها شكلاً ومضموناً.

يقول الامام الخميني رحمته الله في «أسرار الصلاة»:

ان الاكتفاء بصورة الصلاة وقشرها والبقاء محروماً من بركاتها وكمالاتها الباطنية الموجبة للسعادة الأبدية بل الباعثة على مجاورة ربّ العزة والمراقبة في العروج الى وصال المحبوب الذي هو غاية الآمال ومنتهى أمانى أصحاب المعرفة وأرباب القلوب بل قرّة عين سيد الرسل؛ ان الحرمان من ذلك هو ذرورة الخسران والضرر بعد الخروج من هذه النشأة والورود في المحاسبة الالهية وموجبة للحسرات التي لا تدرکها عقولنا.

اننا في حجاب عالم الملك وخطر الطبيعة ولا نستطيع ادراك ما في ذلك العالم. وأية حسرة وندامة وضرر أشدّ من أن نقوم بشيء مدّة أربعين وخمسين سنة وهو وسيلة السعادة للانسان والدواء لكل الأمراض القلبية وهو في الحقيقة الصورة الكاملة للانسانية ثمّ لا نجني من ذلك إلا النصب والتعب من دون أية استفادة روحية ويكون سبباً في الكدورة القلبية والحجب الظلمانية وتصبح قرّة عين رسول الأكرم صلوات الله عليه موجبة لضعف بصيرتنا!

١- المحاسن: ٤٤/١، حديث ٦٠؛ وسائل الشيعة: ٢٧/٤، باب ٦، حديث ٤٤٢٤.

﴿يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^١.

يقول الفيض الكاشاني الهائم بالعشق الالهي:

الكنز الأبدي يكمن في أتباع الحق وعبادته.

ومفتاح الخير يكمن في الصلاة.

ومعنى الصلاة حضور قلب المحب.

لا ترض من العبودية دون الالتزام بادابها.

ودع الوسواس لا يجديك نفعاً واقبل على العبادة بفؤادك وروحك ان أردت

لعبادتك الخلوص اقطع الطريق على غول الوسوسة وان أردت الأتفوتك

الفضيلة فلا تدع الطهور.

واذن فيا أيها العزيز شمر عن ساعدك واشدد حيازيمك واسع الى اصلاح

حالك وصل لربك كما يصلّي أهل المعرفة واعلم انك اذا اقامت الصلاة تامة

كاملة كانت لك دواء لكل داء ومفتاح الحل لكل مشكل.

ان الصلاة التامة تضيء النفوس والقلوب وتفتح أمام الانسان الطرق والآفاق

والدروب وهي المنطلق الى ساحة رب الأرباب وقرب الوصال وهي السبيل

للوصول الى الكمال فبادر اليها واقمها فهي السبيل يوم تنقطع السبل.

واعلم ان الصلاة:

«إِنْ قُبِلَتْ قَبْلَ مَا سِوَاهَا وَإِنْ رُدَّتْ رُدَّتْ مَا سِوَاهَا»^٢.

يقول العارف المرحوم الحاج ميرزا عبدالحسين الطهراني من تلامذة الشفتي

الاصفهاني^٣:

١- الزمر ٣٩: ٥٦.

٢- الأمالي، شيخ صدوق: ٦٤١، المجلس الثالث والتسعون؛ بحار الأنوار: ١٠/٣٩٣، باب ٢٥.

٣- اسرار الصلاة، تهراني: ٢٦.

«الصلاة تستجمع صفات سائر العبادات فالصيام امسك عن المفطرات والحج احرام من الميقات والزكاة بذل نفيس النفقات والجهد محاربة جنود الشياطين ومحراب العبادة ضد وسوسة الشيطان.

واذن فالصلاة وكل الأعمال ذات الصلة بها بمنزلة الاجزاء وهي على رأسها وأعلاها وجميع الأعمال دونها وعند ما ينتفي الكل ينتفي الجزء واذا ردّ المتاع الأعلى فان الأدنى مردود بطريق الأولى.

ومثل ذلك مثل سلطان يريد ويطلب تحفة وهدية من رعيته ويبالغ في حفظها ورعيته تحمل له ذلك من مكان بعيد وطريق طويل وفي الطريق أعداء لا يريدون وصول الهدية الى بلاط السلطان وعلى الرعية أن تسعى وتكافح أعداء كثيرين وقطاع طرق وسلايين للحفاظ على الهدية وايصالها سليمة الى بلاط السلطان. ومن بين هذه الهدايا ثمة هدية يحبها السلطان ويهواها فاذا وصلت هذه الهدية سليمة وكان السلطان راضياً فمن الطبيعي أن يقبل جميع الهدايا الاخرى وان رأى ان تلك الهدية المنشودة قد وقعت في أيدي اللصوص فانه يرد جميع الهدايا وسائر التحف.

الصلاة أفضل أحكام الله:

أجل ان الصلاة في السنام من الأحكام الالهية وان التوجه بهذه العبادة الى المحبوب وايصالها سليمة مسؤولية خطيرة؛ لأنه يتعين على المصلّي أن يواجه الشياطين في الداخل والخارج حتى لا تقع هذه التحفة النفيسة بأيدي اللصوص وقطاع الطريق على الله عزوجل.

ولذا يتعين على المصلّي أن يلتزم بجميع آداب وشروط الصلاة وبذلك يوفّر الأرضية للولوج الى بساط القرب الالهي والانس مع المحبوب. وليتبه المصلّي في حال حضور وقت الصلاة أن يخلع رداء الانانية ويرميه على التراب ويرتدي لباس الاحرام الذي هو لباس التقوى ويصوم عن كلّ المعاصي ما ظهر منها وما بطن ويشهر سيفه لمحاربة شياطين الباطن والظاهر بنيته الطاهرة وفكره المستنير ويدخل مسلماً في رحاب الرب الرحيم وخالق الوجود ويجثو مستسلاً في مذبح الفناء لتحصيل البقاء ويهتف بكلّ ذرة في وجوده، أن لا إله إلا الله وحده... تعالى ربنا عما يصفون.

حرمة تضييع الصلاة في الروايات:

لقد وردت روايات وأحاديث كثيرة حول حرمة تضييع هذه الامانة الالهية واليكم طائفة منها:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدًا صَالِحًا عليه السلام عَنْ قَوْلِ
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قَالَ: هُوَ
التَّضْيِيعُ؛

ان اهمال حقائق الصلاة وعدم ادائها على النحو الصحيح وغياب الطمأنينة فيها هو مصداق تضييع هذه الامانة الربانية.

١- الماعون ١٠٧: ٥.

٢- الكافي: ٢٦٨/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٢٧/٤، باب ٧،

حديث ٤٤٢٥.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا يَزَالُ الشَّيْطَانُ ذَعِرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ مَا حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ
الْحَمْسِ لَوْ قَتِهِنَّ، فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ فَادْخَلَهُ فِي الْعِظَائِمِ»^١.

قال الصَّادِقُ عليه السلام:

«فِي حَدِيثٍ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَدْفَعُ الشَّيْطَانَ عَنِ الْمُحَافِظِ
عَلَى الصَّلَاةِ وَيُلَقِّنُهُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَظِيمَةِ»^٢.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُدْعَى بِالْعَبْدِ فَأَوْلُ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ
الصَّلَاةُ فَإِذَا جَاءَ بِهَا تَامَّةً وَالْأَرْجَى فِي النَّارِ»^٣.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا تُضَيِّعُوا صَلَاتِكُمْ فَإِنَّ مَنْ ضَيَّعَ صَلَاتَهُ حُشِرَ مَعَ قَارُونَ
وَهَامَانَ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ
فَالْوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى صَلَاتِهِ وَأَدَاءِ سُنَّتِهِ (سُنَّةَ نَبِيِّهِ)»^٤.

وجاء في وصايا أمير المؤمنين لبعض أصحابه مؤكداً على أهمية الصلاة ولا

١- الكافي: ٢٦٩/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، حديث ٩٨ وسائل الشيعة: ٢٨/٤، باب ٧، حديث ٤٤٢٦.

٢- وسائل الشيعة: ٢٩/٤، باب ٧، حديث ٤٤٢٩.

٣- عيون اخبار الرضا: ٣١/٢، باب ٣١، حديث ٤٥؛ وسائل الشيعة: ٢٩/٤، باب ٧، حديث ٤٤٣٠.

٤- عيون اخبار الرضا: ٣١/٢، باب ٣١، حديث ٤٦؛ وسائل الشيعة: ٣٠/٤، باب ٧، حديث ٤٤٣١.

يكونوا من الذين يلقون في النار ثم لما يسألونهم: ما سلككم في سقر؟

قالوا لم نك من المصلين.

ان الصلاة تنفض عن الانسان المؤمن ذنوبه كما تنفض الشجرة أوراقها.

وقد شبه النبي الأكرم ﷺ الصلاة بنهر يجري من أمام البيوت فالذي يغتسل

في هذا النهر خمس مرات في اليوم هل يبقى عليه درن.

والمؤمنون الحقيقيون عرفوا حق الصلاة العظيم معرضين عن كل ما يشغلهم عن أدائها.

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ

الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^١.

وقد بشر رسول الله ﷺ بالجنة من أجل الصلاة وكانت قرّة عينه.

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^٢.

وكان يأمر أهله بالصلاة ويصطبر على الصلاة.

ذلك ان لها دور كبير في الاستقامة.

ان الانسان المؤمن هو الذي يعي أهمية الصلاة في حياة الانسان ومستقبله في الآخرة^٣.

قال الامام الباقر عليه السلام:

«دخل رجل مسجداً فيه رسول الله فرأى رجلاً يخفف سجوده دون ما ينبغي

ودون ما يكون السجود فقال رسول الله ﷺ: نقر كنقر الغراب لو مات على هذا

مات على غير دين محمد ﷺ»^٤.

١- النور ٢٤: ٣٧.

٢- طه ٢٠: ١٣٢.

٣- نهج البلاغة: خطبه ١٩٠؛ وسائل الشيعة: ٣٠/٤، باب ٧، حديث ٤٤٣٢.

٤- الكافي: ٢٦٨/٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها؛ المحاسن: ٧٩/١، باب ٣، حديث ٥؛ بحار

الأنوار: ٢٣٤/٨١، باب ١٦، حديث ٨

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«إذا قام المصلّي الى الصلاة نزلت عليه الرحمة من اعنان السماء الى اعنان الأرض وحفت به الملائكة وناداه ملك لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل»^١.

وروي هارون بن خارجة قال:

ذكرت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: رجلاً من أصحابنا فاحسنت عليه الشاء فقال لي: كيف صلاته؟^٢

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله عزوجل اليه أو قال: أقبل الله عليه حتى ينصرف وأظلمت الرحمة من فوق رأسه الى افق السماء والملائكة تحفة من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول له: ايها المصلّي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولازلت من موضعك ابداً»^٣.

وقال الامام الصادق عليه السلام: «إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّها لوقتها صلاة مودع يخاف ألا يعود فلو تعلم من في يمينك وشمالك لأحصنت صلاتك واعلم انك بين يدي يراك ولا تراه»^٤.

١- الكافي: ٢٦٥/٣، باب فضل الصلاة، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٣٢/٤، باب ٨، حديث ٤٤٣٥.

٢- الكافي: ٤٨٧/٣، باب النوادر، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٣٢/٤، باب ٨، حديث ٤٤٣٦.

٣- وسائل الشيعة: ٣٢/٤، باب ٨، حديث ٤٤٣٧.

٤- وسائل الشيعة: ٣٤/٤، باب ٨، حديث ٤٤٤٣.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «اذا قام العبد في الصلاة فخفف صلاته قال الله تبارك وتعالى لملائكته: أما ترون الى عبدي كأنه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري اما يعلم ان قضاء حوائجه بيدي»^١.

قال عليه السلام: «إِنَّ أَسْرَقَ النَّاسِ مِنْ سَرَقَ مِنْ صَلَاتِهِ»^٢:

أحب الأعمال:

ان على الانسان الذي يريد الولوج الى عالم الصلاة العظيم ويدرك هذه الحقيقة السامية أن يطوي مراحل ومنازل في سير وسلوك معطاء، ففي المرحلة الاولى يتوجب عليه أن يتطهر في مسألة اللباس والمكان وماء الوضوء والغسل والتراب للتميم فلا ينبغي أن يكون عليه في كل ذلك حق من حقوق الناس وبيت المال.

فلو كانت ذرة من أجزاء اللباس أو جزء من المكان ومحل الصلاة أو قطرة من ماء الوضوء أو ذرة من تراب التيمم مفضوبة أو حراماً فان الانسان لن يكون مؤهلاً للدخول في رحاب الصلاة ولن يكون ضعيفاً على المحبوب.

فالصلاة في اللباس المغصوب وكذلك الماء والتراب غير المباح وأداء الصلاة في مكان غير مشروع ليست صلاة حتى لو جهد المصلّي في أدائها وعانى ما عانى في ذلك.

وكيف يمكن لمن تلوّث بالمال الحرام أو توضع بالماء المغصوب أن يدخل

١- وسائل الشيعة: ٣٥/٤، باب ٩، حديث ٤٤٤٧.

٢- وسائل الشيعة: ٤٨٠/٥، باب ٤، حديث ٧١١٠.

رحاب العزّة؟

ان رحاب الصلاة هو محل الأطهار ومنزل العرفاء العلماء والعشاق ومن المستحيل على العارف العاشق أن يتمرد على أمر المعشوق في مسألة اللباس والمكان ومسائل النظافة الطهور.

وكيف يمكن للمؤمن أن يتوضأ بالماء المغصوب ويتمم بالتراب المغصوب وهل تحصل الطهارة بذلك حتّى يمكنه الصلاة؟

وبعد أن يقضي المؤمن ما عليه ويؤدي هذه المرحلة في اللباس والطهارة والمكان يكون قد طوى هذه المرحلة ليصل الى مرحلة اخرى ومنزلة آخر وهو عبارة عن خلعه لباس الذنوب عن وجوده وارتداء لباس التقوى وازالة غبار الشيطان وترايه عن مرآة النفس والتيمم بتراب زقاق المحبوب وتطهير القلب من الهوى والرذائل بماء العشق والتخلص من ارض النفاق والمكر والحيلة والدخول في مقام التسليم وهو مقام لا يبقى فيه سوى الطهر والنقاء في الظاهر والباطن.

اهب روحي في حبه.. أنا العاشق الذي هام بالمحبوب.

لا نسل مني اذ تراني هائماً.. حيرتني تخبر عن عمق هيامي.

هجرانه يتلف الروح إن أراد.. أهب الروح والعمر دون الهجران.

لباس التقوى:

هنا لك ترتدي لباس التقوى وتتوضأ بماء العشق وتضع قدميك في درب المحبوب وقد بلغت مقام التسليم وأصبحت على أهبة الاستعداد للسفر الى مرحلة اخرى وهذه المرحلة هي اخلاء القلب من غير المحبوب لأنك اذا لم تخل القلب من غيره فكيف يمكنك ان تخلص النية والارادة في التطهر؟

وانقذ حواسك ومشاعرك وأفكارك من الفرقة والشتات واجمعها حول محور العشق وانتبه لهذه الحقيقة وهي انك في رحاب معراج الوجود وفي هذا السفر عالج ألم الفراق بدواء الوصال.

يقول الامام الخميني في هذا المضمار:

اعلم ان أهل المعرفة وأصحاب المراقبة يحافظون على قدر معرفتهم بمقام الربوبية المقدس واشتياقهم الى مناجاة الباري عزّ اسمه على اوقات الصلاة التي هي ميقات المناجات وميعاد الملاقة مع الحق.

وهؤلاء قد سكرُوا بكأس «ألسْت» قد جذبهم جمال الجميل فهم عاشقون هائمون بحسن الازل، قد انقطعوا عن أقاليم الوجود وأتصلوا بعزّة قد جمال الله المعبود فهم في حضور دائم في رحابه ولا يغفلون عن ذكره ومشاهدته بقلوبهم. وهؤلاء هم أصحاب المعارف وأرباب الفضائل شرفاء النفوس كرام الطين لا يبدلون بمناجاة الحق شيئاً قد استغرقهم الاتصال بالمحجوب ومناجاته.

يرون عزّهم وشرفهم وفضيلتهم ومعرفتهم في ذكر الحق ومناجاته وهؤلاء ان نظروا ال الكون فنظراتهم عرفانية ينشدون الحق ويبحثون عنه ويرون في الكائنات جميعاً تجلياً للحق وجماله.

وهؤلاء يحافظون على اوقات الصلاة بأرواحهم وقلوبهم قد استعدّوا واعدّوا العدة للحضور في الميقات فقلوبهم حاضرة وأرواحهم مشتاقة يرون العبودية في مودة المحجوب والعشرة مع المعبود الكامل المطلق؛ ولهذا فهم في شوق دائم وهيام مستمر.

وهؤلاء المؤمنون بالغيب وعالم الآخرة قد هاموا بكرامات الحق ذي الجلال

وهؤلاء لا يستبدلون بالنعم الأبدية واللذائذ الفردوسية والسرور الدائم السرمدي الأبدى اللذائذ الدنيوية الناقصة الموقته المشوبة.

قد احضروا قلوبهم في وقت العبادة الذي هو فصل بذر النعم الاخروية فهم مقبلون على العبادة بشوق ينتظرون وقت حصول الناتج وكسب الذخائر في أوقات الصلاة ولا يبدلون النعم الخالدة بأي شيء.

وهؤلاء قد شهدوا بقلوبهم ما في عالم الغيب فايما نهم ايمان قلبي يرون في أوقات العبادة غنائم يغنمونها ولا يضيعون أوقاتها «اولئك أصحاب الجنة وأرباب النعمة هم فيها خالدون».

وهذه طوائف ذكرت وبعضها لم يرد لها ذكر. العبادات الديرهم لذّة يغنمونها بحسب مراتبهم ولا يرون التكليف كلفة ولا تكلفاً.

يقول نشاط الاصفهاني:

ومحفل عشقه لما تجلّى في البدء تزّين للغرباء.

والساقى يدور بالخمرة ويرشق الصدور بناراها.

ذاهلاً عن نفسه صريعاً... هوى لا يعرف رأسه من قدمه.

وشخص الانسان الذي هو الاكمل يشمله لطف الحق أكثر.

اما نحن المساكين الذين شغلتهم الآمال وفتنتهم الأماني اسرى سلاسل الهوى والرغبات سجناء في مظامير الطبيعة الظلمانية لا نشم شذى المحبة والعشق ولا تصل أرواحنا نسائم اللذة العرفانية ولا تضيء قلوبنا فضيلة العشق لا نحن من أصحاب العرفان ولا أرباب الطمأنينة والايامن.

نرى في العبادات الالهية تكليفاً وكلفة والمناجاة مع قاضي الحاجات عالية

وتكلفاً لا نركن لشيء سوى الدنيا التي هي معلف الحيوانات عاكفين على دار الطبيعة التي هي معتكف الظالمين قد عميت بصائرنا عن رؤية جمال الجميل وتعطلت حاسة الذوق الروحية عن ادراك حلاوة العرفان.

فيم انهيت عمرك ايها الانسان وفيم افنيت قوتك وقوتك.

وفي أي شيء هثمت جوهرتك وفي أي شيء تعلقت حواسك الخمس.

لقد انفقت سمعك وبصرك وفطنتك وجواهر العرش فأني شيء اشترت يا

ترى بكل ذلك؟^١

أجل لقد قال سيد العارفين وسيد العابدين الذي هو من مدارج العرفان في

الذرى وفي المحبة في الاوج:

«أَيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»^٢.

الهي أية بيتوته في دار الانس يمضيها محمد معك وأي طعام تطعمه

وأني شراب تسقيه حتى انقطع من كل شيء الأليك وانصرف عن كل وجه

الأ وجهك.

وقد قال حبيبك يا رب:

«لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسَعُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»^٣.

وهذا الوقت أهو من أوقات الدنيا أم من أوقات الآخرة أم هو وقت يكون فيه

قاب قوسين أو أدنى.

وقد تم ميقات موسى بن عمران كلیم الله أربعين ليلة وقال عزوجل:

١- مشوي معنوی، مولوی.

٢- عوالی اللالی: ٢٣٣/٢، باب الصوم، حدیث ١؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٦٤، تنمیم.

٣- بحار الأنوار: ٢٤٣/٧٩، باب ٢، حدیث ١.

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^١.

وبهذا الموضع لم يبلغ الميقات المحمدي اذ خاطب الله نبيه موسى في

الميعاد:

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^٢.

وقد فسرت بمحبة أهل بيت وبالرسول الخاتم قد أمر بحب علي ليس في القلوب الخاوية من هم سوى الدنيا وهم حبك اذهلني عن الدنيا وتربة آدم جبلت على عشقك والذي لا يصبح تراباً في طريق عشقك ليس آدمياً والحديث يطول عن جنوني وحسبك وقصتنا لا تقل عن قصة مجنون ليلي.

لو ان الاطباء صنعوا مرهماً للوعة حبك^٣.

المناجاة في الصلاة:

وأنت ايها العزيز اغتنم بالقدر الذي يتيسر لك والمقدار المقدر لك هذا الوقت وقم بأداب القيام القلبية حتى يعي قلبك ان علة الحياة الأبدية الاخروية ونبع الفضائل النفسانية ورأس مال الكرامات اللانهائية.

هو بمؤانسة الحق ومناجاته خاصة في الصلاة التي هي عصير روحاني قد صنعه الحق ذوالجلال وقد جعل من الصلاة عصارة جميع العبادات فهي العبادة الأكمل والأشمل فحافظ ما استطعت عليها وعلى أوقاتها فان لها من النورانية ما

١- الاعراف ٧: ١٤٢.

٢- طه ٢٠: ١٢.

٣- هلالى جغتايى.

ليس لغيرها من الاوقات.

وقل ما استطعت من الانشغالات القلبية في أوقاتها بل اقطعها ان تمكنت فان فعلت ذلك وفقت وتكون بالحياة الأبدية قد فزت.

فانتخب لوقت المناجاة وقتاً خاصاً لا يكون لك فيه عمل ولا شغل ويكون قلبك فارغاً إلا من هم الصلاة حتى يكون لقلبك من الحضور ما يرقى بك ويسمو بوجودك. وتأمل بما جاء في الأحاديث من حالات المعصومين وتدبر في ما يعتر بهم عند الصلاة فقد تتبه.

ولعلنا نستطيع أن نفهم قلوبنا المهجورة الخاوية بأن أوقات الصلاة هي أوقات الحضور في رحاب القدس ذي الجلال وأن هذه الأوقات هي دعوة الحق تعالى ملك الملوك العظيم المطلق لعبده الضعيف البائس بالحضور في رحابه ومناجاته وان هذه الأوقات هي اذن من الله عزوجل لعبده في الدخول الى بلاطه للفوز بالسعادة الأبدية والسرور الدائم.

وليكن لدينا في دخول وقت الصلاة من المعرفة ما يجعلنا نبتهج ونفرح وأن نستشعر عظمة هذا المقام وخطره حتى يحصل الخوف وتحصل الخشية ولأن قلوب الأولياء مختلفة وحالاتها متفاوتة فان المشاعر التي تنتابها مختلفة فهي تأتي بحسب التجليات اللطيفة والقهرية وبقدر استشعارها العظمة والرحمة والجمال وما يدفعها للقول «ارحنا يا بلال» وربما وصل بها طوفان المشاعر الى الارتجاف واصابها من الرعدة ما ترتجف منها الابدان.

بقدر ما ينهل المرء من فيض عشقه يتطهر من الحرص وكل العيوب.

وهو المعشوق؛ والعاشق حجاب وستار.

والمعشوق حي والعاشق ميت.

والجسم الترابي من عشقه يسمو الى الافلاك ويرقص الجبل من جراء ذلك ويطرب.
العشق هو من يمنح البقاء للحياة.
فانتخب العشق فالأنبياء وجدوا في العشق سر الوجود.

آداب الصلاة وأوقاتها:

ويا ايها الضعيف ان الآداب القلبية هي أن تستعد للدخول في رحاب مالك الدنيا والآخرة فتكلمه وتخاطبه عزوجل واستشعر ضعفك وعجزك ومسكنتك وبؤسك وأنت تقف بين عظيم مطلق العظمة وكبير له الكبرياء والجلال؛ حيث الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين في رحابه في ذهول قد أقرؤا بمسكنتهم وذلتهم.

وانك ان استشعرت ذلك نفذ الخوف في قلبك واستشعر الخشية فؤادك هنالك تدرك ان عبادتك لا تساوي فتيلاً.

واستشعر في قلبك سعة رحمته وكمال عطفه ورأفة وحاطة رحمانية وقد قبل ضعيفاً في رحاب قدمه بكل ما يحمله من الادران والمسكنة والحرمان.
قد أنزل عليه الكتب وبعث ملائكته بالرسالات وأرسل اليه الأنبياء تدعوه الى محفل الانس به من غير استعداد لذلك من غير نفع وجدوى له عزوجل أو ملائكته أو أنبيائه ورسله.

طبعاً ان القلب بهذا التوحيد يحصل له الانس ويستشعر الرجاء والأمل واذن استعداد للحضور بقدمي الخوف والرجاء وبالرغبة والرغبة وبالعدّة والعدّة وادخل بل خجل وفؤاد وجل؛ واستشعر الانكسار والذلة والضعف والمسكنة واستشعر عزم لياقتك في الحضور وجدارتك بالمشول ولا ترى لعبادتك وعبوديتك وزناً.
واطلب فقط شمولك برحمته واسأله من عميم لطفه جلّت قدرته فان جعلت

ذلتك نصب العين وتواضعت من كل قلبك ونفسك للذات المقدسة واعتبرت نفسك وعبوديتك لا قيمة لها فان الحق تعالى يشملك بألطفه ويرفعك ويخلع من كراماته عليك!

وكلّ هذه النعم والألطف وكلّ هذا العشق والمحبة والود وكلّ هذه الكرامات والرأفة والرحمات جزء من آثار الصلاة ونتائجها.

الصلاة أحب الأعمال:

والله ما قالوا اعتباراً إن قالوا ان الصلاة باب الرحمة ورحاب القدس وميقات العاشقين ومعراج المؤمنين وعشق العارفين وطريق العالمين وصراط المبصرين وسراج المتحيرين ووسيلة القرب الى رب العالمين وعلاج الآلام والدواء لكل الأسقام ولقد جاء في الروايات الامامية ان الصلاة أحب الأعمال إلى الله عزوجل فقسماً بالحق لقد ذكروا الحقيقة بل عين الحقيقة في الملك والملكوت.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «عَنْ أَفْضَلِ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى رَبِّهِمْ وَأَحَبُّ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَا هُوَ؟» فَقَالَ: «مَا أَعْلَمُ شَيْئًا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الصَّلَاةِ إِلَّا تَرَى أَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ» عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَالَ: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»^١

١- الكافي: ٢٦٤/٣، باب فضل الصلاة، حديث ١، وسائل الشيعة: ٣٨/٤، باب ١٠، حديث ٤٤٥٣.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«أحب الأعمال إلى الله عزّوجل الصلاة وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السلام فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه وهو راکع أو ساجد ان العبد اذا سجد فأطال السجود نادى ابليس: يا ويلاء أطاع وعصيت وسجد وأبيت»^١.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «صَلَاةٌ فَرِيضَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِشْرِينَ حَبَّةً وَحَبَّةٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَمْلُوءٍ ذَهَبًا يَتَصَدَّقُ مِنْهُ حَتَّى يُفْنَى»^٢.

وجاء في حديث للامام الصادق عليه السلام قال:

«يؤتى بشيخ يوم القيامة فيدفع إليه كتابه ظاهر مما يلي الناس لا يرى إلا مساوي فيطول ذلك عليه فيقول يا رب أتأمرني إلى النار؟ فيقول الجبار جل جلاله: يا شيخ اني استحيي أن اعدبك وقد كنت تصلي في دار الدنيا اذهبوا بعدي الى الجنة»^٣.

يا من تنصر الحزاني بكرمك الذي تحيا القلوب الميتة بذكره.

نورك يضيء ليلي المظلم وترابي يستحيل الى روضة غناء بحبك.

يا شفاء القلوب الجريحة وطهر روحي ونفسي.

١- الكافي: ٢٦٤/٣، باب فضل الصلاة، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٣٨/٤، باب ١٠، حديث ٤٤٥٤.

٢- الكافي: ٢٦٥/٣، باب فضل الصلاة، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٣٩/٤، باب ١٠، حديث ٤٤٥٦.

٣- الأمالي، شيخ صدوق: ٣٧، المجلس العاشر، حديث ٢؛ روضة الواعظين: ٤٩٨/٢، مجلس في ذكر

القيامة؛ بحار الأنوار: ٢٠٤/٧٩، باب ١، حديث ٤.

أمدّ يدي أنا السائل نحو كرمك فأنا محتاج فقير وعينا يترنوان الى كراماتك
وفؤادي يتجه نحو رأفتك.

اجعل روحي صافية كالمرآة ونفسي انرها بنورك.
وليشرق حبك على قلبي ولتكن انيسي في ليلي ونهاري.
وذكرك شفائي وعشقتك سرّ بقائي.

لن يسهو قلبي عن ذكرك لأنك ناصرني في هنا وهناك.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الصَّلَاةُ
وَالْبِرُّ وَالْجِهَادُ»!

عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ:
«حَجَّةٌ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَصَلَاةٌ فَرِيضَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ
حَجَّةٍ»^٢:

منزلة المصلين:

الانسان المصلّي آنية القيم الالهية، وما ورد في الآيات القرآنية عن الصلاة
باعتبارها اعظم الأعمال التي تحظى بالقيمة الالهية وكذا ما جاء في الروايات في
ان الصلاة أحب الأعمال الى عزوجل كلّ ذلك يفضي الى أن نتصور ما للمصلّي
ومقيم الصلاة من المنزلة لدى الحق تبارك وتعالى وما يتلقاه المصلّي من الفيض
الرباني.

١- الخصال: ١٨٥/١، حديث ٣٥٦؛ وسائل الشيعة: ٤/٤٠، باب ١٠، حديث ٤٤٥٩؛ بحار الأنوار:

١١/٩٧، باب ١، حديث ١٩.

٢- التهذيب: ٢٤٠/٢، باب فضل الصلاة، حديث ٢٢؛ وسائل الشيعة: ٤/٤٠، باب ١٠، حديث ٤٤٦٠.

ويكتسب المصلّي اسمى الدرجات العالية من ناحيتين فمن جهة انه ولأجل اقامته الصلاة مضطر الى اجتناب الكثير من المحرمات الظاهرية من قبيل المال الحرام اللباس المغصوب المكان المغصوب الماء غير المباح وتناول اللقمة الحرام ومن جهة اخرى فانه ملزم باجتناب القسم الأعظم من المحرمات الباطنية من قبيل التكبر والحسد والرياء والنفاق والخداع والشر والعجب والحقد والضعيفة.

كما ان المصلّي على اتصال بالآداب القلبية والروحية للصلاة مكتسباً حسناتها وفضائلها من قبيل المراقبة المحاسبة، التوجه، الذكر، الخلوص، الطهر والنقاء وكل هذه البركات من الصلاة وتوفيق من الله تبارك وتعالى.

واذن بترك المحرمات تحصل التقوى وبقامة الصلاة تحصل الحسنات وبالتقوى يكون أكرم العباد حتى يبلغ أرفع الدرجات وهل في العالم ما هو أرفع من مقام التقوى حتى انه ليقول: «لي مع الله».

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^١.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^٢.

أجل لقد قال سبحانه:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^٣.

وكما قال المعصوم: «الصلاة معراج المؤمن»^٤.

١- الحجرات ٤٩: ١٣.

٢- النحل ١٦: ١٢٨.

٣- العنكبوت ٢٩: ٤٥.

٤- بحار الأنوار: ٣٠٣/٧٩، باب ٤.

الالتفات الى حقيقة الصلاة:

إن الالتفات الواقعي الى حقيقة الصلاة وآدابها وشروطها يصون الانسان من كل الذنوب الكبيرة والصغيرة هذا من جهة ومن جهة اخرى يرتفع الانسان ويرتقي بتوفيق الله عزوجل الى اسمى قمم التقوى وضبط النفس وحفظها من الوقوع في الذنب كذلك وبسبب ما في النية والتكبير والحمد والركوع والسجود والقنوت والتشهد من حقائق حيث تعرج بالانسان الى تلك الحقائق وهذا طرفا الصلاة التي تمنح الانسان النصيب الأعلى، وفي ضوء المحاسبة الدقيقة على أساس الآيات والروايات وتحقيقات الأولياء والعرفاء والعلماء الواعون ان وجود المصلي الحقيقي أعلى من وجود الامة وهذا الكلام لم يلق على عواهنه من دون تأمل.

أجل يا مقصد السائرين ويا ثروة العاشقين ويا آهة النائحين ويا سر المحتاجين وسرور المشتاقين ويا أنيس المحبين ويا مونس العارفين! هؤلاء الذين يقصدونك بعد أن بلغوا المعرفة بمقامك وفقهم لاقامة الصلاة من أجل السير نحوك؛ لأنه من دون الصلاة لا يتيسر وصالك هؤلاء الذين جاءوا يطلبون منك ما يحتاجون من زاد العشق أجل يا غاية آمال المحبين.

يا من في قلوب عاشقيه من حكايات الحب ويا من تكمن حججه في ما خلق من الأشياء.

جاءت في لطف ذاتك الأفكار وانكشفت على علمك القديم المخفيات في بحر كمالك الكاملون وفي قبورك اكتمل كل ما هو ناقص.

ويا من لطفه دواء لكل ألم انني انشد آلامك فيك دون كل دواء!

قيمة المصلين في الأحاديث القدسية:

جاء في الأحاديث القدسية عن قيمة وجود المصلين ما يدفع بالفكر الى التأمل.

«لَوْ لَا شَيْوْخٌ رُكَّعٌ وَشَبَابٌ خُشَّعٌ وَصَبِيَّانٌ رُضَّعٌ وَبَهَائِمٌ رُزَّعٌ
لَصَبَّتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبًا»^١:

«بَا أَهْلَ مَعْصِيَتِي لَوْلَا مَنْ فِيكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَحَابِّينَ
بِجَلَالِي الْعَامِرِينَ بِصَلَاتِهِمْ أَرْضَى وَمَسَاجِدِي وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ خَوْفًا مِنِّي لِأَنْزَلْتُ عَذَابِي ثُمَّ لَا أَبَالِي»^٢:

وهاتان الروايتان تدلان بوضوح على ما يتمتع به المصلون من المنزلة الرفيعة بحيث ان الله عزوجل يرفع عن الامم العذاب لوجودهم.

زكريا بن آدم و احترامه:

وزكريا هذا من اصحاب الامام الرضا عليه السلام وقد جاء في الروايات حوله:
عن علي بن المسيب الهمداني قال: قلت للرضا عليه السلام: شقتي بعيدة ولست اصل
اليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم القمي
المأمون على الدين والدنيا.

قال علي بن المسيب: فلما انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عما
احتجت اليه^٣.

١- كلمة الله: ٧٦.

٢- الأملاني، شيخ صدوق: ١٩٩، المجلس السادس والثلاثون؛ بحار الأنوار: ٣٨٣/٨٠، باب ٨، حديث ٥٧.

٣- وسائل الشيعة: ١٤٦/٢٧، باب ١١، حديث ٣٣٤٤٢؛ سفينة البحار: ٤٧٠/٣، باب الزاء بعده الكاف.

وقال زكريا بن آدم قلت للرضاء عليه السلام اني اريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء. فقال عليه السلام: لا تفعل فان أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن^١. وقد كان زكريا بن آدم من كبار شخصيات الامامية ومحل ثقة واحترام ائمة أهل البيت عليهم السلام وكانوا يكرمونه بالهدايا وكان كفه احدى هداياهم^٢.

أجل هذا جاهد الانسان المؤمن عند الحق تعالى ولدى الأنبياء والأئمة الكرام ان الله تعالى واكراماً لعبده المؤمن ينزل بركاته على الناس لأجل وجودهم ويرفع عنهم العذاب.

وما أحلى وأحسن أن ينظم الانسان ايقاع حياته في كل شيء على نسق ما سار عليه الأنبياء والأئمة والأولياء بالايمان والعمل الصالح ليلبغ الانسان رشده وما يتطلع اليه من الكمال في العقل والقلب والنفس وينقذ وجوده من ظلمات الجهل والغفلة متطلقاً الى رحاب النور ومقام القرب ونقطة الوصال السامية.

قيمة المصلي:

جاء في الحديث القدسي حول قيمة المصلين:

«إِنَّ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي الْمَتَعَلِّقَةُ قُلُوبُهُمْ
بِالْمَسَاجِدِ وَالْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ
بِأَهْلِ الْأَرْضِ عُقُوبَةً ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُ الْعُقُوبَةَ عَنْهُمْ»^٣.

١- الاختصاص: ٨٧؛ بحار الأنوار: ٢٧٨/٤٩، باب ١٨، حديث ٣٢؛ سفينة البحار: ٤٧١/٣، باب الزاء بعده الكاف.

٢- سفينة البحار: ٤٧١/٣، باب الزاء بعده الكاف.

٣- مكارم الأخلاق: ٤٦٧، الفصل الخامس في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله؛ بحار الأنوار: ٧٤، ٨٨، باب ٤،

وجاء في احدي الروايات ان رسول الله ﷺ دخل المسجد وكان فيه بعض أصحابه فقال ﷺ: اتدرون ما يقول ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال صلوات الله عليه ما معناه هذه الصلوات الخمس من أداها في وقتها وحافظ عليها فانها تلاقى الرب تعالى فيدخله الجنة بعهدده سبحانه وتعالى ومن لم يؤدها في وقتها ولم يحافظ عليها فان الله شاء أن يعذبه أو يغفر له^١.

وهذه رواية هامة وردت في كتاب الأمالي قال رسول الله ﷺ: ان لله تبارك وتعالى ملكاً يسمى سخائيل يأخذ البروات (البراءات) للمصلين عند كل صلاة من رب العالمين جل جلاله فاذا أصبح المؤمنون وقاموا وتوضؤوا وصلوا صلاة الفجر أخذ من الله عزوجل براءة لهم مكتوب فيها أنا الله الباقي عبادي وامائي في حرزي جعلتكم وفي حظي وتحت كنفى صيرتكم وعزتي لا خذلتكم وانتم مغفور لكم ذنوبكم الى الظهر.

فاذا كانت وقت الظهر فقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم من الله عزوجل البراءة الثانية مكتوب فيها: انا الله القادر عبادي وامائي بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم السيئات واحللتكم برضائي عنكم دار الجلال.

فاذا كان وقت العصر فقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم من الله عزوجل البراءة الثالثة مكتوب فيها: أنا الله الجليل جل ذكري وعظم سلطاني عبيدي وامائي حرمت أبدانكم على النار واسكتكم مساكن الأبرار ودفعت برحمتي عنكم شر الأشرار.

فاذا كان وقت المغرب فقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم من الله عزوجل البراءة الرابعة مكتوب فيها: أنا الله الجبار الكبير المتعال عبيدي وامائي سعد ملائكتي من عندكم بالرضا وحق علي أن ارضيكم واعطيكم يوم القيامة منيتكم، فاذا كان وقت العشاء فقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ من الله عزوجل لهم البراءة الخامسة مكتوب فيها: اني أنا الله لا اله غيري ولا رب سواي عبادي وامائي في بيوتكم تطهرتم والى بيوتي مشيتم وفي ذكري خضتم وحقني عرفتم وفرائضي أدبتم اشهدك يا سخائيل وسائر ملائكتي اني قد رضيت عنهم.

قال: فينادي سخائيل بثلاثة أصوات كل ليلة بعد صلاة العشاء: يا ملائكة الله ان الله تبارك وتعالى قد غفر للمصلين الموحدين فلا يبقى ملك في السماوات السبع الا استغفر للمصلين ودعا لهم بالمداومة^١.

طوبى لمن عرف حق الله تبارك وتعالى وبادر للسير اليه مشتاقاً الى لقائه اولئك الذين يجدون في عبادته لذة ما بعدها من لذة اولئك الذين اذا حان وقت الصلاة بادروا الى اقامتها وتركوا كل شيء سوى لقاء المحبوب قد شدتهم الحب اليه والشوق الى لقائه فاذا الصلاة معراج يسمو بهم الى درجات الكمال.

ايها الساقى ناولني كأساً من شراب الروح.

آن لي أن اخلع حجاب الجسد.

الصلاة التي يقبلها الحق:

يتضح من خلال آيات القرآن الكريم والروايات المعتمدة ان الله عزوجل

١- الأمامي، شيخ صدوق: ٦٧، المجلس السادس عشر، حديث ٢.

أوجب الصلاة حباً بعباده من أجل تكاملهم وترشيد حركتهم ومساوهم في الحياة لقد جعل الله عزوجل الصلاة فريضة أكيدة على عباده في كل زمان ومكان فلا توجد امة من الامم ولا قوم من الأقوام لم يوجب الباري عزوجل الصلاة عليهم ان الصلاة أمر الهي وليس أمراً بشرياً لكي يستخف الانسان بها. والآمر هو الله سبحانه الرحمن الرحيم الكريم الخالق البارئ المصور والرزاق الجليل الغفور.

وقيمة هذا الأمر تتناسب مع قيمة الأمر وعظمته والامتثال لهذا الأمر واتباعه واجب ولازم؛ ذلك ان الصلاة تتجلى في اقامة النظام الدقيق والنأي بالانسان عن الفساد يتوقف على اتباع هذا الأمر الالهي.

ومسألة تجلي الصلاح في الحياة الذي هو حصيلة اتباع الانسان وانقياده لأمر المولى أمر لا يختص بالبشر بل ان اقامة النظام الاحسن في كل عالم الخليفة وفي ذرات كل كائن من أصغرها المتناهي في الصغر الى أعظم كائن في الوجود انما هو معلول باتباع الأمر الالهي.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا﴾^١.

ان مسألة تجلي النظام في ظل الأمر الالهي لا ينحصر في الحياة الانسانية وفي السماء والأرض بل في جميع أنواع الكائنات بما في ذلك عالم الغيب والشهادة وهذه الحقيقة أكثر سطوعاً من الشمس.

حقيقة الامر الالهي:

يمكن القول أساساً أن النظام الدقيق في وجود كل الكائنات من الذرة ونواتها الى عرش الله سبحانه هو في الحقيقة ذات الأمر الالهي.

وأي أمر أعلى وأجل أليس وجوده المقدس مالك ملك الوجود ورب العالمين؟ أليس هو المهندس والمعمار لهذا الوجود وهو يعرف مصلحة كل ذرة من ذراته؟ أليس الوجود كله مملوك له وبين يدي قدرته وفي قبضته وفي ظل رحمته؟ وهل يجدر بأحد غير الله عزوجل أن يأمر مخلوقاته وهل يحق لهذه المخلوقات وكل كائنات الوجود أن تتبع أمر غيره؟

ان أنبياء الله ورسله وأوصيائهم وكل أوليائه سبحانه وتعالى لم يأتوا الى الناس إلا ببلاغ أوامره ونواهيه وهذه هي الشرائع السماوية لا تشتمل على غير ذلك وعلى عباد الله ومخلوقاته أن تتبع أمره ونهيه تبارك وتعالى وعلى الناس جميعاً أن يقيموا النظام الذي ينهض على هذا الأوامر والنواهي في كل ميادين الحياة.

ولا يوجد في الأحكام الشرعية أمر الهي يرقى الى أمر الصلاة وعظمتها. ان الصلاة أمر الهي واردة ربانية من الخالق البارئ العادل الحكيم وقد شرعت لمصلحة الانسان نفسه وان اتباع هذا الأمر الالهي والامتثال له يضمن للانسان السعادة والخير في الدنيا والآخرة ذلك ان الصلاة عامل في ترشيد حركة الانسان نحو الكمال المنشود ولذلك يجب على كل انسان امرأة كانت أو رجلاً وفي أي موقع كان الامتثال لهذا الأمر الرباني وأن التمرد على هذا الأمر سيؤدي بالانسان الى الهلاك والسقوط في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ان الصلاة برنامج الهي يعود على الانسان بالنفع والخير المادي والمعنوي
والصلاة مفتاح وطريق لحل العديد من المشكلات الحياتية ان الصلاة تظهر
الانسان من كل الرذائل الأخلاقية.

الأمر الالهي بالصلاة:

فيما يلي طائفة من الآيات القرآنية التي تشمل على أمر اقامة الصلاة:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^١:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^٢:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ﴾^٣:

﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مَّوْقُوتًا﴾^٤:

١- البقرة ٢: ٤٣.

٢- البقرة ٢: ٨٣.

٣- البقرة ٢: ٢٣٨.

٤- النساء ٤: ١٠٣.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ
نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^١.

﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^٢.

الصلاة المقبولة:

الان وقد اتضح مقام الصلاة وعظمتها في ضوء أمر ذي الجلال وموقع هذا الأمر الالهي الحياتي بين سائر الأحكام الشرعية فان السؤال الذي يطرح هنا ما هي مقومات الصلاة المقبولة؟ وما هي شروط المصلّي الذي تقبل صلاته؟ وأي العباد يقبل البارّي تعالى صلاتهم؟

يتوجب القول في هذا المضمار انه ووفقاً لما ورد في كتاب الله العزيز والروايات والأخبار الصحيحة ان الصلاة المقبولة هي التي تفتقر بالشروط الثلاثة أدناه:

١- الايمان.

٢- التقوى.

٣- التوفر على الشروط الظاهرية والباطنية للصلاة في حدود وسع المكلفين من قبيل الطهارة الصحيحة، النية الخالصة، الوقت، المكان المباح، صحة القراءة، الترتيب، الموالة، الطمأنينة، القبلة وسائر الشروط الاخرى.

١- طه ٢٠: ١٣٢.

٢- الحج ٢٢: ٧٨.

فالصلاة لا تقبل ممن لا يحمل عقيدة صحيحة بالحق والقيامة والنبوة والكتاب والملائكة.

ولا تقبل صلاة من يظلم الناس ويعتدي على حقوق الآخرين.
قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^١

فيا اعزائي انتبهوا عند ما تقفون للصلاة انظروا بين يدي من تقفوا وفي رحاب من تصلون ولمن تركعون وتسجدون ان الصلاة اشبه ما تكون بالهدية فاحرصوا على ارضاء من تهدونها اليه.

ان على الانسان المصلي أن يؤدي الصلاة المقبولة؛ والصلاة المقبولة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتقود الانسان نحو الكمال المطلق.

والصلاة بمثابة عمود الخيمة وهي معراج المؤمن الى الله خالق الانسان.

وقد جاء في الروايات ان الله عزوجل لا ينظر الى من يصلي بجسمه دون قلبه^٢.

وجاء في حديث آخر: «الخشوع زينة الصلاة»^٣.

المصلون الحقيقيون:

ذكر أحد العرفاء في مؤلفاتهم رواية تصور أنبياء الله وأوصيائهم في حالات

الصلاة:

١- المائدة ٥: ٢٧.

٢- المحاسن: ٤٠٦/١.

٣- جامع الأخبار: ٣٣٧؛ بحار الأنوار: ١٣٣/٧٤، باب ٦، حديث ٤١.

كان ابراهيم الخليل أثناء وقت الصلاة يفور صدره فوران القدر.
وكان نبينا محمد ﷺ تعتربه حالة عجيبة في حال الصلاة لا يراها الانسان
في حالته العادية.

وذكرت احدى ازواجه انها ربما كانت تحادث النبي ﷺ ولكن ما ان حان
وقت الصلاة اذا به وكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام اذا توضأ للصلاة تغيّر وجهه من خشية الله فاذا صلى
ارتعد جسمه واصفرّ لونه فاذا قيل له: ما لك قال: حان وقت أداء الأمانة التي ابت
السموات والأرض أن يحملنها.

وكانت السيدة الزهراء تعتربها حالة من صعوبة التنفس أثناء الصلاة.
وكان ابن الزهراء الحسن بن علي عليه السلام اذا فرغ من الوضوء اصفر لونه فسئل
عند ذلك فقال: حق على من ورد على صاحب العرش أن يكون بهذا الحال.
وكان علي بن الحسين السجاد عليه السلام اذا توضأ انخطف لونه فقيل له في ذلك
فقال: اتدورن أمام من أقف؟

وكان يصلي يوماً فوق رداؤه فلم يلتفت اليه الى أن فرغ من الصلاة فقيل له
امسكت رداك؟

فقال: أتدرون بين يدي من أقف؟

ان صلاة العبد لا تقبل الا بمقدار ما لقلبه من الحضور أثناء الصلاة وقال
أحدهم للامام عليه السلام: هلكتنا اذن يا بن رسول الله فقال عليه السلام: ان الله بعباده رحيم
لطيف يقبل الصلوات الناقصة ويكملها بالنوافل والمستحبات.

ويصور الامام الصادق حالة جدّه علي بن الحسين اذا وقف للصلاة وكيف

ينخطف لونه فاذا سجد لا يرفع رأسه حتى يسيل العرق من جبهته ووجهه وكان يقف كجذع الشجرة لا يتحرك منه إلا ما تحرك الريح من أغصانها.

كان يقف جامداً لا يتحرك منه سوى ثيابه تحركها أنسام الرياح.

هؤلاء هم أئمتنا في الصلاة وهم لا يطلبون منا أن نصبح مثلهم كانوا يقولون

أعينونا بورع واجتهاد وعفة وسداد.

ان علينا ان نوفر شروط الصلاة من تقوى وايمان والشروط الظاهرية من

وضوء صحيح واداء صحيح للصلاة فعسى أن يقبلها الله وهو أرحم الراحمين.

وهذا حديث قدسي حول الصلاة التي يقبلها الله عزوجل:

«إِنَّمَا أَقْبِلُ الصَّلَاةَ لِمَنْ تَوَاضَعَ لِعَظْمَتِي وَبَكَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ

مِنْ أَجْلِي وَيَقْطَعُ نَهَارَهُ بِذِكْرِي وَكَرَّمَ قَلْبَهُ خَوْفِي وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ

الشَّهَوَاتِ مِنْ أَجْلِي وَلَا يَتَعَاطَمُ عَلَى خَلْقِي وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ وَيَكْسُو

الْعَارِيَ وَيَرْحَمُ الْمَصَابَ وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ فَذَلِكَ يُشْرِقُ نُورَهُ مِثْلَ

الشَّمْسِ أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلُمَاتِ نُورًا وَفِي الْجَهَالَةِ عِلْمًا أَكَلَاهُ بِعِزَّتِي

وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي يَدْعُونِي فَالْبَيْتِ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ فَمَثَلُ ذَلِكَ عِنْدِي

مِثْلُ الْفِرْدَوْسِ لَا يَسْمُو لَمَرُّهَا وَلَا يَنْغَيِّرُ وَرَقُّهَا»^١

الصلاة المردودة:

ما أكثر الناس الذين يمضون أعمارهم في أداء بعض الأحكام ولكن

١- المحاسن: ٢٩٣/١، باب ٤٧، حديث ٤٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٩١/٦٦، باب ٣٨، حديث ٦٦.

جهودهم تذهب كما قال القرآن الكريم: ﴿هَبَاءٌ مَّنْثُورًا﴾^١.

وهؤلاء الذين لم ينفذوا الايمان في قلوبهم كالمنافقين أو أهل المعاصي والذنوب وكالفاسقين أو الذين لا يهتمون لشروط الصلاة في قبولها ولا يهتمون لشأنها.

قال تعالى في سورة الماعون:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ *
الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^٢.

ومن التأكيد ان المنافقين والفاسقين هم من مصاديق سورة الماعون لأنهم لا يهتمون لشروط قبول الصلاة.

ان على الانسان أن يؤدي الصلاة بقدر وسعه واستعداده وقابليته وعلى النحو الأفضل والأكمل والأفهي صلاة مردودة من لدن المعبود عزوجل.
يقول الامام الصادق عليه السلام:

«ان العبد اذا صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقية تقول حفظتني حفظك الله واذا لم يصلها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله»^٣.

وجاء عن النبي ﷺ قوله: «ان رجلين من امتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض».

١- الفرقان ٢٥: ٢٣.

٢- الماعون ١٠٧: ٤ - ٧.

٣- بحار الأنوار: ٩/٨٠، باب ٦، حديث ٢.

وجاء في رواية قدسية:

«وَرَبَّمَا صَلَّى الْعَبْدُ فَاضْرِبُ بِهَا وَجْهَهُ وَأَحْجُبْ عَنِّي صَوْتَهُ
أَتَدْرِي مَنْ ذَلِكَ؟»

يا داوودَ ذاكَ الَّذِي يَكْثُرُ الْأَلْتِفَاتَ إِلَى حَرَمِ الْمُؤْمِنِينَ بِعَيْنِ
الْفِسْقِ وَذَلِكَ الَّذِي يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ لَوْ وُلِيَ أَمْرًا لَضَرَبَ فِيهِ
الرَّقَابَ ظُلْمًا:¹

«يا موسى لا أَقْبِلُ الصَّلَاةَ إِلَّا مِمَّنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي وَأَكْرَمَ قَلْبَهُ
خَوْفِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي وَلَمْ يَبْتَ مُصِرًّا عَلَى الْخَطِيئَةِ
وَعَرَفَ حَقَّ أَوْلِيَائِي وَأَحْبَبَانِي»:²

هل تقبل صلاة من ضيع حقوق الله ورسله وأوليائه؟

وهل تقبل صلاة أهل الفسق والفجور والغرقى في مستنقع المعاصي والذنوب؟

ما لم تكون هناك آصرة قوية من الإيمان والاسلام الحقيقي بين الانسان
وربه ومالم ينأى الانسان بنفسه عن الذنوب والمعاصي وما لم يهيء شروط
القبول للصلاة من طهر ونقاء وحضور للقلب والفؤاد وخشوع للنفس والروح فلن
يقبل الله الصلاة.

الصلاة في حالة الكسل:

حث أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه على اداء الصلاة في حالة من النشاط

١- عدة الداعي: ٣٨، الباب الأول في الحث على الدعاء؛ بحار الأنوار: ٢٥٧/٨١، باب ١٦، حديث ٥٥.

٢- كلمة الله: ٩٧، نقلاً عن الأمالي، شيخ صدوق.

وحضور القلب لأن الانسان لا يناله من الصلاة إلا بقدر ما لقلبه من الحضور في ادائها.
وجاء في حديث للامام الباقر عليه السلام قال: «ان الله نهى المؤمنين أن يقوموا
للصلاة وهم سكارى يعني النوم وبكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون».
وروى أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «صلاة ركعتين خفيفتين في
يقين خير من قيام ليلة»^١.

فقم بما عليك في أداء الوضوء أو الغسل أو التيمم بما يطابق أحكام الاسلام
ثم قف للصلاة في مكان مباح بل الأفضل في مسجد من المساجد واسع الى أن
تقرأ على نحو صحيح، وليكن قلبك حاضراً وعقلك وروحك أيضاً متجهاً الى
القبلة بيت الله.

وطهر نفسك من الرياء ومن الحسد والبخل والحقد والضغينة والعجب
والنفاق ومن كل الرذائل الأخلاقية.
ولتكن نيتك خالصة وكبير تكبيرة الاحرام بلسان عربي مبين ولتكن فترة
الصلاة رحلة الى الله تطهر فيها نفسك وقد قرّرت اجتناب الذنوب والمعاصي
والآثام حتى اذا سلّمت وفرغت تكون قد تطهرت فاذا نفسك بيضاء وقد قال
بعض العرفاء: ان الصلاة تبدأ من حيث تنتهي.
وقال عزّ من قائل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الخشوع في الصلاة:

يقول الامام الخميني في باب الخشوع:
ان حقيقة الخشوع عبارة عن الخضوع التام الممتزج بالحب أو الخوف.

١- مستدرک الوسائل: ٨٧/٣، باب ٢٩، حديث ٣٠٨٤.

وتفصيل هذا الاجمال هو ان قلوب أهل السلوك مختلفة بحسب جبلتها وفطرتها، قسم منها قلوب عاشقة وهي من مظاهر الجمال ووجهتها الى جمال المحبوب بحسب فطرتها.

ولأنها تدرك كل الجميل أو مشاهدة أصل الجمال في سلوكها فان العظمة المختفية في سرّ الجمال تمحوها وتدخلها عن نفسها لأنه في كل جمال يوجد جلال مستور وفي كل جلال يوجد جمال مستور ومن المحتمل أن يكون مراد أمير المؤمنين هذا المعنى في قوله عليه السلام:

«هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سِعَةِ رَحْمَتِهِ وَأَتَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ»^١.

واذن فان هيبة وعظمة وسطوة الجمال قد استغرقتها وتبدت حالة الخشوع مقابل جمال المحبوب أمامها.

وهذه الحالة في ابتداء الأمر توجب تزلزل القلب واضطرابه وبعد أن ترسخ هذه الحالة تظهر حالة الانس وتستحيل الوحشة والاضطراب الحاصلة من أثر العظمة والسطوة الى حالة من الانس والسكينة كما هي حالة قلب خليل الرحمن. وقسم من القلوب تستغرقها حالة الخوف من الجلال فهي خاشعة بسبب ادراك العظمة والكبرياء وخشوعها فوق اثر تجليات الأسماء القهرية والجلالية وهكذا كان سيدنا يحيى عليه السلام.

واذن فان الخشوع احياناً يكون ممتزجاً بالحب و احياناً ممتزجاً بالخوف والوحشة بالرغم من ان في كل حب وحشة وفي كل خوف حب.

١- نهج البلاغة: خطبة ٥٨٩ بحار الأنوار: ١٣٠/٤، باب ٤، حديث ٣٨.

مراتب الخشوع:

ومراتب الخشوع بحسب مراتب ادراك العظمة والحسن والجمال، ولأن امثالنا محرومون من نور المشاهدة بسبب ما فينا من النقص فاننا مضطرون الى تحصيل الخشوع عن طريق العلم أو الايمان.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^١.

والخشوع في الصلاة من علائم الايمان واذن فان كل من لا يخضع في صلاته فهو وبحسب قوله تعالى خارج عن زمرة أهل الايمان وصلاتنا التي ليس فيها خشوع هي بسبب نقص في الايمان أو فقدان الايمان.

ولأن الاعتقاد والعلم غير الايمان لذا فان العلم الذي يحصل لدينا بالحق وأسمائه وصفاته وسائر المعارف الالهية هو غير الايمان.

ان الشيطان وباعترافه واقراره له علم بالمبدأ والمعاد ومع ذلك فهو كافر.

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^٢.

﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^٣.

وبذلك فهو يعتقد بالمعاد كما تفيد الآية أعلاه وله علم أيضاً بملائكة الله وكتبه

ورسله ومع ذلك فقد خاطبه الله سبحانه ووصفه بالكفر واخرجه من زمرة المؤمنين.

واذن فان أهل العلم والايمان هم الممتازون وليس كل من له علم له ايمان

واذن يتوجب علينا أن ندخل سلوكنا العلمي في سلك المؤمنين وايصال عظمة

١- المؤمنون ٢٣: ١- ٢.

٢- الاعراف ٧: ١٢.

٣- الاعراف ٧: ١٤.

اللّه وجمال الحق في القلب لكي يخشع والأ فان مجرد العلم لا يؤدّي الى الخشوع.

وكما نرى في أنفسنا انه ومع اعتقادنا بالمبدأ والمعاد وبعظمة وجلال الحق فقلوبنا ليست خاشعة.

وجملة القول ان على السالك في طريق الآخرة وخاصة الذي يعرج بالصلاة ان يعمل على خشوع قلبه بنور العلم والايمان.

وان علينا أن نعمل على تغذية بارقة الأمل الرحمانية مهما تضاءلت حتى تشتد ويصبح الخشوع في القلب حالة ملازمة في كل صلاة.

وحالة الخشوع من التمكّن والرسوخ لامثالنا صعبة في بادئ الأمر ولكن ومع بعض الممارسة وارتياض القلب تصبح أمراً ممكناً.

فيا عزيزي ان تحصيل الكمال وزاد الآخرة يستلزم الجد والجهد وكلما كبر المطلوب استلزم من الجدّ والجهد أكثر، طبعاً ان معراج القرب الالهي والتقرب الى جوار رب العزة يحتاج الى همّة الرجال لكي يحصل المطلوب.

وها أنا أقف بقلب منكسر عاجزاً في حضرة رب العزة اناجيه وأسأله قائلاً:
يا محرم قلوب أهل الأسرار وأمل البائسين ويا نفخة الروح في دفتها لقد اشتقت الى حبك ويا رفيق المساكين وحيب قلوب العاشقين.

أنت من يفتح الطريق أمام الضائعين فليشرق نورك على قلبي.

ويا رب أنا الضعيف الكسير القلب ارحم عبدك الذليل.

أنا صريع الهوى الغارق في الذنوب.

ليس غيرك الذي يقصده الحائرون.

وليس سواك يتجه اليه المذنبون.

أيها الرب الغفور أيها الاله أنا عبدك الانسان المسكين اغفر ذنبي.

صورة تارك الصلاة:

تأمل أيها الانسان في ما أفاض ربك عليك من النعم هذه نعم رب العالمين تغمرك وهو سبحانه لم يقصر في ذلك في شيء فمنذ أن تتعقد نقطة الانسان وحتى آخر لحظة في حياته في الدنيا والنعم الالهية ترى عليه.

وان وجوده المقدس وعلى أساس اسم الرحمن قد شمل كل الكائنات بالنعم المادية وجعل للانسان على أساس اسم الرحيم النعم المادية والمعنوية.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^١

وقال في موضع آخر:

﴿وَأَنَّا كُفِّرْنَا بَلَاغَ الْكَلِمَاتِ لِقَوْمٍ آخِرٍ لِّمَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا

تُحْصَوْنَهَا﴾^٢

وقد قسم القرآن الناس الى فريقين في ضوء استهلاك النعم؛ فريق يستهلك هذه النعم حسب القوانين الالهية السامية وبالنتيجة يدلون نعم الحق الى عقائد صحيحة، واخلاق حسنة وأعمال سالحة.

وبهذا ينالون خير الدنيا والآخرة وبعبارة اخرى شكروا نعم الحق على أساس القوانين الالهية بمعنى انهم استهلكوا كل نعمة في نفس المورد الذي ارتضاه

١- لقمان ٣١: ٢٠.

٢- ابراهيم ١٤: ٣٤.

رب الأرباب.

وفريق استهلك نعم الحق المادية والمعنوية على أساس الاهواء والرغبات وبالنتيجة بدلوا نعم الحق إلى عقائد باطلة، وأخلاق سيئة وأعمال طالحة وبعبارة اخرى كفروا بنعم الله وأهلكوا غيرهم فان مصيرهم هو الشقاء.

يقول القرآن الكريم في هذا المضمارة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبُورِ﴾^١.

وعلى أساس هذه الآيات فان الانسان الذي يصلي للحق هو انسان يتقلب في أنواع النعم المادية والمعنوية مستغرقاً في هذه النعم التي لا يستطيع أن يحصيها ولكن وبدل أن يتجه إلى دائرة الشكر لله المنعم اذا به يسقط في بؤرة الكفر. جاء في المعارف الاسلامية وفي بيان علل الأحكام في كتاب «علل الشرايع» قول الامام علي الرضا عليه السلام: ان علة الصلاة اداء الشكر للحق تعالى على نعمه^٢.

الوضع المؤسف لتارك الصلاة:

الانسان الذي لا يصلي هو كائن لا يقدر من أنعم عليه؛ ذلك انه يجلس الى هذه المأدبة الالهية الواسعة الحافلة بكل شيء يتناول من كل النعم الالهية وبدل أن يشكر الله المنعم فيعبده ويصلي له اذا هو يبدل نعمة الله كفوفاً واذا به يمعن في عصيان رب العالمين.

لقد صورت آيات القرآن الكريم الوضع المؤسف للانسان الذي يتقلب في

١- ابراهيم ١٤: ٢٨.

٢- علل الشرائع: ٢٦٠/١، باب ١٨٢.

اللَّهِ ثُمَّ لَا يَصَلِّيَ لَهُ وَلَا يَشْكُرُهُ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^١.

وجاء في الأخبار والروايات ان رسول الله ﷺ مرّ ومعه جمع من أصحابه بكلب ينبع فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما يقول هذا الكلب؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: يقول الكلب الحمد لله الذي خلقني كلباً ولم يخلقني تارك الصلاة^٢.

وجاء في كتاب «اللآلى» في باب الصلاة:

ان جمعاً من المسافرين في زمان أنبياء بني اسرائيل ركبوا سفينة في نهر النيل فجأة ضجت الأسماك من شدة الحرارة وجارت الى الله؛ هل وقع يوم القيامة فجاء النداء ولكن بين المسافرين في السفينة تارك الصلاة ألمه ضرسه فخلعه وقذفه في الماء فالحرارة من شدة نجاسة ضرس تارك الصلاة^٣.

١- المدثر ٧٤، ٣٨، ٤٨.

٢- جامع الأخبار: ٧٤.

٣- لئالى الأخبار: ٥٠/٤.

وجاء في حديث للامام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ»^١

وسأل رجل من الامام الصادق عليه السلام: ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلاة قد سميته كافراً وما الحججة في ذلك؟

فقال عليه السلام: لأن الزاني وما أشبهه انما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه وتارك الصلاة لا يتركها الا استخفافاً بها وذلك لأنك لا تجد الزاني يأتي المرأة الا وهو مستلذ لا يتانه اياها قاصداً اليها؛ وكل من ترك الصلاة قاصداً اليها فليس يكون قصده لتركها اللذة؛ فاذا نُفِيت اللذة وقع الاستخفاف واذا وقع الاستخفاف وقع الكفر^٢.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ»^٣

وجاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: لا تدع الصلاة متعمداً فان من تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الاسلام^٤.

الهي العظيم لقد ارسلت من أجل هداية عبادك مئة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول وأنزلت مئة وأربعة عشرة كتاباً ونصبت لهم اثني عشر اماماً وآلاف العلماء الربانيين والعرفاء العاشقين وكلهم كانوا يدعون الى الصلاة وكانت

١- التهذيب: ٧/٢، باب المسنون من الصلوات، حديث ٩٣؛ وسائل الشيعة: ٤/٤١، باب ١١، حديث ٤٤٦٢.

٢- الكافي: ٣٨٦/٢، باب الكفر، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٤/٤١، باب ١١، حديث ٤٤٦٣.

٣- الكافي: ٢٧٨/٢، باب الكبائر، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ٤/٤٢، باب ١١، حديث ٤٤٦٥.

٤- الكافي: ٤٨٨/٣، باب النوادر، حديث ١١؛ وسائل الشيعة: ٤/٤٢، باب ١١، حديث ٤٤٦٦.

الصلاة على رأس أعمالهم، ومع كل ذلك فقد أعرض هذا الانسان الشقي عن قوافل النور عبر التاريخ الانساني الطويل وترك الصلاة لله الخالق المتعال استخفافاً بأمره وكفراناً بنعمه.

وما هي الدنيا وما وزنها وما خطرهما حتى يعرض الانسان عن عباده الله سبحانه الذي وعده بالنعيم الخالد في الآخرة ان استحباب لأمره فما أفسر تارك الصلاة وقد اعرض عن هذه الصفقة ورفض هذه التجارة.

والله إن عرضت عليك جميع الافلاك وما فوق الارض تتقلب فيها ثم تفوتك ركعتان من الفريضة فانك لخاسر في ذلك.

ان العذاب الذي يصب على تارك الصلاة يوم القيامة لعذاب عظيم وأليم. أجل ان الدنيا وما فيها لا تساوي ترك سجدة مستحبة فما بالك بالصلاة الواجبة وما أشقى الانسان الذي يترك الصلاة استخفافاً وتكبراً وغروراً. ان الانسان الذي يسير في طريق الحق لأعلى شأناً من الافلاك ولكنه من دون صلاة ومن دون حركة نحو الله يستحيل الى مجرد قبضة من تراب.

يقول هلال شيرازي:

تحدثت الى قلبي ليلة أمس ايها المشغول فكره في الأباطيل.

موانع الصلاة:

في حركة الانسان نحو الصلاة هذه الحقيقة المفعمة بالبركات الالهية توجد موانع وسدود من الضروري للانسان الذي يعشق الصلاة أن يكافح ولا يتخاذل أمام هذه الموانع والسدود التي تريد حرمان الانسان من فيض الرحمة الالهية.

يقول القرآن الكريم في مضمار موانع الصلاة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُتَّهِنُونَ﴾^١.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى
وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾^٢.

وموانع الصلاة يمكن ايجازها في أربعة أشياء هي:

- ١- الشراب
- ٢- القمار
- ٣- الوثنية
- ٤- التظاهر

١- الشراب وتناول المسكرات:

المشهور في الأخبار ان الشيطان الرجيم هو الذي اخترع الخمر والشراب فكانت هذه المادة التي يدعوها أهل القلوب بـ«أمّ الخبائث» سلاحاً فتاكاً بيد

١- المائدة ٥: ٩٠ - ٩١.

٢- التوبة ٩: ٥٣ - ٥٤.

الشیطان للهجوم على عقل وقلب وروح الانسان والقضاء على ايمانه وعمله وأدبه وتربيته.

ومن المؤسف القول ان الشيطان قد نجح عبر التاريخ الانساني في استخدام هذا السلاح الفتاك واغتيال الجانب الانساني في شخصية الانسان وتحويله الى مجرد حيوان لأنه يعيش بعيداً عن التفكير في عواقب الامور.

فتراه يأكل ويشرب ويلهث راكضاً هنا وهناك من دون أن يكون له هدف نبيل وغاية شريفة؛ بل هو يتخبط في المعاصي والذنوب والآثام الى أن يدركه الأجل وينزل في ساحته الموت والحمام.

ان امتياز الانسان عن سائر البهائم بل والكائنات جميعاً هو في عقله فاذا فقد عقله فانه يصبح أدنى الكائنات.

ان العقل هو دائرة التكليف والمسؤولية الالهية والانسانية فاذا انطفت هذه الدائرة المضيئة انطفأ النور الساطع في الحياة الانسانية الذي يستمد منه من تحمل المسؤولية الالهية.

ان الذي يسير ويتحرك في ضوء الأنوار العقلية والمحاسبات المنطقية هو انسان يفكر في مستقبله وسعادته في خير الدنيا وخير الآخرة التي هي مستقبلة النهائي والحقيقي.

والعقل هو أحب المخلوقات الى الله عزوجل والعاقل الذي يستخدم عقله في تحصيل السعادة الأبدية.

جاء في كتاب «الآثار الطبسية»:

اعلم ان الفكر سير انساني من المبادئ الى المقاصد ويقال له النظر ولا يصل المرء كان من كان من مرتبة النقصان الى مرتبة الكمال إلا بالسير ولهذا السبب

أصبح الفكر والنظر أول الواجبات.

واعلم ان مبادئ السير - حيث يجب التحرك بدءاً منه - هي في الآفاق والأنفس وهو سير استدلالى يتم بآيات الاثني يعني في دلائل وحكم كل ذرة من ذرات الآفاق والأنفس في آيات هذين الكونين والعالمين من أجل مشاهدة نور الابداع وعظمة وكمال المبدع في الآفاق والأعماق!

﴿سُتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^١.

واعلم ان كل حديث من غير حكمة فهو من الآفات وكل ما هو مظلم فهو ليس من الفكر بل من الشهوة والغفلة واعلم ان كل نظر لا عبرة فيه فهو من السهو والغفلة.

قال الصادق عليه السلام: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ»^٢.

وما بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء وكما جاء في الخطبة الاولى من نهج البلاغة الأ لتحريك الفكر الانساني «ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات القدرة».

فان أردت أن تحسب ما وصل اليه الفكر الانساني على مدى تاريخه الطويل فلن تتمكن المكتبات الكبرى مهما عظمت أن تجمعه وما هذه الكتب العلمية التي لا يعرف عددها وما هذه الحضارات والثقافات على وجه البسيطة الأ نتائج

١- آثار طبرسي: ٣١.

٢- فصلت: ٤١: ٥٣.

٣- مستدرک الوسائل: ١٨٣/١١، باب ٥، حديث ١٢٦٨٩.

للفكر الانساني المشرق في صعيد المادة والروح.

فتأمل ماذا يفعل الخمر في عقل الانسان؛ انه معول هدام يقطع هذه الشجرة المعطاء لإنسانية الانسان من الجذور وانظر كيف يحرف مسيرة الانسان عن الصراط المستقيم الى الضلال والضياع؟ وانظر الى غاية السير الصحيح في طريق العقل الذي يضيء أمام حركة الانسان والى ضياع الحيارى وهم يتخبطون في الطرق الوعرة الغارقة في الظلمات بعد أن انطفأ في حياتهم نور العقل وضوء الفكر؟

هلمّ يا صباح المجد لأن صبح أهل المجد فجر صادق.

واسلك الدرب الصحيح والجادة الصواب فهو طريق الأبرار.

ولا تحذ عن الجادة واصغ الى صدق الحديث لانك سوف.

تهوي وتضيع ان حدث عن الطريق.

لا تمل هنا وهناك فان السهم الذي يشق طريقه مستقيماً ينشب في الهدف و «الألف» التي في السماء بينها وبين «باء» التراب بون شاسع كالذي بين السماء والأرض وهذا هو الفرق بين الصراط المستقيم وطريق الضلال^١.

شرب الخمر في الروايات:

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه مدلعاً لسانه يسيل لعابه على صدره وحق على الله أن يسقيه من (بثر خبال) وسأل الراوي: وما بثر خبال؟» قال عليه السلام: «بثر يسيل فيها صديد الذنابة»^٢.

١- صفات العاشقين، هلالى جغتايى.

٢- التهذيب: ١٠٣/٩، باب الذبائح والأطعمة، حديث ١٨٣؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٢٩٦، باب ٩، حديث

وقال الامام الصادق عليه السلام مخاطباً أحد أصحابه:

«يا يونس أبلغ عني من انه شرب جرعة من خمر لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون وان شربها حتى يسكر نزع روح الايمان من جسده وركبت فيه روح سخيفة خبيثة ملعونة»^١.

وجاء في الروايات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة، غارسها وحارسها وعاصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها^٢.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ان أول ما نهاني ربي جلّ جلاله عن عبادة الأوثان وشرب الخمر»^٣.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان الخمر رأس كل اثم»^٤.

وقال الامام الصادق عليه السلام: «الشراب مفتاح كل شر ومدمن الخمر كعابد وثن وأن الخمر رأس كل اثم وشاربها مكذب الكتاب الله لو صدق كتاب الله حرّم حرامه»^٥.

١- الكافي ٣٩٩/٦، باب شارب الخمر، حديث ١٦؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٢٩٧، باب ٩، حديث ٣١٩٤٩.

٢- الخصال: ٤٤٤/٢، حديث ٤١؛ ثواب الأعمال: ٢٤٤؛ وسائل الشيعة: ١٧/٢٢٤، باب ٥٥، حديث ٢٢٣٨٦.

٣- الأمالي، شيخ صدوق: ٤١٦، المجلس الخامس والستون، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٣٠٤، باب ١٠٩، حديث ٣١٩٦٥.

٤- الكافي: ٤٠٢/٦، باب أن الخمر رأس كل اثم، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٣١٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٩٢.

٥- الكافي: ٤٠٣/٦، باب أن الخمر رأس كل اثم، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٣١٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٩٣.

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«ما عصي الله بشيء أشد من شرب المسكر»^١.

شرب الخمر أسوأ من السرقة والزنا:

قيل لأmir المؤمنين عليه السلام: «انك تزعم ان شرب الخمر أشد من الزنا والسرقة

قال عليه السلام: نعم صاحب الزنا لعله لا يعدوه الى غيره وان شارب الخمر اذا شرب الخمر

زنا وسرف وقتل النفس التي حرّم الله وترك الصلاة»^٢.

العاقل الفطن لا يشرب ولا يسكر والذي يسمو بنفسه عن الرذائل لا ينحط

وما أسعد الذي لا ينفق أوقاته في اللهات وراء الرغبات والأهواء»^٣.

والاضرار التي تلحق بالانسان جراء شرب الخمر والخسائر التي تطاله لا

يمكن أن تحصي ويكفي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام قالوا ان

شرب الخمر رأس كل آثم.

ذات يوم جاء ابليس الى فتى وكان ابليس قد تمثّل في هيئة رجل مهيب، قال

له: أنا الموت قد جئت لاقبض روحك فان شئت النجاة مني فافعل أحد ثلاثة

أشياء، قال الفتى: وما هي؟ قال: اقتل أباك أو تبقر بطن امك أو تشرب كأساً من

هذا الشراب.

ارتجف الشاب كمن وقع بين براثن الاسد الضيغم قال: ان ابوي عزيزان ولن

اترك برّهما أبداً ولكن ادفع الموت بشرب كأسين من الخمر فلما كرع الكأسين

١ - وسائل الشيعة: ٣١٣/٢٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٨٩.

٢ - الكافي: ٤٠٣/٦، باب أن الخمر رأس كل إنم، حديث ٨٨ وسائل الشيعة: ٣١٦/٢٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٩٦.

٣ - سناني.

سكر فقتل أبويه.

ليت الله يحفظ الانسان من شرور الشراب^١.

٢- القمار:

القمار عمل قذر مثل الشراب ومخترعه الشيطان وهو وراء شيوع الحقد والبغضاء بين الأصدقاء والغرباء.

والمال الذي يكسبه الانسان بالقمار والمقامرة حرام وفقاً لما أجمعت عليه الروايات ولا يمكن انفاق هذا المال في أي وجه من الوجوه ويجب على من حصل على المال من هذا الطريق اعادته الى صاحبه والمقامر خاسر سواء ربح في مقامرته أو خسر والرابح الوحيد في المقامرة هو ابليس.

والقمار اسوأ ممارسة يمكن أن يمارسها الانسان لأنه يملأ نفسه بالاحقاد والعداوات ويحيل الصداقات الى حالة من العدا والشر المستطير. فكم من محفل للأصدقاء احترق بنيران القمار فاذا الاخلاء أعداء واذا اجواء المحبة تنقلب الى عدا.

وكم مقامر خاسر ادى به اليأس الى الانتحار ويستحيل الانسان المقامر الى كائن شديد القسوة ذلك ان المرء من واجبه الانساني والأخلاقي أن ينفق على زوجته وأولاده واسرته أو يساعد أبناء نوعه واخوانه في الدين أو الانسانية فاذا به يحرم اسرته ويتنازل لواحد من أمثاله مقامر قذر يأكل المال الحرام.

وعادة ما يفكر المقامر الخاسر بعد أن ادمن المقامرة بالحصول على المال من السرقة والسطو والاحتيال وحتى ارتكاب جرائم القتل.

من أجل هذا حرم الاسلام صناعة أدوات القمار وامتلاك هذه الوسائل الشيطانية.

وحرمة القمار في الروايات مثل حرمة الشراب ومن يراجع كتاب «وسائل الشيعة» يجد من الروايات والأخبار الكثير الكثير.

الشطرنج في حديث الامام الصادق عليه السلام:

قال الامام الصادق عليه السلام: «بيع الشطرنج حرام وأكل ثمنه سحت واتخاذها كفر واللعب بها شرك والسلام على اللاهي بها معصية وكبيرة موبقة والخائض فيها يده كالخائض يده في لحم الخنزير، لا صلاة له حتى يغسل يده كما يغسلها من مس لحم الخنزير والناظر إليه كالناظر في فرج أمه واللاهي بها والناظر إليها في حال ما يلهي بها والسلام على اللاهي بها في حالته تلك في الاثم سواء ومن جلس على اللعب بها فقد تبوأ مقعده من النار، وكان عيشه ذلك حسرة عليه في القيامة واياك ومجالسة اللاهي والمغرور بلعبها فانها من المجالس التي باء أهلها بسخط من الله يتوقعونه في كل ساعة فيعمك معهم»^١.

ان المقامرة في الشطرنج ميسر وقمار وعمل حرام.

ان المقامرين عند ما يجلسون للعب فان هم كل واحد منهم هو الفوز بمال ونقود وثروة الآخرين.

وعادة ما يبدأ المقامرون ممارسة القمار في المساء حتى الصباح فاذا هم مرهقة أعصابهم، مكدودة أجسامهم، خاوية أرواحهم، يترنحون في طريق

١- وسائل الشيعة: ٣٢٢/١٧، باب ١٠٣، حديث ٢٢٦٦٤؛ بحار الأنوار: ٢٣٤/٧٦، باب ٩٨، حديث ١٣.

عودتهم الى منازلهم هذا سكران بالفوز والآخرين ينظرون اليه بحقد يودون تقطيعه ارباً ارباً.

فاذا وصلوا بيوتهم ألقوا بأنفسهم المتعبة فوق فراش النوم وربما لا يكلفون أنفسهم عناء وخلع ثيابهم وحتى احذيتهم احياناً فاذا هم كالموتى حتى تغيب الشمس أو تكاد.

هل هذه الحياة حياة انسانية؟ كلا وألف لا ان الانسان الذي اكتشف الطريق تراه قد استيقظ في الفجر مع الطيور والعصافير يؤدي صلاته فتمتلاً روحه نوراً وألقا ونشاط مقبلاً على الحياة والعمل في تفائل وأمل.

٣ - الوثنية وعبادة الأصنام:

الوثنية وعبادة الأصنام تعني الانفصال عن الله عزوجل والانصراف عن عبادته تبارك وتعالى والتعلق بأشياء اخرى وعادة ما تكون الاصنام على اشكال وألوان وأنواع لكنها جميعاً تنقسم الى قسمين:

١ - أشياء جامدة لا روح فيها.

٢ - أشياء حية ذات روح.

والأشياء الحية من قبيل الطغاة والحكام الظلمة الذين يتصرفون كما لو انهم يملكون مقدرات البلاد ورقاب العباد فيتبعهم في ذلك بعض الناس يعملون على تعزيز تسلطهم تنفيذ أوامرهم دون نقاش، وهؤلاء لا ينظرون الى الطاغية باعتباره الخالق لكنهم يعصون الله الذي خلقهم ويطيعون الطاغية في كل قول وفعل.

وهؤلاء الناس الذين يخضعون للطغاة ويعملون على تدعيم أركان حكمهم هم في الحقيقة وراء كل الجرائم التي يرتكبونها في حق الابرياء ولو لا هؤلاء

العبيد الأذلاء للشيطان العصاة للرحمن لما أمكن للطغاة والحكام الظالمين التسلّط على البلاد وقهر العباد.

ان الصنم الحي وغير الحي لا يملك في ذاته قوّة وقدرة وانما هو يستمد قدرته من الذين اتبعوه وأصبحوا عبيداً له لقد كان فرعون طاغية جباراً في الأرض لكنه كان شخصاً واحداً فمن أين جاءت هذه القوة؟ أليس من الذين خضعوا له وأيدوه ونفذوا أوامره؟

وهكذا الأمر بالنسبة لغيره من طواغيت الدنيا هكذا كان النمرود وكان معاوية ويزيد وهكذا كان أبو سفيان وأبو جهل والوليد.

قال رسول الله ﷺ:

«لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ وَآفَةُ هَذَا الدِّينِ بُنُوَامِيَّةٌ!».

ونظراً الى هذه الحقيقة ندرك أية جريرة وجريمة هي الوثنية وأية معصية كبيرة وأي انسان هو الوثني وكم يتحمل من وزر في حياته. اليوم العالم مليء بالأصنام البشرية أصنام من قبيل فرعون ونمرود وأبي سفيان ومعاوية ويزيد.

انا لا نستطيع أن ننظر الى المتسلّطين في عالمنا اليوم إلا بهذه النظرة انهم أصنام وأوثان بشرية، وقد وصفهم القرآن الكريم بـ«أئمة الكفر» وهم الطواغيت والذين يسرون في ركابهم، هم وثنيون وهم في الحقيقة اقدر المخلوقات فوق سطح الأرض.

الأصنام التي لا روح فيها هي من قبيل الشمس والقمر والنجوم والأشجار والمال والمناصب والأهواء النفسية والغرائز والشهوات وهذه أسوأ أنواع الأوثان

والأصنام عند ما يعبد الانسان أهواءه ويلهث وراء اشباع غرائزه الظامئة بأي ثمن! فهو عبد ذليل لها.

أجل ان الانسان الذي يعاني من الوثنية وعبادة الأصنام سواء كانت شخصاً أو أشخاصاً أو أهواءً فانه سوف يتخلف عن مساره الروحي والفكري وتراجع انسانيته الى الورا، الى ينسلخ تماماً عن آدميته ويكون مصيره الشقاء والحرمان من السعادة في الآخرة؛ وأي حرمان اسوأ من حرمان الانسان من الصلاة ومن الارتباط والاتصال بخالق الوجود؟

عبادة الأهواء:

ومن بين المظاهر الوثنية تبقى عبادة الأهواء النفسية والغرائز الحيوانية والأكثر ضرراً وهي تستحق دراسات مفصلة مستقلة لأنها في الحقيقة تمثل البنى التحتية لأية ممارسات وثنية لأصنام بشرية وغير بشرية.

ان قلب الانسان وروحه اذا لم تتزكى وتطهر بالقواعد الالهية السامية والمعارف الربانية الحققة ويتلاوة القرآن حق تلاوته فان الانسان ولا شك سوف يسقط في يرانن الوثنية بشتى اشكالها.

وإذا ما تمكن الانسان من التحرر من أسرها وسما بنفسه عن سيطرتها فانه سوف يبلغ الكمال المنشود.

لكن اذا استغرق القلب في النوم وعانت الروح من الكآبة فان الكائن الانساني سوف يكون صريعاً أمام الأوثان البشرية وغير البشرية مستسلماً لأهوائه منقاداً لغرائزه الى أن ينسلخ عن كل الفضائل الانسانية والخصال السامية.

وكيف لا يكون مصيرة ونهاية مسيره هذه النهاية وهذا المصير؛ وقد أعرض

عن عبادة الله وعن الصلاة التي تضمن له حرّيته وكرامة الانسانية؟

ان أفضل حالات الانسان وأسعدها هي عند ما يشعر بالحرية وبالتحرّر من أسرار الوثنية وعبادة الأصنام في داخل نفسه أو خارجها وهذا لا يتحقّق إلا بالانتهاال من نيع المعرفة.

وأصل المعرفة الحقّة هي الاعتقاد بأن الاصاله في الوجود لله تبارك وتعالى وما سائر الكائنات في عوالم الغيب والشهادة الأ مظاهر ليس اكثر لا يملك أي منها اصالة في ذاته فما بالك بالاعتقاد ببعض هذه المظاهر وعبادتها من حجارة أو طاغية أو حيوان مثل البقرة والعجل؟

المعرفة تعني الاعتقاد الراسخ بأن الوجود الحقيقي لله عزوجل فقط لا غير فهو الحقيقة الوحيدة وما باقي الكائنات سوى ظلال وتجليات لأسماء الله وصفاته لا يملك أي منها وجوداً مستقلاً بذاته.

هو وحده سبحانه إن شاء أو وجد وإن شاء محاً من الوجود.

لو اجتمع العالم كله على أن يزحزح حصاة عن مكانها ما استطاع الأ بمشيئة من الله وحده.

وهذه السفينة الجارية في البحر الرب هو مجريها ومرسيها وليس الربان! المعرفة تعني ان الله لم يخلق هذا الوجود الواسع وخاصة الانسان عبثاً من دون غاية بل له سبحانه الحكمة البالغة في خلق كل مخلوق بل ان لكل شيء خلقه الله اطار من ظروف وقوانين وفيما يتعلق بالانسان فان هذا الاطار من الظروف يتألف من الكتاب والنبوة والامامة والفقاهة.

المعرفة تعني أن يدرك الانسان ان حياته لا تختصر بأيام معدودات يمضيها في دار الدنيا، بل ان الانسان اذا نظم حياته المحدودة في هذه الدنيا على طريق

الأنبياء وقواعد القرآن وسيرة الأئمة الأطهار وفقه الفقهاء فانها ستكون مقدمة لحياة خالدة مفعمة بالسعادة في عالم آخر.

المعرفة تعني أن يكون الحب الذي يموج في قلب الانسان خالصاً له سبحانه وان سائر العواطف الاخرى هي ظلال لهذا الحب الخالد العظيم.

المعرفة تعني ان المقصود والمعبود والمحجوب واحد وان القلب والروح والفعل والنفس تتجه نحوه وأن تكون أعمال الانسان وحركاته وسكناته صادرة عن هذه الشعلة المتأججة من هذا الحب الخالد.

وانه لا معنى لحياة الانسان من دون هذا الحب وان انسانية الانسان لا تتحقق الا به. العالم كله قطرة من بحر الحب...

وهذا الفلك كله نبتة في صحراء العشق...

ومقام العشق يبلغ من السمو والمجد بحيث يخلو من كل خلل...

وليس من حرفة أفضل من الحب.

وأسير العشق لا يرنو الى الحرية اذا فسر هموم الحب.

لا ضرر ولا فائدة انما هو الحب في هذا العالم ولا غير.

وخطاب العاشقين بعيد عن العتاب وانغام العارفين هي عين الصواب.

٤ - الرياء:

الرياء علامة النفاق وقد هاجم القرآن الكريم بآياته والمعصوم برواياته

المرائين الذين يفتقدون الحس الانساني.

والانسان الذي يعاني من الرياء اذا لم يشعر بوجود أحد ينظر اليه فانه لا

ينهض للصلاة ولأنه يفتقد الباعث الحقيقي للصلاة فان ظاهره كسول وباطنه

ملول وهو لا يهدف إلا إلى لفت الأنظار.

أجل أنّ الرياء كالقمار وشرب الخمر والوثنية من موانع الصلاة وبادن الله سوف نناقش هذه المسألة في الأبواب القادمة من «مصباح الشريعة» حيث سيكون هناك فصل مستقل في الرياء.

الصلاة من أرباح التجارات:

لا يوجد حكم من بين جميع أحكام الإسلام له تأثير واسع ومصيري في حياة الإنسان في الدنيا ومصيره في الآخرة مثل الصلاة؛ حيث يمتد تأثيره، في عقائد الإنسان وأفكاره وفي سلوكه وأخلاقه وفي روحه وقلبه وأعماقه.

إنّ المصلّي الحقيقي هو إنسان قد نمت فضائله بالصلاة وترعرت أخلاقه بالمناجاة وتحلّت نفسه بالصفات والحسنات لأن الصلاة ينبوع الخير والبركات وعين جارية تغتسل فيها الروح كلّ يوم خمس مرّات.

لنتأمّل في هذه الآيات الكريمة من سورة المعراج:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلْمَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتغىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿١﴾

مقدمة حول الآيات الشريفة:

قبل توضيح الآيات البيّنات يجدر بنا ان نورد سطوراً مما ذكره العلامة محمّد حسين الطباطبائي في ذيل هذه الآيات من سورة المعارج:

ان الحرص الشديد الذي جبل عليه الانسان ليس حرصاً منه على كلّ شيء خيراً كان أو شراً أو نافعاً أو ضاراً بل حرصاً على الخير والنافع ولا حرصاً على كلّ خير أو نافع سواء ارتبط به أو لم يرتبط وكان له أو لغيره بل حرصاً منه على ما يراه خيراً لنفسه أو نافعاً في سبيل الخير ولازم هذا الحرص أن يظهر منه التزعزع والاضطراب عند مس الشر وهو خلاف الخير وأن يمتنع عن ترك الخير عند مسّه ويؤثر نفسه على غيره إلا أن يرى التترك أكثر خيراً وأنفع بحاله، فالجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير من لوازم الهلع وشدة الحرص.

«الأ المصلّين» استثناء من الانسان الموصوف بالهلع وفي تقديم الصلاة على سائر الأعمال الصالحة المعدودة في الآيات التالية دلالة على شرفها وانها خير الأعمال على ان لها الأثر البارز في دفع رذيلة الهلع المذموم.

ثم تأتي هذه الآيات مباشرة:

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ
الشُّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ

نَعِيمٌ * كَلَّا!

وانعطف القرآن في هذه الآيات على اولئك الكفار كالمتعجب من أمرهم حيث يجتمعون على النبي ﷺ مهطعين عن اليمين والشمال عزيزين مقبلين عليه بأبصارهم حيث يطمع كلّ منهم أن يدخل الجنة وهو كافر.

ويقول العلامة: ليس الهلع وشدة الحرص المجدول عليه الانسان - وهو من فروع حب الذات - في حدّ نفسه من الرذائل المذمومة كيف؟ وهي الوسيلة التي تدعو الانسان الى بلوغ سعادته وكمال وجوده وأنما تكون رذيلة مذمومة اذا قصر الانسان في تدبيرها فاستعملها فيما ينبغي وفيما لا ينبغي وبغير حق كسائر الصفات النفسانية التي هي كريمة ما لزم حد الاعتدال واذا انحرفت الى جانب الافراط أو التفريط عادت رذيلة^٢.

آثار الصلاة:

- ١ - الدوام في الصلاة.
- ٢ - انفاق المال على المحرومين في سبيل الله.
- ٣ - الايمان بيوم الجزاء.
- ٤ - الخوف من العذاب في يوم القيامة.
- ٥ - صون الشهوة الجنسية وعدم اشباعها من الحرام.
- ٦ - المحافظة على الامانة.

١ - المعارج ٧٠: ٣٦ - ٣٩.

٢ - الميزان: ١٣/٢٠ - ١٧.

٧ - الوفاء بالعهد.

٨ - الشهادة بالعدل.

٩ - المحافظة على الآداب الظاهرية والباطنية للصلاة.

ان التدقيق في هذه الآثار التسعة يؤدي الى أن نلاحظ ان في كل أثر من هذه الآثار والحسنات حسنة اخرى وفي الحقيقة نلاحظ كيف تؤدي الصلاة الحقيقية الى تصفية وتركيز باطن الانسان وتضفي عليه الحسنات الالهية وما يترتب على ذلك من الفوائد والعطاء الدنيوي والاخروي.

الصلاة ظهير الانسان:

يؤكد القرآن هذه الحقيقة وهي أن الصلاة خير ظهير للانسان في حل المشكلات الاخلاقية والاجتماعية والاسرية والمادية والمعنوية. أجل لقد ثبت على صعيد الواقع ان الصلاة نصير الانسان لرفع ودفح وحل الكثير من المشكلات.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^١.

ان الاستعانة تأتي عند حملة العدو الذي اصطف عليه وحشد قدرته للهجوم عليه وهي طلب العون من قوة لصد هجوم العدو.

وبالرغم من أن ظاهر الآية لا يوحي بوجود ميدان للمعركة أو الحرب ولكن الجو العام يوحي بوجود حالة من الخوف تستدعي طلب المعونة لتسجيل النصر على مصدر الخوف وهذا ما يوحي الى الحالة النفسية التي يعيشها الانسان اذا

دهمه شيء يقلقه ويثير مخاوفه.

وفي باطن الانسان حيث تحتدم الأهواء النفسية وتعربد الغرائز والشهوات الحيوانية وقد اصطفت جميعاً لمواجهة الايمان.

ومن الطبيعي اذا كان الايمان مستمداً من الوراثة والبيئة والتقليد فانه لن يصمد أمام هجوم الأهواء.

ولكن الايمان الذي يستند الى الدليل والبرهان والمعزز بالصلاة الحقيقية سيكون هو المنتصر في أية معركة تحدث داخل النفس الانسانية.

وستبقى الأهواء تحت سيطرة العقل الذي يستمد سلطته من الارادة هذه الارادة التي نمت واشتدّ عودها بسبب استمرار الطاعات من صوم وصلاة وأداء سائر الطاعات من أداء الزكاة والقيام بالأعمال الصالحات.

ان الأهواء النفسية لا تكف عن محاولة احتلال أعماق الانسان وباطنه وبالتالي السيطرة على الانسان وتوجيه حركته بما تريد وتشتهي.

وعند ما نرى انساناً يلهث وراء أشباع شهواته وارضاء نزواته فهو انسان اضلت الأهواء النفسية كيانه وباطنه فهي توجهه حيث تريد.

ان الانتصار في ميادين الحياة يتوقف على الانتصار في هذه الحرب المحتومة في داخل النفس الانسانية.

وما هذا الذي نسمعه من أفواه بعض الناس من تشكّي وتحسّر واحباط انما يعكس نتائج المعارك الداخلية في أعماقهم حيث مشاعر اليأس والشعور بالاضطراب والحيرة والقلق.

ذلك ان الانسان عند ما يعوزه السلاح في المعركة فانه يخسر.

الايان سلاح مضاء والصبر والارادة وهذه كلها تعزز من قدرة الانسان على المقاومة وتضمن له النصر ولو في الجولة الأخيرة.

وهنا يبرز دور الصلاة في تعزيز ثقة الانسان بنفسه؛ لأن الصلاة علاقة حب مع القوة المطلقة، مع نبع الخير المطلق، مع الخالق البارئ المصور الرزاق؛ فلماذا القلق ولماذا اليأس ولماذا الاضطراب.

جاء في كتاب الكافي عن الامام الصادق عليه السلام ان جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام اذا دهمه مكروه أو خاف مكروهاً صَلَّى ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^{٢١}.

وجاء في سيرة الشيخ الرئيس ابن سينا انه حار في مشكلة أو مسألة علمية عرضت له فذهب إلى مسجد البلدة وصلّى ركعتين ثم سأل الله أن يفتح عليه بنور هذه الصلاة وما أن اتمهما حتّى أضاء الحل في ذهنه ويسر الله له حل المسألة.

صلاة الاستسقاء:

كانت مدينة قم تئن تحت وطأة الجفاف وشروور الحرب العالمية الثانية وكانت البساتين على وشك أن تزول بسبب ندرة المياه والناس يعيشون في ضيق من صعوبة الظروف ولم يبق أمام الناس إلا أن تتجه بأبصارها الى السماء تنتظر.

١ - البقرة ٢: ٤٥.

٢ - الكافي: ٤٨٠/٣، باب صلاة من خاف مكروها، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٣٨/٨، باب ٣١،

حديث ١٠٢٤٩.

رحمة الله سبحانه وتعالى.

ولم يجرؤ أحد على المبادرة لاداء صلاة الاستسقاء لأن ذلك يحتاج الى نور يسطع داخل القلوب وانسان على اتصال بعالم الملكوت.

هنا لك برز المرجع الكبير في عصره المرحوم آية الله العظمى السيد محمد تقي الخوانساري ذلك الرجل المجاهد الذي واجه الاستعمار في مبادين الجهاد من أجل احقاق الحق ودحض الباطل.

وخرجت الجموع بعيون باكية واقدام حافية خلف السيد الخوانساري الى منطقة «خاك فرج» وكانت قوات الحلفاء التي ترابط بعض فصائلها في المدينة تشاهد ما يجري.

في البداية راودها هاجس حول نية للمواجهة ولكن تبين ان هؤلاء الناس قد جاءوا لأداء الصلاة واستنزال المطر؛ فشعروا بالدهشة ان هذا الرجل يريد أن يقوم بعمل من أجل نزول المطر؟

وعلى مدى ثلاثة أيام جرت مراسم أداء صلاة الاستسقاء واذا بالسماء في اليوم الثالث تهطل مطراً غزيراً وجرت الأنهار وطار الخبر في أنحاء البلاد. ولقد كنت أحد من شارك في تلك المراسم واليوم حكّت كتابة على رخامة شاهدة قبر المرجع الراحل تشهد لكرامة هذا الرجل وتشهد أيضاً لما للصلاة من أثر في الانسان والطبيعة والحياة.

وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^١

طريق الصلاة ينتهي عند أعظم حقيقة:

روى المرحوم النراقي في كتابه «طاقديس» حكاية حول الصلاة هذا ايجاز

في مضمونها:

في أطراف احدى المدائن كان يعيش رجل حطاب وكان هذا الرجل في

غاية البؤس والفقر فهو يعيش على جمع الأشواك من البرية وبيعها في المدينة.

وذات يوم من الأيام خرج الى البراري لجمع الشوك كعادته فاذا به يسمع

صوتاً تنح جانباً! أغرب عن هذا المكان؛ فاذا بكوكبة من الفرسان تحف بفتاة

رائعة الحسن هي ابنة أمير المدينة وقد جاءت الى الصيد.

وفتن الرجل بحسن الفتاة وقد نفذت سهام حبها كما يقال في قلبه وظل

مسلوب العقل ينظر الى صفحة الحسن والجمال ولم يبال بزعقات الرجال وهم

يصرخون به أغرب عن هذا المكان!

ولمّا مرّ الموكب من أمامه ظل الرجل ساهماً في قيامه؛ قلبه يذوب حشرات

وصدره ينفث آهات.

هذا الرجل المسكين البائس هو الآن عاشق ومعشوقته التي خطفت له أميرة

وابنة أمير!!

قصد الرجل أحد العلماء علّه يهدئ من وجيب قلبه؛ فنصحته وأبلغ في

النصيحة ووعظه وأبلغ في الموعظة؛ ولكن دون جدوى ان ما يهدئ قلبه وصال

المحبوب ونيل المعشوق.

فقال له العالم: يا هذا انك لا حسب ولا نسب ولا جاه ومال ولا شهرة ولا

اعتبار ولا وسامة ولا جمال؛ فكيف يتم الوصال؛ ان هذا لمن المحال لقد وصلت

الى طريق مسدود وليس أمامك إلا اللجوء الى المسجد والصلاة للواحد المعبود
فقد يشيع أمرك ويرتفع ذكرك وتكسب بذلك الاعتبار.

ويصبح اسمك أشهر من علم على نار ويشير اليك الناس بالبنان؛ ان هذا
الرجل من الزهاد وهو ناسك من العباد في نهاره صائم وفي ليله قائم!
واصغى جامع الشوك لحديث الواعظ بشوق؛ وانطلق الى مسجد في أطراف
المدينة مهجور، ففرش سجادة العبادة وراح يركع ويسجد ويقرأ ويدعو ويصل
الليل بالنهار والصبح بالمساء؛ فشاع بين الناس ان في المسجد المهجور عابد
مشهور وتناقلت.

الأفواه أخباره وأصبح حديث المجالس والمحافل.

فاذا المسجد المهجور منزلاً من المنازل يقصده أهل الحاجات لنيل الطلبات
والسؤال منه بالدعوات حتى وصل الخبر الى الأمير!
فاشفاق الأمير الى لقائه وذات يوم صادف أن عاد الأمير من رحلة الصيد فلاح
له كوخ العابد الزاهد، فبادر الأمير الى زيارته والتبرك بمحادثته فلما رآه حسبه
ولياً من الأولياء لا يعلم الحقيقة إلا الله وهذا الذي يتصنع العبادة الذي لا يملك
من الدنيا الأهذه السجادة.

والحديث ذو شجون فقال الأمير: ايها العابد والناسك والزاهد لقد أقيمت سنن
الدين فانت في ايمان متين، فكيف تركت نصف الدين وهو الزواج وقد قال
النبي الامي: الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني.

ايها الشاب ان مودتك دخلت في نفسي ونفذت في قلبي فهلاً أكملت دينك
فازوجك ابنتي؛ ليس لها في الحسن نظير ولا في الأدب من يضاهاها وعلي جهاز

عرسك وتوفير ما يحتاجه بيتك.

ولما سمع الشاب كلام الأمير بهت وتحير واختار السكوت على الكلام، فازداد الأمير به اعجاباً وتضاعف حبه لهذا الشاب الذي منعه الحياء من الكلام والزهد بما يتهافت عليه الأنام.

فنهض وودع الشاب وعاد الى قصره وفي الليل كان يفكر كيف يتأتى له اقناع ذلك الشاب بمصاهرته.

فلما أصبح الصباح دعا الى قصره أحد العلماء الفطنين وحدثه عما يجول في خاطره ثم طلب منه أن يتوجه الى الشاب ويحدثه ويقنعه بهذا الزواج.

وجاء العالم الى الشاب فحدثه ونصحه واقنعه بالدليل والبرهان فلم يخرج منه حتى وافق الشاب على الزواج من بنت أمير المدينة.

ثم انطلق العالم الى قصر الأمير وبشره بما فعل فسرّ الأمير غاية السرور.

وما هي إلا ساعة حتى جاء من قبل الأمير وزيره ومعه رجال من البلاط وألبسوه خلعة الأمير واركبوه فرساً من جياذ الخيل وجاءوا به يحفه الحراس والجنود فوجد القصر قد زين بالاعلام والخدم والخشم قد اصطفوا في حالة قيام.

فلما وضع قدمه داخل البلاط ورأى من الجلال والسلطان ما رأى غرق في الفكر وغاص في النظر وقال في نفسه لقد كنت بالأمس أجمع الأشواك في الفلاة وعلى رغيف خبز يابس اقتات، لا ينظر اليّ الناس من الفقر ويأبه لي أحد من البدو أو الحضر، فانظر ما فعلت بي الصلاة جاءت بي من الفلاة وسوف يزفون لي أجمل الأميرات.

فاذا أنا بالأمس بانس شقي واليوم عزيز وغني.

فانظر ما الذي فعله ظاهر العبادة نقلتني من الحضيض الى السيادة، فكيف بي

لو عبدت الله حقاً وسجدت له ايماناً وصدقاً؟

فسطع في قلبه نور الحقيقة فانسل من بين الجموع قد عرف طريقه معرضاً عن

بهارج الدنيا الى جمال الاخرى ومن العشق المجازي الى العشق الحقيقي وراح

يعبد الله في نية خالصة نقية.

أربعون يوماً من الصلاة:

فيما مضى من الزمان وقبل عشرات السنين والأعوام رأى المتولكون على

خدمة الروضة الرضوية ان المرقد الطاهر بحاجة الى مسجد جديد وتسبق

المحسنون المؤمنون للفوز بهذا العمل الصالح فوقعت القرعة على السيدة جوهر

شاد زوجة شاهرخ ميرزا.

فقامت بشراء البيوت والأراضي في الأطراف حيث سبني المسجد الأمامية

عجوز اصرت على البقاء في بيتها وكان البيت قد أصبح في وسط خريطة

المسجد المزمع بناؤه.

فلما رأت السيدة جوهر شاد ذلك أعرضت عن شرائه لأنها لا تريد أن يكون

بناء المسجد شيراً قد أخذ غضباً أو تظلم في سبيل ذلك أحداً.

ولمّا تمّ بناء المسجد قامت المرأة العجوز فأوقفت بيتها ليكون محلاً للعبادة

حتى اشتهر ذلك البيت بـ«مسجد العجوز» وكانت السيدة جوهر شاد قد أمرت

من قبل الأ يقوم أحد بتعنيف الدواب التي تحمل مواد البناء والأ تساق بالسياط

كما أمرت بوضع العلف للحيوانات التي تحمل المواد الانشائية على امتداد الطريق وطلبت من البنائين ألا يعنفوا العمال أو أن يحملوا عليهم بما لا يطاق وأن يعاملوهم بمحبة وارفاق.

من أجل ذلك بارك الله في هذا المسجد فلا يخلو أبداً من المصلين المؤمنين ليلاً ونهاراً فتردد في ظلال قباهه تلاوة القرآن الكريم وترتفع منه دعوات المؤمنين وتنتظم في أفيائه حلقات الدارسين من علماء ومتعلمين.

وعلى أية حال بدأ البناء في انشاء المسجد، وكانت السيدة جوهر شاد تأتي كل بضعة أيام لتفقد سير العمل.

وذات يوم جاءت كالمتعاد لترى سير الأعمال وعمل البنائين والعمال فهبت ريح كشفت البرقع عن وجه السيدة جوهر شاد فرأى أحد العمال من الحسن ومن الجمال فانخطف لبه ووقع في العشق قلبه، فانعقد لسانه ولم يجرؤ على اظهار حبه وبيانه وكتم في القلب ما يعالج من الهم.

وما هي إلا يومين أو ثلاثة حتى لزم فراش المرض وكانت لهام عجوز فقامت بتمريضه وعجز الطبيب عن العلاج وقال انه يعالج همماً لا أعرف ما هو ولم يقل لي ما ألم به فلم يجد الشاب بدأ من أخبار امه فشكا لها لواعجه وهمه.

فما كان من الام المسكينة إلا أن تبادر الى لقاء السيدة جوهر شاد وقالت ان ابني سيموت قد صرعه حبك وخطف قلبه حسنك وأدبك فتزوجه والأ سوف اشكوك يوم القيامة واطلب حقي في يوم لا ينفع فيه الندامة.

فلما سمعت السيدة جوهر شاد بذلك تألمت وقالت لبتك قلت الذي ذكرت قبل هذا الوقت ثم قالت: انصرفي الى منزلك وسلمي من قبلي على ابنك وقولي

له انني حاضرة للزواج منه بشرطين شرط علي وشرط عليه، فأما شرطي الذي علي فهو طلب الطلاق من شاهرخ وأما الشرط الذي عليه أن يدفع مهري قبل الزواج ومهري أن يصلي أربعين يوماً وليلة في محراب هذا المسجد ويهدي ثواب ذلك اليّ فهذا مهري الذي اريد ولا اطلب بعده المزيد.

فلما سمعت الام ذلك أسرع الى الدار لتبشر ابنها الذي دهش للخبر وظل مدة ثابت النظر ثم نهض من فراش المرض يريد أن يدفع ذلك المهري.

وانطلق الشاب الى محراب العبادة وبدأ يصل الليل بالنهار والليل ساجداً قانتاً داعياً فلم تمض سوى أيام حتى أضاء النور في فؤاده وأقبل بشوق على العبادة قد أضاء الحب الحقيقي روحه وأنساه جروحه.

وذاث يوم جاء من طرف السيدة جوهر شاد من يستطلع حاله ويرى أحواله فلما بادر لسؤاله عرف حقيقة الحال وأن هذا الشاب قد أعرض عن الوصال.

فقال له يا شاب ان السيدة جوهر شاد سألت عن حالك وترغب في وصالك.

فقال الشاب وقد دمعت عيناه وغمره شوق الصلاة: اخبر دلشاد بأن الفؤاد قد

تعلق بالمحجوب الحقيقي وانني قد وجدت اليه طريقي.

وقل لها:

إن علمت مدى اللذة في ترك اللذة.

لما عددت لذة النفس لذة^١.

فانظر ماذا فعلت الصلاة بهذا الفتى وكيف عبر القنطرة وقد قيل المجاز قنطرة

لحقيقة، فانتقل من الحب المجازي الى الحب الحقيقي.

ومنافع أخرى:

يطلب القرآن الكريم من المؤمنين استمداد العون من الصلاة في مواجهة عادات الزمن يقول القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^١.

وقال الكتاب العزيز:

﴿أَنْتَلُمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^٢.

ولا ريب في ان البدو شاسعاً بين المصلين الحقيقيين وحتى الذين يؤدون الصلاة وقد التزموا شروطها الظاهرية وبين تاركي الصلاة والمستخفين بها وهذا الاختلاف الكبير بين الفريقين في كل شؤون الحياة في ظاهرها وباطنها.

ان المصلي الذي يؤدي الفرائض اليومية يتعين عليه أن يتطهر لأداء كل فريضة من النجاسات الظاهرية والى حد ما من كل ما يلوث الباطن أما تارك الصلاة فهو يرى نفسه ملزماً بالنظافة والطهور وعدم ارتكاب الذنوب.

والمصلي الذي يؤدي الفرائض اليومية يرى نفسه ملزماً بالوضوء بماء مباح غير مغضوب والصلاة في مكان مباح غير مغضوب وارتداء ثياب من الكسب

١- البقرة ٢: ١٥٣.

٢- العنكبوت ٢٩: ٤٥.

الحلال فهو مضطر الى رعاية حقوق الآخرين وعدم العدوان على هذا وذاك وهو في الحقيقة ملزم باجتناب الفحشاء والمنكرات وحفظ الباطن وصونه من النجاسات.

اما تارك الصلاة فهو لا يرى نفسه ملزماً بذلك.

والمصلي يعلم ان الله سبحانه لا يقبل صلاة أحد توضأ بماء حرام وارتدى لباساً حراماً وصلى في مكان حرام ولهذا فهو حساس في هذه الامور من لباس وطمهور. طبعاً هذه الأشياء مطلوبة في سائر العبادات حيث ان الاسلام يهدف من وراء ذلك الى حفظ حقوق آخرين وترويض النفس وضبط الغرائز والميول والرغبات في حدودها الشرعية.

وهذا من شأن الدين الشامل والكامل الذي شخص ان الانانية وحب الذات وعبادتها منشأ جميع المفاسد.

ويتعين في المرحلة الاولى اجتثاث الأمراض الروحية من جذورها وارساء دعائم الرقي والتكامل الروحي والمعنوي على طريق معرفة الله وعبادته؛ ذلك ان الشخص الاناني والنرجسي لا يمكن أن يتقدم في طريق البحث عن الحقيقة ومعرفة الله عزوجل وعبادته ومادام المرء غارقاً في مستنقع الانانية وحب الذات الى حدّ العبودية فلا أمل في صلاحه واصلاحه.

الصلاة، علاج للنرجسية:

الصلاة وهي جامعة لكثير من العبادات تعدّ العلاج الانجع لأمراض النرجسية والانانية وعبادة الأهواء وحب الذات فالمصلي الحقيقي يحب الله تبارك وتعالى والله سبحانه يحبه؛ فهل يجتمع حب الله مع حب الذات والافراط في حب المال

والجاء الذي هو حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة؟

المصلي يمجّد في صلاته صفتين من صفات الله سبحانه هما الرحمن والرحيم فاذا لم يكن في صلاته غافلاً وكان يعي كلمات الصلاة فانه ولا بدّ سيسعى في اكتساب صفة الرحمة ويحاول أن يكون رحيماً بالناس وطيباً ورؤوفاً وسوف يسعى جاهداً للتطهر من القسوة والفظاظة.

ان المصلي الحقيقي يعلم ان الله عزوجل خاطب أنبياءه قائلاً:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^١.

والمصلي يعلم ان رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً فَوْقَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أكلِ حَرَامٍ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ وَغَيْرَهَا»^٢.

ويعلم انه ﷺ قال: «من ابتاع ثوباً بعشرة دراهم وفيها درهم واحد من الحرام

لم يقبل الله صلاته في ذلك الثوب»^٣.

والمصلي يعلم ان الامام الصادق عليه السلام قال:

«من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل

منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟ فيقدر ما منعته قبلت

منه»^٤.

١ - المؤمنون ٢٣: ٥١.

٢ - المحجة البيضاء: ٢٠٤/٣، كتاب الحلال والحرام.

٣ - المحجة البيضاء: ٢٠٤/٣، كتاب الحلال والحرام.

٤ - بحار الأنوار: ٢٠٤/١٦، باب ٩.

لأن أهلها لا يمارسون السرقة ولا الاحتيال ولا الاختلاس وأكل المال بالباطل سجونها خاوية ومحاكمها فارغة والحياة العائلية فيها تمضي بسلام ووثام والمجتمع نظيف من كل الآفات يتحلّى أهله بأحلى الصفات.

الدولة التي يصلّي أهلها وشعبها لا يحتاجون الى شرطة لحفظ حقوق الناس والمجتمع واذا كان الناس جميعاً يصلّون ويلتزمون بشروط الصلاة فلماذا السجون اذن؟

ان عاشق الصلاة في الحقيقة عاشق لله تعالى ينفذ أوامره وينتهي عن نواهيه ويسعى في مرضاته.

والصلاة أقوى محرّك يحفز الانسان للسير في طريق الحقيقة والنفع الذي تعود به الصلاة المصلّي يشمل حياته في الدنيا ومستقبله الحقيقي في الآخرة.

وتاريخ المصلّي تاريخ مفعم بالنور والحقيقة واولئك الذين اكتشفوا الحقيقة يرون في العمل الصالح ضماناً في الحفاظ عليها؛ فهم يعشقون الصلاة ويؤدونها في أوقاتها.

يؤدي العاشق صلاته وأمنته أن تكون الدنيا كلها ليلة واحدة يحبها الانسان ويمضيها في الصلاة.

الامام زين العابدين عليه السلام في مرآة الصلاة:

ان صلاة الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام لمن عجائب الدهر لا يطبق أحد أن يقوم بمثل ما يقوم في عبادته وصلاته.

كان يصلّي في اليوم واللييلة ألف ركعة واذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإنه

يكررها حتى يكاد أن يموت^١.

ينام من الليل قليلاً ثم ينهض للعبادة.

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام قال: «والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله وما عرض له أمران (كلاهما) لله رضاءً إلا أخذ بأشدّهما عليه في دينه وما نزلت برسول الله نازلة إلا دعاه ثقةً به وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شياً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام». ولقد دخل أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ابنه عليه فاذا قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فراه قد اصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء وانخرم أنفه من السجود وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة».

قال أبو جعفر عليه السلام: «فلم أملك حين رأيتك بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، فاذا هو يفكر فالتفت اليّ بعد هنيئة من دخولي فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: ومن يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام؟!^٢ وكان الامام زين العابدين اذا سجد أطال في سجوده ولم يعد يسمع شيئاً ممّا يجري حوله؛ مستغرقاً في ذات الله.

وذات يوم صاح بعض وقد شبت النار في بيته: يا بن رسول الله النار النار! فما رفع رأسه حتى أطفئت.

ف قيل له: ما أهلك عنها؟ قال: الهنتي عنها النار الكبرى^٣.

١- وسائل الشيعة: ١٥١/٦، باب ٦٨، حديث ٧٥٩٣.

٢- وسائل الشيعة: ٩١/١، باب ٢٠، حديث ٢١٥؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٤٩/٤؛ كشف الغمة: ٨٥/٢.

٣- المناقب، ابن شهر آشوب: ١٥٠/٤.

وجاء في سيرة الامام زين العابدين عليه السلام انه ورد الكوفة ودخل مسجدها وفي المسجد أبو حمزة الشمالي وكان من زهاد الكوفة ومشايخها.

فصلى عليه السلام ركعتين قال أبو حمزة: فما سمعت أطيّب من لهجته فدنوت لأسمع منه ما يقول، فسمته يقول:

الهي إن كان قد عصيتك فاني قد اطعتك في أحب الأشياء إليك الاقرار
بوحدانيتك منّا منك عليّ لا منّا مني عليك!

وروى طاووس اليماني قال دخلت الحجر (حجر اسماعيل) ليلاً فرأيت زين
العابدين ساجداً يقول في سجوده:

«إِلٰهِي عُبَيْدُكَ بِفَنَائِكَ، مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ، فَقَيْرُكَ بِفَنَائِكَ»^١.

وروى القطب الراوندي وآخرون عن حماد بن حبيب العطار الكوفي انه رأى
السجاد عليه السلام في طريق مكة لما انقطع عن الحاج قال: فتهياً عليه السلام للصلاة ثم وثب
قائماً وهو يقول:

«يَا مَنْ أَحَارَ كُلَّ شَيْءٍ مَلَكُونًا وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ جَبْرُوتًا صَلَّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَجْ قَلْبِي فَرَحَ الْأَقْبَالِ عَلَيْكَ
وَأَلْحِقْنِي بِمَيِّدَانِ الْمُطِيعِينَ لَكَ»^٢.

يقول حماد فتوضأت ووقفت خلفه أصلي فأطال في سجوده وكان كلما قرأ
فيها آية فيها وعيد ردّها وكرزها فكان هذا ديدنه حتى الهزيع الأخير من الليل

١ - مستدرک الوسائل: ٤٠٥/٣، حدیث ٣٨٨٦.

٢ - فلاح السائل: ١٨٢.

٣ - مستدرک الوسائل: ١٢٤/٤.

فرفع يديه الى السماء وقال:

«بَا مَنْ قَصَدَهُ الضَّالُّونَ فَاصَابُوهُ مُرْشِدًا وَأَمَّهُ الْخَائِفُونَ فَوَجَدُوهُ
مَعْقِلًا وَلَجَأَ إِلَيْهِ الْعَابِدُونَ فَوَجَدُوهُ مَوْئِلًا مَتَى رَاحَةٌ مَنْ نَصَبَ
لِنَفْسِكَ بَدَنُهُ وَمَتَى فَرَحَ مَنْ قَصَدَ سِوَاكَ بِهَيْمَتِهِ إِلَهِي قَدْ تَقَشَّعَ
الظُّلَامُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ خِدْمَتِكَ وَطَرًّا وَلَا مِنْ حِيَاضِ مُنَاجَاتِكَ
صَدْرًا صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَفْعَلُ بِي أَوْلَى الْأَمْرَيْنِ
بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

يقول حماد: فتعلقت به فقال: لو صدق توكلت ما كنت ضالاً (وكان حماد قد
خرج للحج وفي الطريق وسط الفلاة هبت عاصفة شديدة فتقطعت القافلة وضاع
حماد في تلك البراري وقادته قدماه الى واد قفر وجته الليل فأوى الى شجرة فلما
غمر الظلام الوادي رأى شاباً عليه ثياب بيضاء فقال في نفسه هذا ولي من الأولياء
وراح يراقب حركاته).

وقال عليه السلام: «اتبعني واقف أثري».

يقول حماد: وأخذ بيدي فخيّل الي ان الأرض تمتد من تحت قدمي فلما
انفجر عمود الصبح قال:

هذه مكة فقال له حماد من أنت؟ ثم أقسم عليه فقال عليه السلام: «أما اذا قسمت فأنا
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب».

أويس القرني في مرآة العبادة

انسان عظيم يعد في ثمانية زهاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتشوق الى رؤيته ولقائه.

وقد روي عنه صلى الله عليه انه كان يقول: «تفوح روائح الجنة من قبل قرن واشوقاه اليك يا اويس القرني، ألا ومن لقيه فليقرئه مني السلام»^١.

وكان اويس راعياً للابل وله ام مكفوفة البصر فكان يرعاها وينفق عليها ما يحصل عليه.

آمن برسالة الاسلام وهزه الشوق لزيارة النبي صلى الله عليه فاستعد لذلك وطلب من امه أن تأذن له في زيارة الحبيب فأذنت له شرط ألا يمكث في المدينة الأ نهاره فان وجد النبي صلى الله عليه فيها والأ عاد الى دياره.

وانطلق اويس يطوي المسافات حتى اذا وصل المدينة لم يجد الحبيب فعاد الى امه. ولما جاء النبي صلى الله عليه رأى نوراً فقال: «نور من هذا الذي أراه؟ فقيل: راعي ابل كان هنا يدعى اويس اشتاق لزيارتك فلم يجده فانصرف.

فقال النبي صلى الله عليه: «ترك لنا نوره هدية وانصرف».

فسأل سلمان الفارسي: «من هذا الذي له هذه المنزلة؟»

فقال رسول الله صلى الله عليه: «رجل من اليمن يشفع يوم القيامة بمثل ربيعة

ومضر.

والتفت إلى عمر بن الخطاب: يا عمر اقرئه مني السلام».

وراح عمر يبحث عنه حتى جاء الى المدينة في موسم الحج مع جمع من الناس يعرفونه ولا يعرفون منزلته فقالوا لعمر: تسأل عن رجل لا يسأل عنه مثلك؟

قال: ولم؟

فقالوا: لأنه عندنا مغمور وربما عبث به الصبيان.

قال عمر: ذاك احب اليّ.

ولما لقيه قال: يا اويس ان رسول الله قد أودعني اليك رسالة وهو يقرأ عليك السلام وقد أخبرني انك تشفع بمثل ربيعة ومضر.

فخرّ اويس ساجداً ومكث طويلاً ما ترقى له دمعة حتى ظنوا انه مات؛ ونادوه: يا اويس هذا أمير المؤمنين.

فرفع رأسه وقال: شهرتني وأهلكتني وكان يقول كثيراً: ما لقيت من عمر؟

وقال عمر: من يشتري الخلافة بقرص شعير؟

فقال اويس: من لا عقل له فان صدقت فلم تبعها دعها وانصرف يأخذها أهلها.

فقال عمر: ادع لي!

فقال اويس: انني ادعو للمؤمنين والمؤمنات فان كنت منهم شملك الدعاء.

فلما عاد الى اليمن وتسامع أهلها بمنزلته وما قال رسول الله ﷺ فيه تسابقوا

الى التبرك به ففر من اليمن وقدم الكوفة لا يعرفه أحد من أهلها وعاش فيها مغموراً.

وذات يوم قصده رجل يدعى حيان بن هرم، فقال له حين رآه السلام عليك يا

أخي حيان بن هرم، فقال حيان: من أين لك معرفتي ولم ترني؟

فقال له: المؤمن ينظر بنور الله.

وكان حيان بن هرم من الزهاد الثمانية.

فقال له اويس: ما حاجتك؟

قال: جئت لأنس بك.

فقال اويس: ما كنت اعرف أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره.

في صفيين:

وفي حرب صفيين طلب الامام علي عليه السلام رجلاً يباعونه على الموت فجاء
تسع وتسعون وباعوه.

فقال الامام عليه السلام: أين تمام المئة؟ لقد عهد اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يباعني
في هذا اليوم مئة رجل.

وجاء رجل يرتدي قباءً أبيض من الصوف متقلداً بسيفين وقال للامام:
ابسط يدك أبايعك.

قال علي عليه السلام: على ما تباعيني؟

قال اويس: على بذل مهجتي دونك.

قال عليه السلام: من أنت؟

قال: أنا اويس القرني.

وذات يوم خرج رجل من أهل الشام وسأل: أفيكم اويس القرني؟

فأجابه جمع من أهل العراق: نعم.

قال الرجل الشامي: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أو من

خير التابعين اويس القرني.

ثم ان الرجل الشامي ترك جيش معاوية وانحاز الى جيش علي بن أبي

طالب عليه السلام.

وقاتل اويس في صفيين مع المشاة الى أن استشهد رضي الله عنه.

وكان هذا الرجل الالهي ربما أمضى الليل كله راکعاً وربما أمضاه ساجداً وقد

قيل له في ذلك: انك لتشق على نفسك.

فقال: بل أجد راحتي في ذلك لوددت ان ما بين الازل الى الأبد ليلة فأمضيها في ركوع أو سجود.

أجل هكذا كان رجال الله وقد وصلوا الى ما وصلوا اليه ببركة الصلاة.

يقول الامام الخميني رحمته الله حول الصلاة وأسرارها:

ان من بين أسرار ونتائج العبادات والرياضات هي تقوية ارادة النفس في ملك البدن ونفوذها في مملكته وجود الانسان فاذا هي خاضعة تحت كبرياء النفس وقد خفت لها القوى المنبثة والجنود المنتشرة في ملك البدن؛ لا تستطيع العصيان ولا التمرد وقد سلّمت لملكوت باطن القلب بل انها تذوب شيئاً فشيئاً في الملكوت.

ويكون أمر الملكوت نافذاً وجارياً في الملك وقد قويت ارادة النفس وتحرر زمام المملكة من يد الشيطان والنفس الامارة وانتقلت جنود النفس الى التسليم ومن التسليم الى الرضا ومن الرضا الى الفناء هنالك يستشم العبد عبيراً من أسرار العبادة.

الآداب الظاهرية والباطنية للصلاة:

الوضوء، الغسل، التيمم، طهارة البدن، طهارة اللباس، اباحة المكان واجتناب ثياب الحرير والذهب وكل ثوب مشوب بجلد وشعر الحيوانات المحرّم أكل لحومها، الالتزام بالوقت، الاتجاه نحو القبلة والقراءة الصحيحة من الآداب الظاهرية للصلاة.

ولكل من هذه الآداب أسرار وحقائق أشرنا الى بعضها في الجزء الرابع.

ومن الآداب الظاهرية أيضاً قراءة بعض الآيات من قبيل: (وجهت وجهي
لذي) ^١ وبعض الأذكار والأوراد في مقدمة الصلاة رفع اليدين الى محاذاة الأذنين
في حين تتجه الكفان باتجاه القبلة والوقوف في أدب ووقار والنظر الى محل
السجود في حالة من الطمأنينة والهدوء.

الآداب الباطنية للصلاة:

اما الآداب الباطنية فالمناجاة مع قاضي الحاجات والوسيلة للتقرب الى جناب
الحبيب؛ حيث تنطوي الصلاة على الكثير الوافر من المعارف الالهية المودعة في
هذه العبادة العظيمة.

فاذا لم يكن في وسع المصلي ان يعي هذه المدارج الظاهرية والباطنية للصلاة
فانه في الحقيقة لم يكن يناجي ربه ولم يضع قدمه في ساحة قدسه سبحانه ولم
يتوسل ولم يتقرب له.

في حين أن الاهتمام والالتزام بالآداب الظاهرية والباطنية يمكن الانسان من
الحصول على منافع وفوائد هذه العبادة الكبرى.

والمتمكّن بوسيلة الصلاة لا ينبغي عليه أن يغفل عن المستمع لأن الغفلة تؤدي
بالمراء الى العذاب والظلمانية.

ان الصلاة تقرب العبد الى الاثار الظاهرية والباطنية لجناب الحبيب وتردع
الانسان عن ممارسة الفحشاء عن ارتكاب المنكر وهذا لا يتيسر الا بمدى وعي
المكلف وسعته وقابليته علماً وعملاً فيما يخص الالتزام بالآداب الظاهرية

والباطنية للصلاة.

المراحل الباطنية للصلاة:

يقول الفيض الكاشاني في «المحجة البيضاء»:

ان روح الصلاة في مدتها ترتبط بست مراحل ويتوجب على المصلي المكلف الالتزام بهذه الحقائق:

١ - حضور القلب.

٢ - التفهم.

٣ - التعظيم.

٤ - الهيبة.

٥ - الرجاء والأمل.

٦ - الحياء والخجل.

١ - حضور القلب:

حضور القلب حقيقة تنشأ عن تمركز الفكر في أداء الصلاة والانتباه العميق للحق تبارك وتعالى ومادام فكر الانسان وذهنه ميدان تجول فيه الأفكار الشاردة والواردة فمن المستحيل ان يُقبل على جانب المعشوق الحقيقي ويتهل من ملكوت الفيض والنور.

فاذا لم يحضر القلب في الصلاة بمعونة من الفكر ولم يتجه الفؤاد الذي هو الوجه الحقيقي للانسان نحو قبلة المحبوب فهل يمكن أن ندعوا هذه الصلاة؟ وفي حالة ان القلب لم يتحدث مع المحبوب في الصلاة ولا يتدفق حباً له ولم يحدث الاتصال مع عالم الملكوت؛ فان هذه الصلاة انما هي جسم بلا روح

وسراج بلا نور وألفاظ خاوية من المعنى.

ان تكرار ﴿لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^١ في آيات القرآن الكريم انما تقصد هذا المعنى الهام وهو ان لا تغفل ايها الانسان عن الأسرار في كل عبادة ولا تغفل عن المحبوب الحقيقي في كل طاعة.

ان الغفلة في حال العبادة ذنب عظيم وعلامة على غياب المكلف في رحاب المحبوب.

ان الصلاة من أحكام دين الله الحق ومن يريد وينشد رضا المحبوب عليه أن يبحث عنه في الصلاة.

ان الصلاة طريق الأنبياء وأن الملائكة لترفرف بأجنحتها النورانية على المصلي.

الصلاة هداية وإيمان ومصباح ساطع يضيء للانسان طريق المعرفة والصلاة تجلب الرزق وفيها راحة البدن والصلاة تطرد عن روح الانسان وساوس الشيطان الرجيم وتحميه من كيد الكافرين.

وفي الصلاة تستجاب الدعوات وتقبل الأعمال وهي خير الزاد الى المعاد والصلاة شفيع الانسان يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين وهي الانيس في القبر وهي عن أسئلة الملكين تجيب والصلاة خير رفيق في وحشة الطريق.

الصلاة نور الانسان في يوم الحشر والمجنّ الذي يحول بين بدن الانسان وألسنة النيران وهي الحجة والبرهان اذا وقف الناس أمام الملك الجبار.

الصلاة نجاة الانسان من العذاب في يوم الحساب وجواز العبور على الصراط

ومفتاح الجنة ومهر حور العين وثمر دخول الانسان الى عالم الجنان وفرحة النفوس في جنات الفردوس.

وبالصلاة يعرج الانسان الى عالم الملكوت لأن الصلاة عين التسبيح والتهليل والتحميد والتمجيد والتكبير والتقديس وكلام الحق والدعوة الالهية^١.

ومن المؤسف المؤلم أن يكون الانسان غافلاً في هكذا عالم رفيع بكل ما يغمره من فيض رباني.

وانه لما يبعث على الاسى أن يحضر الانسان في رحاب الصلاة بجسمه فقط أما قلبه فقد تركه يسرح في وديان مظلمة؛ فهو غائب في عالم النور المفعم بالحب والحنان الالهي.

السفر المادي والسفر المعنوي:

للانسان رحلتان ونوعان لحركته وسفران: سفر مادي وسفر معنوي والسفر المادي يعود على الانسان بمنافع كثيرة تنتهي به الى الراحة وتحقيق ما يتمناه في الحياة.

يقول الامام علي في الديوان المنسوب اليه:

«تغرّب عن الأوطان في طلب لعلى، تفرّج همّ واكتساب معيشة.

وسافر فقي الأسفار خمس فوائد، وعلم وآداب وصحبة ماجد.

فان قيل في الأسفار ذلّ ومحنة، فموت الفتى خير له من معاشه.

وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد، بدار هوان بين وافر وحاسد»^٢.

أما منافع السفر المعنوية فلا تقاس بمنافعه المادية لأن السفر المعنوي يعني

١ - اسرار الصلاة، شيخ عبدالحسين تهراني: ٣٠٥.

٢ - مستدرک الوسائل: ١١٥/٨، باب ٢، به نقل از ديوان امام علي عليه السلام.

انطلاق العقل والقلب والروح بحرارة الايمان ودفء الحب نحو رب الأرباب؛ فاذا بلغ الانسان غايته ووصل مقام الوصل فقد حقق غاية المنى وحصل على كل شيء؛ لأن المحبوب يستجمع كل صفات الكمال بل هو الكمال المطلق والحسن المطلق والجمال المطلق.

يقول المرحوم الشيخ عبدالحسين الطهراني في «اسرار الصلاة»:

لدى أرباب العقل والنهى ان رقي كل شيء وكماله يكمن في السفر كما قال الشيخ الرئيس ان كمال المحدثات في غربتها فمن جهة ان جميع المحدثات في منشأها الأصلي ومسكنها الاولي الذي هو عالم العدم معدومة. ومعلوم ان الانسان مادام في ذلك العالم فهو في حضيض النقصان ومركز الحرمان.

واذن فانها لما سافرت من مقر العدم نحو غربة عالم الوجود فقد حصلت لها أنواع الكمالات واشكال الكرامات وهذا دليل على ان الكمال لا يحصل الا بالغربة وكذلك بعد الدخول في الوجود كان الجميع تراباً. وقد قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾!

واذن مادام باق على صفة الترابية في مسكنه الأصلي ومعدنه الاولي فهو تراب ولما فارق منشأه ومسكنه وامتزج بمادة البدن حصل على الصفات العالية؛ حيث اختلط بالطباع الغريبة فاصبح مستعداً لقبول سلطان الروح وانفتح على أبواب الفتوح. قال عزوجل:

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^١.

ثم استقر في الأصلاب كما قال تعالى:

﴿فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا﴾^٢.

ومادام هو قطرة باقية في الصلب مستقرة فهو مهين وقدر ولما سافرت نحو الرحم اتصلت بانواع الكرم وحصلت على أنواع النعم. واذن فان جميع الخيرات تحصل بالسفر.

وأنت تعلم ان ظهور وقوة الدين المبين الذي جاء به سيد المرسلين انما حصل بالسفر لا بالتوقف؛ واذن نستنتج ان الموت أيضاً للمؤمن سفر وفلاح. واذن فان رحمة الله عزوجل اقتضت انقضاء عالم العدم وان حقائق الأشياء قد استعدت للسفر الى عالم الوجود ونزلت في عالم العقل ومنازل القدس.

ومن عالم العقل سافرت الى عالم الأرواح ومن عالم الأرواح الى عالم الاشباح ومن عالم الاشباح الى عالم العناصر ومن عالم العناصر الى عالم الجماد ومن عالم الجماد الى عالم النبات ومن عالم النبات الى عالم الحيوان ومن عالم الحيوان الى عالم الانسان ومن عالم الانسان الى عالم البرزخ والمثال ومن عالم المثال الى الحشر ومن عالم الحشر الى دار القرار.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^٣.

وواضح ان الانسان مسافر في عالم الامكان، وعليه أن يعلم انه على أساس

١- المؤمنون ٢٣: ١٤.

٢- الانعام ٦: ٩٨.

٣- الاعراف ٧: ٢٩.

المعارف الالهية ان لهذا السفر عشرة منازل، حيث انه في هذه المنازل بمنزل الدنيا يضع قدمه في الطين.

وبعد أن يطوي المنازل العشرة يصل الى المنزل الخالد وينطلق من نقطة المبدأ في قوس النزول الى نهاية قوس الصعود، حيث يستقر هناك.

والاجزاء الصلالية تنطبق على هذه المنازل والعوالم حيث رتبها الشارع الحكيم، بحيث اذا صلى الانسان ركعتين فانه يطوي جميع منازل المبدأ والمعاد وهذه هي الحقيقة.

فالقيام اشارة الى عالم العقل والقراءة اشارة الى عالم الروح والركوع اشارة الى عالم الذر والسجدة اشارة الى عالم التراب ورفع الرأس الى عالم الدنيا الدنية التي هي دار الغرور والمعاصي.

وكل جزء من الأجزاء الاخرى للصلاة اشارة الى العالم ولتكن منصفاً كيف يمكن السفر من العالم السفلي الى العالم العلوي وعبور المنازل والوصول الى المنزل المشهود اذا لم يكن للقلب حضور في الصلاة؟

فاسع الى اجتناب التشتت الذهني من بدء الصلاة الى انتهائها وركز قوة الفكر في حقيقة الصلاة وتوجه بفؤادك الى عالم الغيب لأنه بتركيز الفكر يحضر القلب على عرش الحضور في مقابل النور فيتلقى بحسب قابليته من الفيض الالهي.

الويل لنا نحن الذين نستخف بالصلاة وننظر الى بحر الفيض الالهي نظرة عادية في غفلة عن الحقيقة وعن حقائقها وبدل أن نسافر ونشد الرحال بقدرة الصلاة نحو المعبود اخلدنا الى الأر.

فهلّموا الان نمد اكفنا ونتضرّع ونتوسّل في رحاب القدس وأن نتوب إلى الله من تلك الصلاة التي أدّيناها من دون حضور للقلب وتوجّه للروح.

٢ - التفهم:

المراد من التفهم تذوق معنى ومفهوم الصلاة بذائقة القلب والروح والعقل وسأبذل ما بوسعي لتفسير كلمات الصلاة وعندها يعرف ويتضح معنى الصلاة والحقائق العالية التي تشتمل عليها.

وأنّ المصلّي اذا اتّصل بتلك الحقائق فانه يحصل على منافع تكون من نصيب قلبه وروحه.

القي بنفسي عند قدميك وأموت.

اعلم لماذا لا تريق دُمي بسرعة فأنت تريد قبض روعي وانتزاعها.

لا أطيق عدم النظر إلى وجهك فلا تجعلني أموت في حسرة اللقاء.

ان شمس حياتي اذنت بالمغيب ليتني أموت في ظلال ذاك الجدار^١

٣ - التعظيم:

يجب أن يكون الله تبارك وتعالى لدى المصلّي أكبر وأعظم من كل شيء.

ان الوجود بأسره بالنسبة له سبحانه بمثابة قطرة أمام مجد وعظمة مطلقة لا

نهاية لها.

يقول الامام علي بن أبي طالب في وصف الائمة الاطهار:

«عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»^٢.

ان ما سوى الله يبلغ من الصغر لدى الأطهار بحيث يخطف من أمامهم وهم

١ - هلالى جفتايى.

٢ - نهج البلاغة: خطبه ١٨٤؛ بحار الأنوار: ٣١٥/٦٤؛ باب ١٤، حديث ٥٠.

ينظرون اليه فيرونه حقيراً جداً.

ان ما سوى الله يبلغ من الصغر بحيث لا يمكن أن ينفذ في القلب والروح؛ حيث أعماقهم الطاهرة هو مكان لتجلي الحق سبحانه ولا شيء غيره يسكن في دنيا القلب وعالم الروح.

ان المصلي يدرك ان اسمع السامعين يستمع اليه وأنه واقف أمام أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وأحسن الخالقين وأشد المعاقبين.

فكيف يمكن للمصلي أن ينظر نظرة عادية الى مستمعه العزيز، أفلا يقرأ في الصلاة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١!

أفلا يتلو في الصلاة:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^٢.

ان المصلي بمعرفته بالوجود المقدس للحق تعالى يدرك من خلال الآيات والروايات وبحسب قابليته عظمته سبحانه فيرى نفسه أحقر موجود في حضرة الحق.

٤ - الهيبة:

يمكن أن تحصل حالة الخشية والخوف للانسان من المقام الالهي عن طريقين:

الشعور بعظمة ومجد الحق تبارك وتعالى، أو الشعور بعقابه وعذابه الذي قرره لمن عصاه.

وعلى أية حال يجب على المصلي في صلاته أن يشعر بالهيبة الالهية من

١ - الحمد : ١ : ٢.

٢ - الحمد : ١ : ٤.

خلال الاحساس بعظمة الحبيب أو انتقامه من المجرمين وأن يحافظ على هذه الحالة حتى يفرغ من صلاته طبعاً.

ان أولياء الله لا ينظرون في الصلاة إلى نعم الجنة وعذاب الآخرة انهم ينظرون الى الله سبحانه فقط هو وحده وأن الهيبة التي في صدورهم انما هي حصيلة معرفتهم به.

قوس حاجبك محراب ركوعي وسجودي.

ومن دونك لا قيام لي ولا قعود.

وتجلى حسنك لما رأيت... قطعت طمعي من نفسي من أجل أن يدوب

وجودي في وجودك.

ومعك العيش والعشرة كل نوري.

ومن غيرك في العذاب والمحنة كل كياني ووجودي.

٥ - الأمل والرجاء:

ان المصلي وهو يعلم ويدرك مدى كرم الله عزوجل ولطفه ورحمته وان هذا العالم عين محبته ورحمته وان الله سبحانه وتعالى لا يضيع عمل عامل بل يجزيه جزاء الأوفى؛ عليه أن يقدم على هذه العبادة وأن يدرك ان الصلاة خير الأعمال وأفضلها وأكثرها ثواباً واجداها نفعاً.

من هنا عليه أن يشعر بالأمل والرجاء وان هذا الأمل في ذاته نور الهي وشعاع رباني وفيض رحماني.

يشع في الأعماق ويشرق على القلوب والويل للمصلي اذا ظل فؤاده فارغاً من ذلك أفلا يعلم المصلي ان الله رحيم؟ ألم يقرأ قوله تعالى على لسان يعقوب النبي ﷺ اذ قال لبنيه:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْأَسُوا
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ﴾^١!

ان منشأ الرجاء والأمل في قلب المؤمن هي معرفته بلطف الله عزوجل ورفقه ورعايته اذ لا تضره معصية من عصاه.

وأن العبد اذا أناب إلى ربه وعاد غفر له الرب معاصيه وذنوبه مهما كثرت ذلك ان رحمته سبحانه وسعت كل شيء.

وهذا كتاب «مصباح الشريعة» في باب التوبة ينطق من خلال الآيات والروايات التي إن تعمق فيها المرء ادرك ان باب التوبة مفتوح أمام العائدين على مصراعيه.

فياعزيزي هذه ذرات الوجود تهتف برحمته سبحانه ذرة ذرة وهذه جنبات الوجود في أي زاوية جلست هبت عليك نسائم لطفه ورحمته.

فكيف بعده وقد شمر عن ساعديه وتطهر ونهض واقفاً في رحاب الرب يصلي أفلا تنفتح لهذا الانسان أبواب الرحمة؛ فيلج الى رحاب الله في بساط القرب؟ كلا وحاشا وهو الرؤوف الرحيم.

وكيف لا وهو سبحانه نبع القدرة والرحمة واللطف والحب والعشق.

٦ - الحياء والخجل:

ومنشأ هذه الحقيقة في القلب المعرفة أيضاً وذلك عند ما يغمر الانسان شعور انه ليس الأ ذرة صغيرة مع أوزار من الذنوب والمعاصي والتقصيرات واقفاً في

رحاب العظيم الأعظم الجليل ذو الجلالة والاكرام.
المطلق في كل شيء في مجده وعظمته وقدرته وجبروته؛ اللانهاهي في
وجوده وفي بطشه.

فاذا الانسان واقفاً امامه يشعر بالعجز لا شيء يحمله حتى عبادته لا تساوي
صفرأ بل هي والعدم سواء وخواء في خواء. قد أحاط به علم الله ونفذ في
أعماقه.

يقول أحد العرفاء:

ان منشأ الخجل والحياء المعرفة بعظمة الله الخالق البارئ المصور وما أنعم عليه
وحقه على عباده؛ ومن جهة اخرى تقصير العباد في حقوق الرب تبارك وتعالى
والاحساس بما في النفس من آفات وعيوب، وما ارتكبه من معاصي وذنوب.
ان هذا الاحساس يفعل فعله في الانسان ويدفعه بوعي أو دون وعي الى
الشعور بالخجل والحياء أمام خالق الأرض ورب السماء.

وكيف لا يشعر العبد بذلك وهو يقف أمام من انعم عليه وغمره باحسانه من
قبل أن يفتح عينيه ويخرج من الظلمات الثلاث وحتى أن ينتهي به العمر في
حياته وهو مع كل هذه النعم الذي ترى عليه صباحاً ومساءً ولو شاء أن يحصيها
ما استطاع لذلك سبيلاً ومع ذلك يدرك ما ارتكب من الذنوب والآثام في محضر
ربه ذي الجلال والاكرام ويعرف ان الله يتجاوز عنه ويغفر له ويدعوه الى التوبة
والانابة.

أفلا يشعر بالخجل والحياء ذلك الانسان الذي يحمل من الذنوب أوزاراً وقد

وعده ربه بالغفران ان تاب وأناب وعاد الى جادة الصواب والى رشده تاب؟!!

وكيف لا يشعر قلب المصلّي بالحياء واقفاً في رحاب ربه ربّ السماء؟
ان على المصلّي أن يستشعر ذلك وأن يقف أمام الله تبارك وتعالى وقد غمره
الحياء وشمله الخجل بعد الخوف والوجل.

جاء في «تفسير ميبدى»^١:

ان أحد العرفاء سئل عن الزهد ما معناه؟ فقال: ترك التنعم بالدنيا زهد النفس
وترك النعيم في الآخرة زهد القلب وترك قول النفس زهد الروح.

وقد قال العارفون:

سعادة المرء في ثلاثة أشياء:

١ - اشتغال لسانه بذكر الحق.

٢ - استغراق القلب بحب الحق.

٣ - امتلاء السر من نظرة الحق.

والذكر باللسان يجب أن يتجلى في الباطن والفؤاد باكتساب المعرفة يمتلئ
من حب الحق؛ فيحصل نظر الله اليه بطهارة الباطن وينبغي أن يحصل كلّ هذا
قبل الصلاة وبالصلاة.

فيا نور الأمر ورجاء قلب السالك.

ارني طريق الخلاص من المهالك.

وازح عني أوزار الذنوب.

ومن رحمتك املاً قلبي يا مقلب القلوب.

ولتستحم روحي بفيض رحمتك.

لا اريد سوى حبك.

وأن أغسل القلب بفيض دموعي.

لن يلهج لساني إلا باسمك.

جالساً كالغريب في رحابك وحيداً.

لا أمل لي إلا بك.

فكن رفيقي يا رب في رحلتي يا خير رفيق في الأسفار.

هذا قلبي بين يديك اجعله يا الهي متألقاً بنورك.

الصلاة في رؤى العارفين:

العارفون العاشقون والسالكون الصادقون يرون الصلاة سفرأ في ثلاث مراحل:

١ - صلاة أهل الشريعة.

٢ - صلاة أهل الطريقة.

٣ - صلاة أهل الحقيقة.

وقد شرحوا كل مرحلة حسب تناسب موضوعها وفسروها وفضلوا في

توضيحها وهذا موجز في كل منها.

معاني الشريعة والطريقة والحقيقة:

وقبل بيان هذه المفردات يجدر أن نلتفت الى هذه الحقيقة الهامة وهي أن

هذه المراحل الثلاث (الشريعة والطريقة والحقيقة) لا علاقة لها من حيث

الجدور والتقسيم بالمتصوفة وال دراويش بل انها ثلاث حقائق لها ما يؤيدها في

آيات القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام.

والشريعة: في اللغة بمعنى السنة والقانون وفتح الطريق للحركة الصحيحة من خلال تقديم الضوابط والمقررات.

والطريقة: في اللغة بمعنى الاسلوب والكيفية والحالة؛ حيث مفهومها الحقيقي على أساس الحقيقة اللغوية هو الحركة والعمل وفقاً لقانون خاص ومقررات معلومة.

الحقيقة: في اللغة بمعنى الحق يعني الاثبات والثبت والحق والصواب واكتشاف كنه الواقع.

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف:

«الشَّرِيعةُ أَقْوَالِي وَالطَّرِيقَةُ أَعْمَالِي وَالْحَقِيقَةُ أَحْوَالِي»^١.

وقال العرفاء وأهل العرفان في ذلك:

ان الشريعة طريق الله وهذا الطريق عبارة عن مجموعة اصول وفروع وحلال وحرام وحسن وأحسن.

والطريقة عبارة عن العمل بتلك الأحكام والقوانين في احتياط تام والأخذ بالأحسن والأقوم.

والحقيقة عبارة عن اقامة الحقائق الالهية في الروح والقلب وفي مرحلة العمل وبالمعرفة وتكرار العمل والرياضات الشرعية الالهية يصل الانسان الى حد الكشف والعيان أو الى حد الثبات وتلقي الحقائق على نحو يقيني^٢.

١ - عوالي اللآلي: ٤/١٢٤، حديث ٢١٢.

٢ - اسرار الشريعة واطوار الطريقة وانوار الحقيقة: ٨.

المراحل الثلاث في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم الى هذه المراحل الثلاث في بعض من آياته فقد أشار الى الشريعة في قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^١.

وأشار الى الطريقة في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^٢.

وأشار الى الحقيقة في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^٣.

١ - الشورى ٤٢: ١٣.

٢ - الجن ٧٢: ١٥ - ١٦.

٣ - الانفال ٨: ٢ - ٤.

الصلاة في مرآة الشريعة:

الصلاة على ذوق أهل الشريعة أولاً هو العمل وفقاً للقواعد سواء كان للروح والقلب حضور في أداء هذه الحركات الالهية أم لا وعلى حد قولهم ان المهم هو اسقاط التكليف والتزام شرط الصحة.

والصلاة على ذوق أهل الشريعة حمل ثقيل على عاتق المكلف، وكلما صلى المكلف وأدى ما عليه من الفريضة فقد ازاح عن عاتقه هذا الحمل الثقيل وشعر بالراحة وتنفس الصعداء وربما جرى على لسانه قائلاً: ارتحت.

وثانياً الصلاة عندهم تتألف من ثلاثة أشياء:

١ - الأفعال ٢ - الكيفيات ٣ - التروك.

وكل واحد من هذه الثلاثة يشتمل على جهتين: الواجبات والمستحبات. ولو نظرنا إليها في الصلوات الخمس فإن جميع هذه الصلوات اليومية عبارة ألف وثلاثمئة وثلاثة وستين فعل وكيفية وترك.

والتحقيق في كل ذلك واسع ومفصل ولا لزوم له إذ أن المهم هنا هو بيان التركيب العام للصلاة على ذوق هذه الطائفة فالأفعال الواجبة للصلاة في الركعة الأولى ثلاثة عشر فصلاً:

١ و ٢ - القيام في حالة القدرة وما يعبر عن ذلك في حال العجز وعدم الاستطاعة.

٣ - النية.

٤ - تكبيرة الاحرام.

٥ - القراءة.

- ٦ و ٧ - الركوع و ذكره.
 - ٨ و ٩ - السجود و ذكره.
 - ١٠ - رفع الرأس من السجود.
 - ١١ و ١٢ - السجود الثاني و ذكره.
 - ١٣ - رفع الرأس من السجود الثاني.
 - و اما الكيفيات الواجبة فثمانية عشرة:
 - ١ - اقتران النية بتكبيرة الاحرام.
 - ٢ - استدامة النية حتى النهاية.
 - ٣ - التلفظ الصحيح لـ«اللّه اكبر».
 - ٤ - قراءة الحمد على نحو صحيح.
 - ٥ - قراءة السورة.
 - ٦ - الجهر في موضع الجهر.
 - ٧ - الاخفات في موضع الاخفات.
 - ٨ - الطمأنينه في الركوع.
 - ٩ - الطمأنينه في الوقوف بعد الركوع.
 - ١٠ - ١٦ - السجود على مواضع السجود السبعة.
 - ١٧ - الطمأنينه في السجود.
 - ١٨ - الطمأنينه في حالة النهوض من السجود.
- وجميع هذه الأفعال والكيفيات على أساس هذه الامور احدى وثلاثون مرحلة ويضاف إليها وجوب الجلوس في التشهد والطمأنينه في ذلك والشهادتين

والصلاة على محمد وآل محمد والركعة الثالثة والرابعة والسلام في آخر الصلاة. وهذه الصلاة التي بهذه الضوابط العالية للشريعة وفي الكتب الفقهية على نحو تفصيلي هي ظاهر من أصل الصلاة وقشر من لبابها؛ حيث يؤديها المكلف على أنها صلاة شرعية.

وكما أشرنا في السطور الماضية ان هذه الصلاة تؤدي على أنها دين أو اسقاط للتكليف أو العمل بشروط صحتها ولا يلاحظ فيها غير ذلك.

وطبعاً اذا أدى المصلي والمكلف هذه الصلاة على هذا النحو وبهذا الشكل وفي حالة كون ايمانه صحيحاً وقد أدى جميع الواجبات وعمل بها واجتنب المحرمات؛ فانه سوف يثاب عليها يوم القيامة دون شك وأنه سوف ينعم بالجنة على قدر صلاته.

ولكن هكذا مكلف عليه ان يعلم ويعي ان الصلاة وقبل كل شيء منطلق للتحليقةالياً وان بإمكانها أن تأخذه الى ما هو أبعد من ذلك الا أن يكون المصلي مستضعفاً من ناحية الفكر والروح والقلب وحينئذ فان مسؤوليته لا تتعدى سوى أداء التكليف فقط.

الصلاة في مرآة الطريقة:

والصلاة في مذاق أهل الطريقة وسلاك طريق الحب والسائرين في طريق العشق هي تقرّب اليه سبحانه تعالى.

وقد قال رسول الله ﷺ:

«الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ»^١.

وأنت تعلم ان المراد من هذا القرب هو القرب المعنوي والقرب المعنوي لا يحصل إلا باقبال الانسان على أداء الصلاة والفرائض بشوق وترك المحرمات ارضاءً للرب وملازمة التقوى والورع.

وقد جاء في آثار الاسلام:

«إِنَّ الصَّلَاةَ خِدْمَةٌ وَقُرْبَةٌ وَوَصْلَةٌ».

الخدمة: هي أداء الصلاة وفق القواعد والسنن الشرعية وبعبارة أخرى اقامة هيكل الصلاة من غير روح وحقيقة القربة: أداء الصلاة لكسب القرب المعنوي منه سبحانه.

الوصلة: اداء الصلاة للفناء في الحقيقة ومغادرة وجود النفس وعالمها وترك الانانية والاندكاك في الحق وقالوا: الشريعة عبادة الطريقة حضور في رحابه والحقيقة مقام الشهود.

والتقرب الى الحق وقف على السجدة الحقيقية وذلك بأداء الصلاة التي يعبر عنها بالفناء الفناء في الروايات الخاصة بأهل الطريقة والفناء في الذرات الخاصة بأهل الحقيقة والى هذا المعنى أشار القرآن الكريم:

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^١.

ولقد صور الله عزوجل هذه الصلاة من أجل ترشيد عباده وتكاملهم فكانت بهذه الصورة الجميلة.

النية والاخلاص في الصلاة

النية والاخلاص وحضور القلب هي روح الصلاة والأعمال بدن الصلاة

والأركان أعضاؤها الأصلية وبعض أعضائها الأخرى عناصر كمالية.

والإخلاص والنية في الصلاة يجريان مجرى الروح والقيام والقعود يجريان مجرى البدن والركوع والسجود يجريان مجرى اليد والرأس والتزام الطمأنينة وحسن أدائها يجريان مجرى جمال الأعضاء وشكلها ولونها والأذكار والتسبيحات تجري مجرى الأذن والعين والمعرفة بمفاهيم الأذكار السامية وحضور القلب يجريان مجرى المشاعر والأحاسيس.

افترض أنك تريد ارسال فتى ليخدم في قصر سلطان كبير هل كنت ترسل اليه فتىً مقطوع الأذن أعمى وأصم وقبيح الوجه كريهاً مقطوع اليدين والرجلين أخرس؟ أبدأ هكذا مسألة الصلاة انما هدية العبد الى السلطان الحقيقي ومالك ومملك هذا العالم وهكذا الصلاة التي نصليها له يجب أن ننظر اليها من هذه الزاوية.

ان فقدان النية والإخلاص في الصلاة بمنزلة فقدان الفتى للروح أليس تقديم فتى ميت الى السلطان هو استهزاؤ به واستخفاف؟

ألا يستحق الاعدام من يقدم جثة متعفنة على انها هدية للسلطان؟

ان فقدان الركوع والسجود الحقيقي يجري مجرى فقدان الأعضاء وفقدان الأركان يجري مجرى فقدان الأعضاء وفقدان الأركان يجري مجرى فقدان العينين والأذنين والأنف.

وان عدم حضور القلب والغفلة عن المعاني السماوية للصلاة بمنزلة فقدان المشاعر والأحاسيس العالية.

ان على المصلي أن يقدم صلاته مفعمة بالحياة كباقة من الورد والرياحين.

والصلاة الناقصة ليست مؤهلة لمقام القرب الالهي وما أكثر هذه الصلوات التي تعاد الى صاحبها الشقي وتُرد وتكون سبباً في شقائه.

الصلاة في الحقيقة تعظيم وتكريم لله عزوجل والتساهل في آدابها وشروطها الظاهرية والباطنية أمر يتنافى مع الاحترام والتكريم لله عزوجل ناهيك عن مسألة قبولها وحصول صاحبها على القرب والكرامة.

ان على جميع المكلفين بالصلاة الواجبة أن يحفظوا ما أمكنهم ذلك روح الصلاة الذي هو الاخلاص وحضور القلب وأن يكون ركوعهم وسجودهم بقلب خاشع ولا يهتفوا بتكبيرة الاحرام الأ من كل أعماق قلوبهم؛ بحيث تصدر عن مشاعر صادقة وأحاسيس راشحة بأن الله عزوجل هو أكبر من كل شيء؛ مع حالة مستمرة من الاحساس بالعجز والفقر المطلق والوقوف خاشعاً في رحاب الغني المطلق والقادر المتعال والسيد المطاع مالك يوم الدين رب العالمين.

وعلى أية حال فإن أهل الطريقة وبعد القيام بالصلاة وفقاً لكل قواعد الشريعة وأداء الأفعال والكيفيات والتروك على نحو كامل؛ فإن لهم توجه آخر هو ما وراء توجه أهل الشريعة وهو التوجه القلبي الى القبلة الحقيقية والكعبة المعنوية التي هي عبارة عن القلب الحقيقي والذي يعبر عنه في الآثار الالهية ببيت الله الحرام» وهو البيت الذي قال الله عزوجل فيه:

«لَا يَسْعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَانِي وَلَكِنْ يَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِي
الْمُؤْمِنِ»^١.

وما يؤيد هذه الحقيقة ما روي عن الامام الرضا عليه السلام وقوله:

«ما آدابُ الصَّلَاةِ، قَالَ: حُضُورُ الْقَلْبِ»^١.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^٢.

وقوله تبارك اسمه وتعالى ذكره:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٣.

حقيقة أفعال صلاة أهل الطريقة:

وهكذا مصلي يحرم على نفسه عند تكبيرة الاحرام كل ما يخالف أمر الحبيب في أقواله وأفعاله التي لا تتناسب مع المحبوب ويقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في مقام شكر النعم والقيام بواجبات العبادة في جهاتها المختلفة والاقرار بالوحدانية. وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بشير الى التوحيد الفعلي والوصفي ففي الجملة الاولى الى التوحيد الفعلي وفي الجملة الثانية الى التوحيد الوصفي ولهذا وبعد تلاوته الآية الكريمة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تتجلى في نفسه معاني هداية الأنبياء وجميع العالم معتبراً انطلاقاً منه سبحانه وهنا يكمن التوحيد الحقيقي.

ومعنى «اهدنا» لدى أهل التحقيق هو طلب الثبوت والثبات على الصراط

١ - مستدرک الوسائل: ٩٨/٤، حديث ٢.

٢ - الزمر: ٣٩، ٣.

٣ - الانعام: ٦، ١٦٢.

المستقيم ذلك الصراط المستقيم الذي هو طريق الأنبياء مفعم ومستغرق في جميع النعم المعنوية ومزين بكل الحقائق.

وتأكيد العبد في الثبات على الصراط المستقيم هو من أجل ألا يتعرض الى غضب الحق والضلال ذلك الغضب الذي يؤدي بالمغضوب عليه الى الخروج عن الصراط المستقيم.

يعتقد البعض ان المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين هم النصارى وطبعاً هذا صحيح ولكن الآية الكريمة تصدق على كل منحرف قد نأى بنفسه عن الصراط الالهي المستقيم هذا الصراط الذي يقع في المنطقة الوسط فلا هو في جانب الافراط ولا هو في جانب التفريط.

وعند ما يركع يعني أنه يتواضع في رحاب المحبوب معبراً عن ذلك ومسكنته وبؤسه وفقره وكل هذه الحالات من مقتضيات العبد؛ ذلك ان الركوع انما يعبر عن العودة الى الحالة العدمية حيث كان مبداه.

ومرحلة الامكان لذاته والركوع حركة افقية يعني حركة حيوانية في مقابل الحركة المستقيمة أو الاستقامية التي هي حركة الانسان.

والركوع في الحقيقة عودة ورجوع الى الأصل، ذلك الأصل الذي أشار اليه لقرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾!

أجل ان الركوع رجوع الى الأصل العدمي واللاشيئية وعالم الحيوانية وما لم يستشعر المرء هذه المعاني فركوعه ليس بركوع؛ لأنه بالركوع يدرك الانسان

هذه المعاني؛ حيث تساقط عن روح الانسان أثناء الركوع كثير من الرذائل كما تساقط عن الشجرة أوراقها الذابلة الصفراء لتظهر بدلها أوراق خضراء زاهية وهي الحسنات.

والمكلف في سجوده يصل الى قبل ما وصل اليه في الركوع؛ لأن السجود حركة انتكاسية يعني انتكاس حقيقي ووصول الى ذات نقطة الراحل حيث اللاشيئية المحضة والعدم والفناء الحقيقي؛ والذي لا يتيسر إلا بمشاهدة مقام العدمية واللاشيئية وترك المحرمات واللذات الشيطانية والشهوات الحيوانية. وبعد رفع الرأس من السجود والشهادة بكل وجوده في مقام الفناء الظاهري والباطني بوحدانية الحق ورسوله ورسالته وبعد حضوره في رحابه مع عباده الصالحين يقدم على مسألة السلام.

الصلاة في مرآة الحقيقة:

والصلاة لدى أهل الحقيقة هي أبعد وأعلى مما هي عليه لدى أهل الطريقة لأن الصلاة لدى أهل الطريقة هي من أجل التقرب منه سبحانه ولكن الصلاة لدى أهل الحقيقة هي الوصل والشهود الحقيقي وأين يقع مقام القرب من مقام الشهود؟

وصلاتهم مشاهدة المحبوب بعين المحبوب ذاته أو لم يقل رسول الله ﷺ:

«رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ رَبِّي»^١.

قوله ﷺ: «عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي»^٢.

١ - تفسير الألوسي: ٥٤/٩.

٢ - شرح الاسماء الحسنی: ٣٦/١.

وقد جاء في الرواية عن النبي ﷺ:

«حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^١.

ولهذا قال ﷺ لما سئل عن معنى الاحسان:

«الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^٢.

الصلاة بين الحق والعبدة:

جاء في رواية هامة: أن الله عزوجل جعل فاتحة الكتاب نصفها لنفسه ونصفها لعبده.

قال الله تعالى: قسمت بيني وبين عبدي هذه السورة فاذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد حمدني واذا قال رب العالمين فقد عرفني واذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فقد مدحني واذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقد أثنى عليّ واذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد صدق عبدي في عبادتي بعد ما سألتني.

واذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^٣. لك ما شئت واطلب مني ما شئت^١.

١- عوالي اللآلي: ٢٩٦/٣، حديث ٧٤؛ بحار الأنوار: ١٤١/٧٣، باب ١٩، حديث ٩.

٢- بحار الأنوار: ١٩٦/٦٧، باب ٥٣.

٣- الحمد: ١: ٧.

ويستفاد من هذه الرواية وجوب قراءة سورة الحمد بحيث ان من لم يقرأ سورة الحمد في الصلاة فهو بمنزلة من لم يؤد الصلاة.
وبما ان الصلاة مناجاة العبد مع الرب تبارك وتعالى وان المناجاة في الحقيقة ذكر وكل من ذكر الحق، فقد أصبح جليسه وكل من بلغ مقام مجالسة الحق، فانه يرى جليسه بقوة قلبه واذن فان صلاته في الحقيقة مقام الشهود والحضور والمشاهدة.

حقيقة الصلاة لدى أهل الحقيقة

وهؤلاء في صلاتهم وعلاوة ما لأهل الشريعة والطريقة فانه يتحلون بحقائق اخرى التي تبهت معرفتها الانسان وتدهشه فكيف اذا بلغ ذلك بتوفيق من لدن المحبوب؟

وقيام هؤلاء الكرام بالصلاة قيام بالاستقامة في الصراط المستقيم التوحيدي واداء المهمة الالهية التي أشارت اليها الآية الكريمة:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^١.

وهذه الاستقامة والثبات هي استقامة الكامل في مقام تكميل الوجود والاستقامة في السير بالله بعد اتمام السير الى الله والسير في الله.

وهذا القيام عبارة عن رفع التوجه من حضرة الفعلية والوصفية والتوبة الى حضرة الاحدية الذاتية التي هي قبلة العارفين وكعبة الباحثين بنية انه لا يرى في

١- بحار الأنوار: ٣٤٩/١٦، باب ١١؛ ارشاد القلوب: ٤١٢/٢.

٢- هود ١١٢١١.

الوجود الآ هو.

لا تصرف وجهك عن الله الغني.

ان ذكرك له صلاة هو المحبوب في العالمين.

فتصل عن الحب المجازي.

وتطلع الى يوم الوصال مع المحبوب الحقيقي.

وتكبيره الاحرام في صلاة هؤلاء العباد الكرام هي بمعنى سدّ الأبواب جميعاً

الأباهه الكريم وتحريم كل فعل إلا ما يؤدي الى رضاه سبحانه.

﴿وَجَهَّتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^١.

والحمد في صلاته هو تجلي حضرته وملكوت السماوات والأرض في مرآة

القلب والروح كما قال القرآن الكريم:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

وركوعهم تجلي حقيقة التواضع، التواضع الذي يرافقه الملك والملكوت

فينتهي الى الخشوع؛ ذلك ان الانسان الكامل هو خليفة الحق في الملك

والملكوت وعند مايقوم الخليفة بحركة الركوع فان جميع الأشياء تتابعه في

ذلك وتتبعه.

١ - الانعام ٦: ٧٩.

٢ - الانعام ٦: ٧٥.

أجل ان الانسان الخالص له اشراف على الملك والملكوت والجميع في انسجام مع حقيقته وتشاركه في حركته.

اقتداء الكائنات بصلاة أهل الحقيقة

ناهيك عما ورد في الروايات بأن المؤمن اذا وقف للصلاة وحده أمر الله عزوجل صفوفاً من ملائكته للاقتداء به ثم يحسب له من الأجر بقدر ذلك. وقد ورد في آثار أهل التحقيق واستناداً الى الآيات والروايات ان المؤمن الخالص اذا ناجى ربه فان العديد من الكائنات تتابعه في مناجاته فاذا أن أنت معه واذا ناح ناحت معه.

وقد جاء في قصص العارفين ان الفيلسوف الشيخ محمد حسين الغروي كان يدرّس في منزله الحكمة الالهية والعرفان الاشراقي ولم يكن في حضور درسه أكثر من ستة أشخاص أحدهم السيد محمد هادي الميلاني الذي تلقيت عليه يديه دروساً في الاخلاق والعرفان ومنحني اجازة في الرواية والثاني المرحوم الايرواني وقد حدثني ابنه بهذه الرواية عن أبيه قال: انه ذهبنا ذات ليلة لحضوره الدرس الى منزل الاستاذ ووصلنا قبل الوقت المحدد.

وكان الاستاذ مستغرقاً في الصلاة الى جانب حجرة الدرس فانتهبنا فجأة الى ان الأشياء من حولنا تحاكي الاستاذ في صلاته ودعائه وكان ايقاع الصلاة ينبعث من جميع الأشياء من الباب والجدران وكأنها تردّد ما يصدر عن استاذنا.

الحالات المعنوية للأخوند الكاشي:

روى لي المرحوم الفقيه الكبير الحاج رحيم أرباب عن استاذه المرحوم

الآخوند الكاشي انه كان أحد الطلبة في مدرسة الصدر (حيث يسكن الآخوند الكاشي) من أهل العرفان.

قال لي: نهضت ذات ليلة النوم للعبادة والمناجاة مع قاضي الحاجات وعند ما توضأت وتهيأت تنهأت الى مسامعي أصوات تنبعث من أبواب وجدران المدرسة وحتى الحصى الذي يفرش الممرات في الحديقة ومن أوراق الأشجار. وكانت الأصوات تعبر عن انين يشبه صوت الانسان في حساته وآهاته وهي تردد بصوت شجي: «سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

يا الهي من أين يأتي هذا الصوت؟ وأي انسان ينجي بهذا الصوت الشجي الحزين؟

اقتربت من حجرة الآخوند فرأيته قد عفر لحيته فوق تراب الحجرة والدموع تجري من عينيه وهو يردد: «سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» وكانت الأشياء تردد هذا التسبيح بصوت شجي فوقعت مغشياً من هول هذا المشهد.

ولما أفقت وجدت نفسي في حجرتي فقلت للاستاذ في اليوم التالي: يا عجباً ممّا رأيت بالأمس وما سمعت من تسبيح الأشجار والحصى والجدران.

فقال الاستاذ العجب لانفتاح سمعك فسمعت ما سمعت!

همت في عشقك يا محبوب وتهت.

ان كنت نقطة القلب فكنت نقطة الفرجال.

فالى متى أبحت عنك لقد انقطعت أنفاسي.

ونفسي تنوح.

ولأنه بالعدم لا توصلني فازح عن وجودك الاستار.

من أجل أن تنكشف في وجودي أسرار العالمين وعلم الأسرار.

فانا كطائر حبيس فخ اشجو.

الركوع و السجود الحقيقي:

فاذا هووا الى السجود فسجودهم عبارة عن فناء كل الكائنات وفناء وجودهم فاذا بلغوا هذه الحالة فانهم لا يشاهدون سوى المحبوب لانه لا شيء الا هو لكي يشاهدونه والحقيقة ان هؤلاء الكرام من عباد الله يشاهدون في سجودهم هذه الحقيقة التي أشار اليها القرآن الكريم.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ﴾^١.

والركوع والسجود بهذه الكيفية هما في الحقيقة حركة حقيقية واقعية نحو الحرية. وعند ما يصل الانسان عن طريق الركوع والسجود الحقيقيين الى هذه الحقيقة حيث الكائنات في رحابه سبحانه فناء محض فان قلبه ينفصل عن كل شيء أو يتصل بعشقه وجه وحده سبحانه؛ وبعبارة اخرى ان جميع الجاذبيات تبطل وتنهار امامه ولا تظل سوى جذبته وحده.

وحينئذ يسلمون بهكذا توحيد مع القلب والروح والسلام بالأحادية الوجودية الصرف التي تنتفي في رحابه كل الاعتبارات وتصبح عدماً محضاً مساوية مع قوله وقول عبادته الأكمل:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٢.

١ - الرحمن ٥٥: ٢٦ - ٢٧.

٢ - آل عمران ٣: ١٨.

وحينئذٍ بهكذا توحيد يسلمون بالقلب والروح والسلام على رسول الله وعلى
 عباد الله الصالحين الذين هم الأئمة الطاهرين وعلى حد تعبير القرآن الكريم أولى
 الأمر وان السلام والتسليم إلى حضرة الحق وآيات كتاب الله تنطق بها الحقيقة!
 فيا أعزائي هلموا نطلب من الله عزوجل أن يوفقنا لأداء وواقعات الحقيقة
 وأن يترحم علينا لأنه من دون رحمته سبحانه حيث يتعذر الحصول على شيء إلا
 برحمته والأ كانت الفضيحة في البرزخ ويوم القيامة يوم يقوم الناس لرب
 العالمين.

«قال الصادق عليه السلام: إِذَا اسْتَقْبَلْتَ الْقِبْلَةَ فَأَنْسَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَالْخَلْقَ
وَمَا هُمْ فِيهِ»

القبلة:

بحث الامام الصادق عليه السلام الانسان المؤمن اذا اتجه الى القبلة أن ينسى الدنيا
وما فيها وينسى الناس وما هم فيه.
ان المصلي يقف في مقابل الخالق وفي رحابه فلا ينبغي أن تكون حالته
مزدوجة توجه نحو الخالق وتوجه نحو الدنيا والناس.
القبلة هي بوصلة الانسان المؤمن العاشق والوقوف باتجاه القبلة مؤشر على أن
يكون اتجاه القلب نحو المحبوب.
ولذا فان على الانسان المصلي أن يستشعر بأنه يقف في رحاب الرحمة
المطلقة هنالك تصبح الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه عدماً في عدم.
فهل من المنطقي أن يتعلّق الانسان بالعدم وبشيء تافه هو في الحقيقة لا
وجود له، في حضرة الحق الذي وسعت رحمته كل شيء؟!
ان الله هو الخالق البارئ الخبير اللطيف المطلع على القلوب وهو سبحانه لا
يرتضي أن يقف عبده أمامه وقلبه في مكان آخر.

حكاية:

جاء في بعض الآثار:

ان رجلاً مؤذباً بأداب الاسلام دخل سوقاً من أسواق بغداد واتجه الى دكان يبيع مواد من قبيل الصابون والكافور، فطلب منه أن يبيعه كافوراً.

قال صاحب الدكان ليس عندي كافور. فقال الرجل: بل عندك كافور تجده في الرف الفلاني في الصندوق الفلاني!

نظر صاحب الدكان الى الرجل الوقور واتجه الى الرف والى الصندوق؛ نعم يوجد كافور وقد نسيه منذ مدة!

قال صاحب الدكان للرجل: من أين علمت ان عندي كافور وقد ظننت انه قد نفذ منذ مدة؟

قال الرجل: أخبرني مولاي صاحب العصر وقد توفي أحد محبيه وبحثنا عن الكافور لتجهيزه فأرشدني مولاي إليك.

فبكى صاحب الدكان وتوسل اليه أن يأخذه لزيارة امامه والتبرك ببقائه ولو لحظة واحدة.

فأخذ الرجل صاحب الدكان الى البرية ولاحت خيمة هي خيمة منقذ البشرية حفيد النبي ﷺ.

كانت السماء غائمة وشرعت قطرات المطر بالنزول وهنا تذكر صاحب الدكان الصابون الذي صنعه ووضعه على سطح الدار ليجف فاذا نزل المطر فسوف يفسد؟

وهنا جاء النداء من داخل الخيمة: ان ارجع صاحب الصابون فلا يجدر به أن

يلقاني وهو بهذا الحال.

اليس في هذه الحكاية عبرة؟

ان عبداً من عباد الله الصالحين لم يرتض زيارة أحد مردييه وهو بهذه الحالة من تشتت الفكر.

فياحسرة على الانسان يقف للصلاة وقلبه متجه الى غير المحبوب جسمه متجه نحو القبلة وقلبه متجه نحو الدنيا يفكر فيها.

الى أين ايها الانسان ان كنت صادقاً في حبك فأين قلبك؟ ليحضر قلبك مع جسمك وليتجه نحو الله في صلاتك.

يروى الامام الخميني في موضوع القبلة عن أحد معاصريه:

ثمة نكتة دقيقة في مفردة القبلة يجب الأنغفل عنها:

هل ان القبلة اسم البيت أو المواجهة والتقابل الذي يقوم به المكلف؟ في الحقيقة ان عملنا هو القبلة لا ان اسم البيت هو القبلة فالقبلة في أصل لغة العرب اسم عملنا لا اسم البيت إلا ان هذا العمل يتم بالتقابل مع ذلك البيت.

ويجب أن يكون كذلك؛ فقد أصبح شيئاً فشيئاً اسماً للبيت نفسه؛ وعلى هذا الأساس فان هذه الكلمة في أصلها اللغوي ليست اسم البيت والقبلة على وزن « جلسة » و « وجهة » حالة الوقوف والتقابل مع شيء يتم بحضور الذهن.

المواجهة التي يقف فيها الانسان مستعداً كما لو انه في حالة استعراض عسكري بحيث يكون هذا الاستعداد باتجاه بيت الله ويشمل جميع أعضاء الجسم وفي حالة من النظام والاحترام والحضور الذهني العام.

ويطلق على هذا العمل «القبلة» واذن فهي بمعنى الاقبال على شيء بحيث

يكون هذا الاقبال معبراً عن الانفصال عن الغير والاتجاه الى المقصود تعبيراً واضحاً.

ويطلق العرب على المعنى المذكور اعلاه مفردة «جلسة» بكسر الجيم لنفي حالة الجلوس المحض أما مفردة «جلسة» بفتح الجيم فتعني الجلوس على وضع يريده. و «جلسة» بكسر الجيم حالة جلوس خاصة من قبيل جلوس صياد السمك في انتظار الصيد أو الصياد وهو يطلق سهامه حيث يتخذ الجسم حالة خاصة. وقد اضيف حضور الذهن والوعي أيضاً في القبلة الى حالة الوقوف كما لو ان هناك حالة انتظار لخبر ونداء أو حديث أو رمز يتطلب حالة من الوعي والحضور الذهني.

فما هو السرّ الذي تبثه القبلة خمس مرّات يومياً باتجاه آذان الناس وتبلغه الى آذان الملايين من الناس وقلوبهم.

إن في هذا التكليف الذي يدفع الناس أينما كانوا الى أن يتجهوا الى هذه النقطة لسرّ كبير كما لو انهم ينتظرون الاستماع الى حديث أو أمر وهم بدورهم يريدون أن ينقلوا شيئاً أو يقدموا من أعماق قلوبهم شيئاً.

المقبول هو هناك ومقبولهم هو هناك حيث هناك المحبوب وهو المحبوب المقبول الذي لا ينبغي للقلب إلا أن يتجه اليه.

ان الحج الذي يقوم به عدد محدود من البشر ويؤدونه في العمر مرّة واحدة يعني الاصطفاف أمام المحبوب في وعي كامل لعدد من الناس الذين جاءوا من كلّ حدب وصوب من البحر والبر فيقومون بأداء أعمال الحج كلّ يوم وكلّ عام. كلّ فرد يغادر مدينته ودياره ويتجه الى أية نقطة يشاء حتّى اذا جاء الموسم

يتعين عليه أن يقف ويتجه بوجهه الى تلك البقعة باحترام ويقوم بأداء عمله المقدس ومن ثمّ ينصرف الى عمله لأي شيء يصدر أمر التوقف وتحبس القافلة؟ وتلك البقعة المليئة بالاسرار أي سرّها في القلب بحيث يجب التوجه اليها في ساحة الاحتضار حيث يتمدد المرء الذي دنا أجله ويمدد نحوها ومن ثم يرحل عن الدنيا يعني الموت في هواها.

حتى الموتى في القبور يتعين عليهم الاعتراف انهم كانوا في حياتهم متجهين اليها وانهم يرقدون الان في ذات الاتجاه؟

ولأي شيء لا يحل ذبح الحيوان من بقر وغنم حتّى الطيور الاّ باتّجاهها والّا أصبح لحم الحيوان نجساً يحرم تناوله.

وهكذا يواجه الانسان في مسيرته مفاصل يتعين عليه أن يواجه القبلة من أجل تجديد العهد حتى اذا حان أجله تمدد باتّجاهها في نفس هذا الاتجاه وقد توقفت حركته على هذا النحو.

ثمّ يغسل بدنه بنفس هذا الاتجاه ليوارى الثرى في نفس الحالة.

الاستقبال في كلام الشهيد ثاني:

يرى الشهيد الثاني الاستقبال عن ظاهر انصراف الوجه نحو بيت الله الحرام أو الاقبال بالوجه باتّجاه الكعبة ويتساءل أفلا يشير هذا الاتجاه الى ان الله تعالى يريد من الانسان أن يقبل عليه بصفحة قلبه؟

وهنا يؤكد الشهيد الثاني انه لا ريب أبداً بل انه من المؤكد ان الله عزوجل ان الأمر في صرف الوجه باتّجاه القبلة يكمن وراءه طلب بأن يتوجه القلب بنفس الاتجاه وان الأمر للظاهر يكمن وراءه اثاره الباطن باعتبار ان الباطن هو درجة

أعلى من الظاهر في سلم التوجه.

وأن توجه الأعضاء باتجاه معين يضمن توجه القلب الى الاتجاه المطلوب ولو تركت الأعضاء تتحرك كما تشاء وفي أي اتجاه فإن القلب يتبع بالطبع هذه التوجهات ويروي الشهيد الثاني الحديث النبوي الشريف: ان العبد اذا اشتغل بالصلاة جاء الشيطان وقال له: اذكر كذا واذكر كذا حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى (لا يدري كم صلى من الركعات) وقال ﷺ: أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار؟

ويتضمن هذا الحديث نهياً شديداً عن الالتفات يميناً وشمالاً لأنه في الحقيقة غفلة عن التأمل في أنوار الكبرياء الالهي والعظمة الربانية.

ويشتمل هذا النهي على درجة من النهي عن تلفت القلب لأن قلب الانسان كالباطن يقفز من غصن لآخر وينبغي لقلب المؤمن أن يستقر على غصن العبادة ويترنم بالحن السماء.

وقد جاء عن النبي ﷺ قوله الشريف: من حبس نفسه في صلاة الفريضة فاتم ركوعها وسجودها وخشوعها ثم مجد الله عزوجل وعظمه وحمده حتى يدخل وقت صلاة اخرى لم بلغ بينهما كتب الله له كأجر الحاج المعتمر وكان من أهل عليين!

وقال ﷺ: «ان من الصلاة لما يقبل بنصفها وثلاثها وربعا وخمسها الى العشر وان منها لما يلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب لها وجه صاحبها وانما لك من

١ - بحار الأنوار: ج ٨١، ص ٢٥٩، باب ١٦، حديث ٥٨.

٢ - المصدر السابق.

صلاتك ما اقبلت عليه بقلبك.

وروى الامام الباقر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف: اذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله اليه أو قال أقبل الله عليه حتّى ينصرف واطلّته الرحمة من فوق رأسه الى افق السماء والملائكة تحفّه من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكاً فانما على رأسه يقول ايها المصلّي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولازلت من موضعك أبداً.

لو أنّ طائر روجي يكسر قفص جسدي لانطلق في المروج الخضر.

ولما تحول الى يوم يسكن الخرائب كسجن ضيق مظلم.

ولأصبح كالعقاب يحطم الاغلال ويمزق الجبال ولعاد القلب الى ديار الوطن.

والبكاء وآهات الليل تحطم هذا الصرح القديم.

ان طيور الحرية تدرك ما وراء هذا الماء والحب من فخاخ منصوبة وشباك.

«وَفَرَّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغُلُكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى^١ وَعَايِنُ بَسِيرِكَ عَظَمَةَ
اللَّهِ (عَزَّوَجَلَّ) وَأَذْكُرْ وَتُؤَفِّكَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ
نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾^٢»

حالة القلب:

والقلب وتقلبه وحالاته من المسائل الالهية والانسانية الهامة وقد جاء في الأثر
ان القلب هو عرش الرحمن والقلب مركز الأنوار ومرآة الصفات ومركز العاطفة
ومركز العشق والحب ودار الحق.

ومن جهة اخرى جاء في الاثر ان القلب بيت الشيطان وموقع الظلمة ومركز
الفسوة وبيت الداء ومركز الفساد وهذه الازدواجية في القلب رهن بالانسان.

فالانسان الذي يسلم وجهه لله عزوجل والانسان المتواضع في رحاب الحق
والانسان المنصف الذي يتألق في أعماقه الوجدان والضمير فان له قلباً طاهراً
خاشعاً سليماً والأ كان قلبه عرضة للأمراض كقلوب الكفار والمنافقين.

ان على المصلّي وقبل الاتصال عبر اداء الصلاة أن ينظر باهتمام الى مسألة

١ - هذا المقطع غير موجود في نسخة عبدالرزاق اللاميجي.

القلب وأن يسعى جاهداً الى طرد الظلمة والظلام بنور الصلاة وأن يعزز ايمانه بالله ويطرد عنه صفات الشيطان بحيث يكون له حضور تام في الصلاة؛ لكي يتلقى الأنوار الالهية ويصبح كالمرآة الصافية تنعكس فيها الصفات السماوية.

إن على المصلّي أن يبذل كلّ ما بوسعه وعلى أساس المعرفة والغوص في معاني القرآن وآياته لكي تكون عواطفه بكل ما تموج من ميول وانجذاب ونفور وحدود تحت سيطرة الحق تبارك وتعالى.

وبكلمة واحدة عليه الا يشغل قلبه بغير الحق وأن يتحرّر من كلّ أنواع العلاقات الاخرى وذلك بالوقوف في منطقة الوسط والتوازن بعيداً عن الافراط والتفريط.

ان القلب اذا غاب أثناء الصلاة غاب الفكر والذهن والروح والنفس والارادة والنية تبعاً له وحينئذ يمكن القول ان الصلاة قد استحالت الى لعبة يمارسها الانسان دون حياء وخجل في رحاب الحق تبارك وتعالى.

وعليه ينبغي أن ننظر الى تقوى القلب في الصلاة كما لو أنها كانت ركناً من الأركان التي تبطل الصلاة بدونها.

وتقوى القلب هو أن يتطهر من جميع الرذائل وعلى رأسها الرياء والتظاهر الاجوف الفارغ وأن يتحلّى بالحسنات وعلى رأسها الاخلاص.

وبهكذا قلب طاهر تكتسب الصلاة قيمتها الحقيقية ويوفى الانسان من خلالها بلوغ مقام القرب والخلاص من اسر الاهواء النفسية والشيطان.

وفي هذه النقطة وهذه المرحلة التي يصلها الانسان في سلم الصلاة، يباهى الله عزوجل ملائكته بعبده المؤمن الذي سجّل حضوره في كلّ شؤون الحياة.

قدما الخوف والرجاء:

الطريق الى الله ممتد طويل يسير الانسان فيه ويقطعه الانسان ماشياً بقدمين هما الخوف والرجاء، الخشية والأمل وهكذا يسير الانسان متوازناً حتى يبلغ مرحلة الكمال المنشود.

ان على العامل للمذي يقوم بأي عمل الهي وبخاصة الأعمال الواجبة والفرائض، أن يعلم ان مولاه الرحيم ورببه الكريم لا يضع أبداً عمل عامل. ومن جهة اخرى عليه أن يعلم أيضاً ان عمله لا يساوي مثقال حبة أمام عظمة المولى اللانهائية المطلقة.

هذا أولاً وثانياً ان اعماله اذا شابها شيء من الغرور والعجب كانت «هباءً مَثُوراً»^١ وان العمل وصاحبه يستحقان الجزاء والعقاب.

وعليه يجب على الانسان يستشعر الأمل والرجاء في ان الله عزوجل لا يضع أجر العاملين ومن جهة اخرى عليه أن يشعر بالخوف من سوء العاقبة ونقص العمل. وان من الضروري أن يتحرك الانسان في مسيرته بين شعور بالخوف واحساس بالأمل وهذه المشاعر والاحساسات تكون من خلال قراءة ادعية أهل البيت عليهم السلام وما ورد من النصوص في الكافي وفي «بحار الأنوار» و «الشافى» و «الوافى».

كيفية استحصال حالة الخوف:

ان أفضل طريق لاكتساب هذه الحالة هو التأمل في الآيات القرآنية ومعانيها ومطالعة الروايات وما فيها مما له صلة بذلك؛ فالآيات التي تتحدث عن العذاب

وما ينتظر المجرمين من مصير يدفع بالإنسان الى مراجعة نفسه دائماً والى الشعور بالخوف والوجل من عذاب يوم القيامة (وبالتالي فانه سوف يصون نفسه من السقوط في الرذائل الاخلاقية.

«إِنَّ حُبَّ الشَّرَفِ وَالذِّكْرِ لَا يَكُونَانِ فِي قَلْبِ الْخَائِفِ

الْهَارِبِ»^١.

وفي حديث للامام الصادق عليه السلام مع أحد أصحابه جاء فيه:

يا اسحاق خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك^٢.

وجاء في تسييح رائع للامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام:

سبحانك! عجباً من عرفك كيف لا يخافك؟^٣

وجاء في الأثر: ما من شيء إلا وله كيل أو وزن إلا البكاء من خشية الله، فان

القطرة منه تطفئ بحاراً من النيران^٤.

وجاء في الأحاديث الشريفة:

١ - الكافي: ٦٩/٢، باب الخوف والرجاء، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٢٢٠/١٥، باب ١٤، حديث

٢٠٣٢٦؛ بحار الأنوار: ٣٥٩/٦٧، باب ٥٩، حديث ٥.

٢ - الكافي: ٦٧/٢، باب الخوف والرجاء، حديث ٢؛ مشكاة الأنوار: ١١٧، الفصل الرابع، في الخوف

والرجاء؛ بحار الأنوار: ٣٥٥/٦٧، باب ٥٩، حديث ٢.

٣ - المصباح، كفعمي: ٨٢.

٤ - من لا يحضره الفقيه: ٣١٧/١، باب وصف الصلاة، حديث ٩٤١؛ وسائل الشيعة: ٢٤٧/٧، باب ٥، حديث ٩٢٤٢.

ما اغر ورقت عين من خشية الله إلا حرّم الله جسده على النار^١.

وجاء في الروايات عن النبي ﷺ قال:

إذا اقشعر (ارتجف) قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما

تحاتت (تساقط) من الشجر ورقها^٢.

وجاء في خطبة للامام علي عليه السلام يصف فيها أصحاب رسول الله ﷺ:

لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً يشبههم منكم! لقد كانوا

يصبحون شعثاً غبراً قد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم

ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم.

كأن بين أيديهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم

حتى تبلّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب

ورجاءً للثواب^٣.

وجاء في الأحاديث: أوحى الله عزوجل الى موسى أن عبادي لم يتقربوا اليّ بشيء

أحبّ اليّ من ثلاث خصال: الزهد في الدنيا والورع عن المعاصي والبكاء من خشيتي^٤.

حكاية الخوف:

جاء في الأخبار ان شاباً من الأنصار غلبت عليه حالة الخشية والخوف من الله

عزوجل حتى حبس نفسه في بيته فجاءه رسول الله ﷺ في داره وكان الشاب

١ - مستدرک الوسائل: ٢٤٦/١١، باب ١٥، حديث ١٢٨٨٩.

٢ - بحار الأنوار: ٣٩٤/٦٧، باب ٥٩.

٣ - نهج البلاغة، كلام ٩٦.

٤ - الكافي: ٤٨٢/٢، باب البكاء، حديث ٦.

يبكي فاعتقه رسول الله ﷺ وفاضت روحه بين يدي النبي ﷺ.

وجاء في قصص الخائفين ان أحدهم لم يرفع رأسه ولم ينظر الى السماء أربعين سنة حتى جاء يوم نظر فيه الى السماء فتغير حاله وهوى على الأرض واصابه شيء جرحه في بطنه وكان يتلمس جسمه في الليل يخشى أن يكون قد مسخ.

وإذا أصاب الناس بلاء أو هبت ريح أو جلجل رعد في السماء قال هذا بسببي إن مت استراح الناس من البلاء.

وجاء في أحوال اويس القرني وحالاته:

انه حضر مجلس وعظ فلما سمع ذكر النار صرخ ونهض من مكانه وراح يركض والناس وراه يصيحون: مجنون! مجنون!

وجاء في مناجاة الخائفين للإمام زين العابدين عليه السلام:

الهي أتراك بعد الايمان بك تعذبي؟

أم بعد حبي اياك تعдени.

أم مع رجائي رحمتك وصفحك تحرمني.

أم مع استجارتي بعفوك تسلمني.

حاشا لوجهك الكريم أن تخيبي.

ليت شعري اللسقاء ولدتني أمي أم للعناء ربنتي؟

فليتها لم تلدني ولم تربني وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني وبقربك

وجوارك خصصتني فتقرّ بذلك عيني وتطمئن له نفسي!

الهي! اجرني من أليم غضبك وعظيم سخطك يا حنان يا منان يا جبار يا قهار

يا غفار يا ستار نجني برحمتك من عذاب النار وفضيحة العار اذا امتاز الاخيار من

الاشرار وحالت الاحوال وهالت الأهوال وقرب المحسنون وبعد المسيئون ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون^١.

وجاء في الأخبار ان النبي ﷺ قاد المسلمين لحرب بني المصطلق بعد أن وصلت أبناء عن حشود كبيرة لهم ونيتهم في غزو المدينة وفي أثناء الطريق نزل قوله تعالى في سورة الحج:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ
ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^٢.

فنادى رسول الله ﷺ وأسرع المسلمون فتجمعوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس بين باك وجالس حزين متفكر^٣.

يقول أحد العرفاء وبعد أن يورد أحاديث عن الخوف والرجاء:

هذا خوف الأنبياء والأولياء والمؤمنين، فانظر اذن الى حالك كيف هو والى

اسمك من أي ديوان يخرج؟ وهل اثبت اسمك في كتاب المقربين والمؤمنين؟

ان حالة الخوف والرجاء تضخم لديك الجنة والنار أو في ديوان الاشقياء

١ - الصحيفة السجادية.

٢ - الحج ٢٢: ١ - ٢.

٣ - مجمع البيان: ٩٥/٧، ذيل آية ١ سورة حج؛ تفسير الصافي: ٣٦١/٣.

فاحذر أن تكون من الملحدین الذين يتساوى عندهم الوجود والعدم لهؤلاء سواء.
واياك أن تغتر بظواهر العقائد الحققة من الايمان بالله واليوم الآخر من دون أن
يحصل عندك خوف ورجاء ذلك ان الموجود الذي لا يترتب عليه اثر هو
كالمعدوم.

واذن ان ادعت نفسك الخوف فادخلها في بوتقة الامتحان لأن للخوف آثار
فأما أثره في البدن ففي الوجه لون من أثر البكاء وفي الجوارح اجتنابها المعاصي
والتزامها الطاعات وجبران ما فات والاستعداد للعبادات.
واثر الخوف في القلب الخشوع والاستكانة والابتعاد عن الكبر والغرور
والحقد والحسد.

والخلاصة ان مسألة الخوف ينبغي ان ترسخ في القلب بحيث لا يكون هناك
مكان ومجال لسائر الهموم وأن يكون الخوف على الاقل رديفاً لسائر الهموم في
هيئته على القلب؛ ذلك ان الخوف اذا غلب على القلب وغمره فلا يبقى لغيره
في القلب شيئاً.

وأقل درجات الخوف الامتناع عن ارتكاب المعاصي ويقال لهذه الدرجة
الورع ودرجته المتوسطة ترك الشبهات وهذه الدرجة هي درجة المتقين وأعلى
درجاته ترك الامور التي لا مانع من القيام بها لأنها عبادة ملحقة بهذه الدرجة.

والانسان في هذه الدرجة لا يبني شيئاً في مكان لم ينتخبه للسكنى ولا يجمع
ما لا حاجة له ولا يلتفت الى هذه الدنيا إلا بمقدار الضرورة ولا يفوت لحظة من
عمره في غير المحبوب وهكذا انسان يستحق لقب الصديق الرفيع.

أجل عندما يقف الانسان عن طريق القرآن والآثار الالهية على عقاب أهل

المعاصي وعقاب أهل الاجرام يصبح له قدم خوف ويعقب هذا الخوف ترك الذنب والعمل بما يريده الحق حتى يكون في مأمن من العذاب.

اما قدم الأمل أو الرجاء الذي يجب أن يواكب قدم الخوف في تجليه في وجود الانسان فانه يتحصّل عن طريق المعرفة بالكتاب الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام.

طبعاً ان الأمل الخالي من العمل هو أمل غيبي ورجاء باطل والرجاء الذي يريده القرآن الكريم من الانسان هو أن يكون الى جانبه عمل وسعي ورياضة.

والى هذا يشير الغزالي في بعض مما ورد في احيائه:

وواضح لدى أرباب القلوب وأصحاب البصائر ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب بمنزلة الأرض والايمان بمنزلة البذور والطاعات بمنزلة تهيئة الأرض وحرثها وشق السواقي وايصال الماء الى المزرعة.

فالقلب المستغرق بغير الحق والمستغرق في المادة وأمور الدنيا لا غير؛ هو كالأرض الجلمود لا ينبت فيها بذر.

ويوم القيامة يوم الحصاد، فمن لم يبذر الايمان في ثرى قلبه ولم يقم بالطاعات والأعمال الصالحات فلا يحصد شيئاً وليس له في يوم الحصاد نصيب سوى الخسران.

وبوجود الخبث في القلب وسوء الاخلاق لا يجدي الايمان شيئاً لصاحبه؛ كما هو البذر في الأرض الصخرية والجلمود، فلن تنبت البذور فيها ولا تنمو ولا تجدي شيئاً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ

يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوتَتْ مِنْهَا﴾^١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾^١

وفي هذه الآية ينحصر الأمل والرجاء بهكذا أفراد.

وتدل الآيات في سورة الشمس دلالة واضحة على هذه الحقيقة وهي انه من دون امتلاك نفس زكية فلن يكون هناك فلاح يوم القيامة فقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها.

ويقول رسول الله ﷺ في حديث شريف: ألا انبئكم بأكيس الكيسين وأحمق الحمقاء؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: أكيس الكيسين من حاسب نفسه لما بعد الموت وأحمق الحمقاء من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأمانى^٢.

وقال الامام الصادق عليه السلام: ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا اولئك شيعتنا^٣.

وعلى أساس هذه الآيات والروايات ينبغي الالتفات الى انه عند القيام بالعمل الصالح والتحلي بالاخلاق الحسنة يتوجب الأمل برحمة الله عزوجل.

عند التوبة واجتناب المعاصي يرجو الانسان المغفرة والتجاوز عما سلف من الذنوب والآثام.

١ - البقرة ٢: ٢١٨.

٢ - بحار الأنوار: ٦٧/٦٩، باب ٤٥، حديث ١٦.

٣ - بحار الأنوار: ٦٥/١٦٤، باب ١٩، حديث ١٣.

والآ فان الأمل بلا عمل والرجاء من دون التحلّي بالاخلاق وتمنّي الغفران من دون توبة من العصيان باطل ذلك كلّه ومردود على صاحبه.

وعلى أية حال إن كان لك ايها الانسان عمل صالح فلينمو في قلبك الأمل والرجاء وان ارتكبت ذنباً فتوقع الغفران عند توبتك توبة نصوحاً وليكن قلبك مليئاً بالأمل بقبول توبتك.

وهكذا يسير الانسان سيراً متوازناً بقدمي الخوف والرجاء والخشية والأمل في طريق معبد بالايمان والعمل والخلق الكريم.

«فَإِذَا كَبَّرْتَ فَاسْتَصْنِفْ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ دُونَ كِبْرِيائِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَ يُكَبِّرُ وَفِي قَلْبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِهِ فَقَالَ: يَا كَاذِبُ اتَّخَذَ عُنَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَحْرَمِنَّاكَ حَلَاوَةَ ذِكْرِي وَلَا أَحْجُبْتَنَّاكَ عَنْ قُرْبِي وَالْمُسَارَةَ بِمُنَاجَاتِي»

حقيقة تكبيرة الاحرام:

وفي هذا المقطع المضيء بصور الامام عليه السلام تكبيرة الاحرام ويسر غورها وحقيقة دلالتها.

١ - فالتكبير واطلاقه من لدن المصلي في رحاب الحق تبارك وتعالى، يعني ان لا شيء أكبر من الله عز وجل.

وعليه يتوجب على المصلي أن يستغفر كل شيء في حضرته كل شيء يقع بين السماوات العلى وبين الثرى وكل شيء يعني المجرات والسلام والأرض بما فيها من علاقات كل شيء يجب أن يتلاشى الأ علاقة الحب الالهي حيث يمتلىء قلب المؤمن في هذه اللحظات على الأقل بنور الله فتبد كل الأجزاء الظلمانية فيه.

٢ - وفي حال غفل الانسان واجتاحه النسيان لهذه الحقيقة الكبرى فان هذا يعني ان العبد والمكلف ما يزال غارقاً في الأوهام مستغرقاً في خيال الصور

المادية والميول الشهوانية، لم يدرك بعد عظمة الخالق وجلاله وجبروته وكبرياه وانه لم يضع قدمه في الطريق الذي يؤدي به القرب الالهي.

فتكبيره وعدم تكبيره سواء وكلماته في الصلاة فارغة من المعنى فهي خواء في خواء.

والامام الصادق عليه السلام يرشد الانسان المؤمن في أن يدرك ما يقول ويعي

حقيقة تكبيرة الاحرام والدخول في الصلاة.

وهاتان الكلمتان يجب أن يتبعهما استشعار لهذه الحقيقة في ان كل شيء في

مقابل عظمة الله هو ضئيل جداً لا يكاد يشعر به المؤمن الذي وصل مرتبة

الايمان واليقين فلا شيء سواه وحده سبحانه.

وعلى الانسان أن يعي ان الله عزوجل محيط بما خلق مطلع على الافئدة

يعرف الظاهر والباطن فاذا انطلقت التكبيرة من اطراف اللسان ولا صلة لها

بالقلب اللاهي لأن المطلوب هو القلب الالهي لا القلب اللاهي حينئذ يقول الله

عزّوجلّ: يا كاذب تقول ما تقول وقلبك مشغول بكل شيء الأ ذكري لسوف

احرمك:

١ - من حلاوة ذكري.

٢ - ولأحجبتك عن قربي.

٣ - والمسارة بمناجاتي.

فيا عباد الله ويا عشاق الحقيقة ويا ايها المصلون ويا ايها المسافرين في درب

الحبيب وايها السالكون في طريق المحبوب أوجد عذاب للعاشق أكثر ألماً من

هذا العذاب!؟

وقد جاء في بعض الآثار العرفانية ان الله عزوجل قال لموسى عليه السلام:

اخبر فلاناً اني قد ابتليته ببلاء ما فوقه بلاء.

قال موسى: اني لم أره في بلاء.

فقال الله عزوجل: سلبته حلاوة المناجاة^١.

ويل لمن شقي بطرده من ساحة القدس وويل لمن صرف الرب نظره عنه وا

أسفاه على من يكبر دون وعي ولا ادراك.

إن على المؤمن أن ينسى الدنيا وما فيها وهو يقف أمام الله تبارك وتعالى وأن

يصبح الوجود عدماً عند تكبير خالق الوجود.

فما أكذب الانسان وهو يقول الله اكبر، ثم لا يكون الله حاضراً في قلبه بل

العكس تجد قلبه يمجج بحب الدنيا وهو مطلوب منه ان يحب الله وحده ويفكر

في الله وحده.

وهذه الحالة هي المطلوبة من الانسان المؤمن ليس في الصلاة وحدها بل هي

مطلوبة في كل الأوقات؛ وعند ما يبلغ الانسان هذه الحالة يكون قد وصل الى

مقام المتقين وحينئذ لا ينطق الانسان بكلمة الا كان فيها لله رضا ولا يقوم بعمل

الا بما يرضي الله عزوجل فتصبح كل لحظة من حياة الانسان اسمى قيمة من

الدنيا وما فيها وهذا هو مقام الوحدة الحقيقي.

يقول أحد العرفاء في قوله تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٢.

١ - فيض الغدير: ١٧٨/٢.

٢ - القصص ٢٨: ٨٨.

في الوحدة لا سالك ولا سلوك ولا سير ولا مقصد ولا طلب وطالب
ومطلوب كل شيء هالك.

ولا اثبات لهذا الكلام والبيان ولا نفي لهذا الحديث والنفي والاثبات متقابلان
والاثتان مبدأ الكثرة.

هنالك لا يكون نفي واثبات ولا يكون أيضاً نفي النفي واثبات الاثبات وذلك
يدعى الفناء حيث مفاد الخلق بالفناء كما هو المبدأ من العدم.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^١.

ومعنى الفناء مع الكثرة.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ﴾^٢.

والفناء لا يكون بهذا المعنى أيضاً فكل ما يأتي بالنطق وكل ما يعرض بالوهم
وكل ما يدرك بالعقل يكون منتفياً جملة منتفية.

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^٣.

واعلم ان الفناء فناء العبد في الحضور الالهي؛ لأن العبد فان من ذاته وبالحق يبقى.
والفناء هو أن يضع الانسان نفسه في بوتقة الفناء ويفني كل ما هو دونه
سبحانه ويكون الاشتغال والاستغراق بالحق؛ فحيث ما يوكل الانسان بصره فثم
وجه الله.

١- الاعراف ٧: ٢٩.

٢- الرحمن ٥٥: ٢٦- ٢٧.

٣- هود ١١: ١٢٣.

وبعد أن يفنى العبد صفاته متصلاً بكلية الحق يكون من المحال أن يعيبه الحق بالمخالفات ويخلصه بعصمة حتى لا يبقى في عبده قدرة على ارتكاب المخالفة. وبعد أن يفنى العبد فان ما يبقى منه ما هو باق بالحق وبعد ذلك يظهر هذا البقاء من الفناء لأن ذلك فناء الحق والعبد في ذلك الفناء محمود وذلك الفناء من غلبات الحق وبعد أن تظهر صفة الفناء من صفاته والفناء لا يظهر بصفات الحق فتلك هواجس النفس أو وساوس الشيطان.

واسمى مقامات ذلك ان العبد لا يشغله عن الحق نعيم ولا بلاء ولا ينسى أو يغفل عن ذكر الله أبداً وبعد أن يذكر الله في وقت ذكره فان كل الوجود لا يبقى له مقدار واين يبقى طريق المخالفة.

وينبغي في العبادات ألا يطلب مراد نفسه حتى يبلغ مقام الفناء لكن ينظر في جلال أمر الحق حتى يبقى بالحق ولا يلتبس في المعاملات مراد نفسه حتى يبلغ الفناء، لكن ينظر في أمر الخلق لكي يكون باقياً بحظ الغير وأن يعظم أمر الحق حتى لا يشتغل بغير الحق.

وبعد أن يفنى من حظوظ نفسه ويفنى من رؤية ذهاب الحظوظ ويفنى من رؤية وعدم رؤية ذهاب الحظوظ فانه تبقى برؤية ما هو من الحق وما يقوم الأ الحق ويعلم ان المالك يفعل ما يشاء في ملكه.

ويعلم ان ما صدر عن الحق كله حق ولا وجه له إلا الموافقة ويرتفع الخلاف والجميع مسلّم فلا خصومة والجميع موافق؛ فبقاؤه بالحق يكون بمعنى ان يكون الحق كما ان الحق يريد ولأن العبد لا مراد له واختيار فكل ما يظهر فيه هو مراد واختيار الحق.

وينبغي أن يفنى عن نظارة نفسه ونظارة أفعاله وصفاته الموجودة وحينئذٍ يصبح معدوماً من الصفات البشرية الكلية الفانية كي يبقى بالحق. وفناء المرء من الصفات البشرية يعني ذهاب المعاني المذمومة عنه والبقاء بالصفات الالهية هو في قيام الصفات المحمودة فيه وهذا المعنى يتيسر فيه بتوفيق الله. واعلم ان المرء متى كان مشغولاً بالحق فلن يطرقه غير الحق وان اشتغل المرء بغير الحق فلن يطرقه ذكر الحق.

ظاهر و باطن تكبيره الاحرام:

ذكرنا فيما مضى انه في حالة النطق بتكبيره الاحرام تكون اليدين بمحاذاة الاذنين على نحو يكون باطن الكفين مقابل القبلة.

ويقول أهل القلوب في معاني هذا العمل انّ المصلّي يضع كل ما سوى الله خلف يديه وانه يجتث كل شيء من قلبه بقوة الله ويلقيه وراء رأسه بحيث لا يبقى أي شيء بينه وبين الله وخاصة انه يقوم بقوة المحبوب بنفي الشيطان مقيداً في حال الصلاة وفي غيرها؛ بحيث لا ينفذ اليه.

ويكون له ظهور في باطن الكفين الذي هو رمز لصفحة وجوده وفي باطن الكفين في مقابل القبلة دلالة على السؤال من الله عزوجل والطلب منه كما يمدّ السائل يده.

وتوجه كامل وقلب مفعم بالحب والنشاط وبنفس مليئة بالاخلاص والصفاء وبحالة من الاتصال بالملكوت وبعين باكية وقلب خاضع وبخشوع تام وفي كمال من الأدب والفناء ينطق المصلّي قائلاً: «الله اكبر».

أجل ايها المصلّي لتكن عند تكبيرة الاحرام نادماً وخجلاً ولتنظر الى مستقبلك بأمل ورجاء وقد اعترفت بذنبك لتصفو مرآة قلبك قد تخلصت من وساوس الشيطان وولجت الى ساحة قدس الرحمن وقولك «اللّه اكبر» ايذاناً بالدخول في رحاب المعبود ومفتاحاً لرحمة المحبوب.

«اللّه اكبر» تعني الخلاص من كل الوشائج والاتصال برب المعارج اللّه اكبر تعني انك قد تضحج الى الرحمن وتلوذ به من كيد الشيطان وتعوذ باللّه الرحيم من الشيطان الرجيم.

والمصلّي بخشوعه وخضوعه يقدم قربان العشق الى المحبوب ذلك ان:
«الْصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقَى»^١.

ومن أجل هذا يقرأ المصلّي قبل النطق بتكبيرة الاحرام قوله تعالى:
﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٢.

يعني انه بالمعرفة والشوق يلج في عالم الملكوت ومشاهدة العظمة والجبروت للحيّ الذي لا يموت؛ ويصغي الى مهمة الملائكة ذاهلاً عن نفسه وعن وجوده بل معتبراً نفسه عدماً من الهالكين حيث:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٣.

أجل انه اذا لم يكن عند التكبير قدم المعرفة والشوق وجناح الحال والذوق،

١ - الكافي: ٢٦٥/٣، باب فضل الصلاة، حديث ٤٦؛ وسائل الشيعة: ٤٣/٤، باب ١٢، حديث ٤٤٦٩.

٢ - الانعام ٦: ٧٩.

٣ - القصص ٢٨: ٨٨.

فلن ينال المصلّي الحقيقة من آية القربان والتكبير ولن يكون له منها نصيب.

تفسير تكبيرة الاحرام:

وردت روايتان في تفسير أهل البيت عليهم السلام لتكبيرة الاحرام. الاولى: انها تعني:

«اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^١.

ويقتضي هذا المعنى ان الانسان بعد مشاهدة العظمة والكبرياء الالهية يدرك ضآلته وضآلة وجوده ويعتبر نفسه لا شيء و كأنه لم يكن.

والرواية الاخرى:

«اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ»^٢.

وفي تصحيح المعنى الاول يمكن القول بما ان عالم الاكوان قاطبة قد وجد بمحض ارادة الخالق وأن الوجود رشحة من فيض الحق والفيض المطلق وانه لا توجد نسبة ما بين الطرفين إلا نسبة الخالقية، التي طرفها الاعلى ذروة الجلال واسمى درجات الكمال.

والمخلوقية التي هي أدنى درجات الحضيض فاذن من الأنسب في مقام التعظيم القول ان الحق تعالى أكبر من مخلوقاته.

وهذا المعنى بحسب الوضع اللغوي أنسب والالتفات الى كل من المعنيين يقتضي ان يشاهد العبد جيروت الخالق وانه يقدم نفسه فداء في طريق العبودية.

١- الكافي: ١١٨/١، باب معاني الاسماء واشتقاقها، حديث ٩.

٢- الكافي: ١١٨/١، باب معاني الاسماء واشتقاقها، حديث ٩؛ التوحيد: ٣١٣، باب ٤٦، حديث ٢؛

بحار الأنوار: ٢١٨/٩٠، باب ٩، حديث ١.

وكما قال الامام الصادق عليه السلام في مطلع حديثه عن تكبيرة الاحرام:
«فَإِذَا كَبَّرْتَ فَاسْتَصْفِرْ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ دُونَ
كِبْرِيائِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَ يُكَبِّرُ
وَفِي قَلْبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِهِ فَقَالَ: يَا كَاذِبُ اتَّخَذَ عَنِّي
وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأُحْرَمَنَّكَ حَلَاوَةَ ذِكْرِي وَلَا أُحْبَبَنَّكَ عَنْ قُرْبِي
وَالْمُسَارَةَ بِمُنَاجَاتِي».

اللطف التوحيدية في تكبيرة الاحرام:

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام يابن عم
خير خلق الله ما معنى رفع يديك في التكبيرة الاولى؟
فقال عليه السلام: الله اكبر الواحد الأحد الذي ليس كمثلته شيء لا يقاس بشيء ولا
يلمس بالاحماس ولا يدرك بالحواس^١.

يقول أحد العرفاء في توضيح بعض ما ورد في الرواية اعلاه.
وفي هذا البيان الدقيق الصادر عن الامام في سر رفع اليدين في حال تكبيرة
الاحرام من الدلالات والرموز في مضمار التوحيد.
ففي رفع اليدين الى محاذاة الاذنين اشارة الى تعبير العبد الفقير الى الله
المليء بالتقصير في حال التكبير.

ولسان الحال منسجم مع المقال لتصديق ادعاء العبد في التوحيد الصادق؛

١ - من لا يحضره الفقيه: ٣٠٦/١، باب وصف الصلاة، حديث ٩٢١، علل الشرايع: ٣٣٣/٢، باب ٣٠،

حديث ٥٥ وسائل الشيعة: ٢٨/٦، باب ٩، حديث ٧٢٥٩.

واذن التكبير مقال ورفع اليدين لسان حال وكل طرف صدى للطرف الآخر.
 فالعبد يكبر ويذكر الخالق بالعظمة والكبرياء ويصف ذاته العليا بالالوهية التي
 هي الصفة الخاصة ويعترف بعجزه عن توصيفه وانه سبحانه أكبر من كل شيء وقد
 نفى عن قلبه غبار التشبيه فالقلب مرآة صافية تنعكس فيها أنوار الرب المعبود.
 ومقارن لهذا التعبير في التكبير رفع اليدين الى محاذاة الاذنين حيث الحركة
 تنسجم مع الكلمة ورفع اليد تشير الى وحدانية واحدية الخالق بلا اضافة ولا
 تشبيه لأنه ذاته سبحانه أجل وأعلى من أن توصف.
 «كَمَالُ التَّوْحِيدِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ»!

وهذه الدرجة هي درجة المقرّبين فكما شاهدوا جبروته تبارك وتعالى أكثر؛ زاد
 عجزهم وزادت حيرتهم اكثر فاكثر، كما جاء في الأثر: «اللَّهُمَّ زِدْنِي فِيكَ تَحِيْرًا».
 وعلى هذا المعنى ناطق وشاهد صادق.
 واذن فلا يمكن اثبات اية صفة لذاته أو نفيها وعلاوة على ذلك ان معرفة كنه
 ذات ذي الجلال محال.

ومن جهة اخرى ان العباد مكلفون بتحصيل معرفة الله فاذن المعرفة بوجه
 تحصل من معرفة الافعال والصفات والأسماء وهي بلسان الحال بيان خمس
 صفات جمالية وجلالية لحضرة ذي الجلال:

١ - الواحدية التي هي اشارة الى وحدة الذات حيث لا يمكن تصور أية
 شائبة من قبيل التعدد والكثرة والتركيب.

واذن فان في رفع اليد اليمنى اشارة الى هذا الموضوع لأن الواحد اسم فاعل
بمعنى الثبوت.

«ذاتٌ تُبَتُّ لَهُ الْوَحْدَةُ».

وعلى أساس الواحد اشارة الى وحدة الذات الربوية المقدسة.

وفي السحر شددت الرحال الى الخرائب والاطلال...

من أجل أن أدعو المعربدین الى الطاعات.

في يدي عصاي وعلى عاتقي سجادتي فانا الزاهد صاحب الكرامات.

قال ساكن الاطلال ما الذي تفعله هنا يا شيخ؟

قلت أعمل على أن تتوب فان تبت سوف تكافأ.

قال لي انصرف ايها الزاهد الجاف لتحصل على طراوة الام الخرائب.

ان لامستك قطرة ألم لذهلت عن المسجد وعن المناجاة.

انصرف لا تبع زهدك ورياءك فلا بهرجك هنا يشتريه أحد ولا طاعاتك.

وكيف يمكن لأحد أن يضع صنماً في الكعبة!

٢ - الأحدية التي هي الأحد لأن الأفعال صفة واذن فان المراد من ذلك

الوحدة في الصفات.

ويرفع اليد اليسرى اشارة الى هذا المطلب وهو يا الهي ويا ربي، كما انه لا

شبيه ولا شريك في ذاتك كذلك في مرتبة الفعل والصفات أيضاً لا شريك لك؛

بل ان الصفات التي تثبت لذاته هي جميعاً من خصائص ذاته ولا يشاركه فيها

شريك.

واطلاق بعض الصفات من قبيل الحي والسميع والبصير على الممكنات هو من باب اطلاق اللفظ المشترك الذي هو متحد اللفظ متعدد المعنى.

وحياة الممكن متعلقة بالقالب العنصري والسمع والبصر وسائر قوى الممكنات كل واحد بآلة خاصة لا يمكن من دونها أن تتحقق.

وذات القدسية العليا أجل من أن تتعلق بالمادة والآلة وسمع وبصر الباري جل مجده ليس من هذا الباب بل:

«بِالَّذِي يَسْمَعُ بِهِ يَرَىٰ وَبِهِ يَتَكَلَّمُ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ».

والخلاصة ان ذاته المقدسة قائمة مقام جميع صفاته الخاصة ولا شيء أبداً شبيه له بحسب ذاته ولا بحسب صفاته.

واحد أحد بحسب الذات وواحد فرد بحسب الصفات.

وهاتان الصفتان من الصفات الجمالية كما ان الصفات الثلاثة الاخرى من الصفات الجلالية؛ والمراد من الصفات الجمالية الصفات الثبوتية والمراد من الصفات الجلالية الصفات السلبية التي هي بعيدة عن ساحة قدسه.

٣ - نفي المثل وهو من الصفات الجلالية ورفع اليدين معاً اشارة الى هذا الموضوع حيث اليدين معاً في التباين.

واذن فان رفع اليدين اشارة الى نفي المثل عن الحضرة الأحدية لأن هذه الصفة موجودة في المخلوق وتدل على عدم وجودها في الخالق؛ ذلك ان المبرهن هو ان الخالق لا يكون من جنس المخلوق ولهذا قال الامام علي عليه السلام من فوق المنبر في مسجد الكوفة:

«بِتَشْمِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ

عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارِنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ^١.

حيث ان اثبات الصفات في الممكنات دليل على انتفاء ذلك في علة الموجودات كما ان نقصان الخلائق دليل على كمال الخالق وكثرتها شاهد على وحدانيته.

واذن فهو يرفع يديه ويشير الى ان الخالق أكبر وأجل من أن يكون له في المخلوقين مثل وشبه.

البعض يقول: ان رفع اليدين في التكبير اشارة الى الغرق في مستنقع المعاصي ولأجل النجاة يرفع يديه الى ربه أن يأخذ بيديه وهذا الوجه وإن كان لا يخلو من معنى ولكنه خلاف مفاد ومدلول الرواية وإن جاء في رواية اخرى هذا المضمون:

«إِنَّ لِلصَّلَاةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ بَابٍ»^٢.

وهذا المضمون سام جداً بالنسبة لنا نحن الاشخاص العاديين لأننا جميعاً غرقى في المعاصي والذنوب ولا مفر للنجاة إلا أن نتثبت بالمحجوب.

٤ - نفى الجسمية: وهذا أيضاً من الصفات الجلالية وبرفع اليدين يشير المصلّي الى ان الخالق اسمى وأجل وأعلى من أن ينال بلمس أو يدرك بالحواس الخمس:

١ - الكافي: ١٣٨/١، باب جوامع التوحيد، حديث ٤؛ التوحيد: ٣٤، باب ٢، حديث ٢؛ بحار الأنوار:

٣٠٤/٤، باب ٤، حديث ٣٤.

٢ - بحار الأنوار: ١٦٣/٨٠، باب ١٣، حديث ٣؛ مستدرك الوسائل: ٨٤/٤، باب ١، حديث ٤٢٠٤.

الاولى: قوة اللمس التي يدرك بها البرودة والرطوبة والحرارة واليبس واللين والخشونة في الأجسام.

الثانية: قوة البصر التي تدرك بها الألوان.

الثالثة: قوة السمع التي تدرك بها أصوات الأجسام.

الرابعة: قوة الذوق التي يدرك بها طعم الأجسام.

الخامسة: قوة الشم التي تدرك بها روائح الأجسام.

واذن فكل اصبع اشارة الى نفي الادراك بالحواس الظاهرة وبلسان الحال يبين المصلّي ذلك بأن الخالق لا يدرك بأي حاسة من هذه الحواس.

٥ - نفي الادراك بالحواس وهو المراد من:

«لا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ»^١.

وفي الحديث هذا المعنى لأن الحواس الباطنية خمس أيضاً:

١ - القوة المتصرفة.

٢ - الحس المشترك.

٣ - الوهم.

٤ - الخيال.

٥ - الحافظة (الذاكرة).

وكل واحدة من هذه الآلات والأدوات والادراكات نفس لأن الأصابع هي

آلات أفاعيل وجود الأشياء.

ورفع اليد اليسرى اشارة الى ان النفس والقوى النفسانية لا تدرك الذات والصفات الجلالية.

والتكبير والاعتراف بأن الله جلّ من أن يمكن وصفه ويقارن ذلك أيضاً رفع اليدين هو في الحقيقة اقامة البيئة بلسان الحال واتيان بالشاهد والبرهان وفقاً للمدعى بأن، النفوس والحواس عاجزة عن ادراكه ولأنها عاجزة عن ادراكه، فلا يمكن أن تشبّه بشيء لأن التشبيه والتوصيف فرع من الادراك.

وكل هذا هو من أجل أن يعبد الله بالمعرفة وصرف الوجوه الى وجهه حيث أفضل مقام للعبد مقام العبودية وأحلى حال للانسان حال العبادة.

العبادة باب الرحمة ونقطة جذب الرأفة ومعيار الحق والباطل وسلم الرقي والارضية الصالحة لازدهار ونمو قوى الباطن والمكان الذي تبرز فيه استعدادات وقابليات الروح والنفس والعلة في حيز الدنيا والآخرة واشعال شمعة الحب الالهي في داخل القلب.

«وَأَعْلَمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى خِدْمَتِكَ وَهُوَ غَنِيُّ عَنْ عِبَادَتِكَ وَدُعَائِكَ وَإِنَّمَا
دَعَاكَ بِفَضْلِهِ لِيُرْحَمَكَ وَيَبْعُدَكَ عَنْ عُقُوبَتِهِ وَيُنْشُرَ عَلَيْكَ مِنْ بَرَكَاتِ
حَنَانِيَّتِهِ وَيَهْدِيكَ إِلَى سَبِيلِ رِضَاةٍ وَيَفْتَحَ لَكَ بَابَ مَغْفِرَتِهِ»

العبادة حاجتنا نحن البشر:

أجل ان الله عزوجل لا يحتاج الى عبادة من يعبده ودعاء من يدعوه فهو
الغني عن الخلائق وانما دعا عباده الى الصلاة والدعاء، رحمة منه وبركات.
وان الله عزوجل الذي خلق الانسان يعرف وهو الخبير بأحواله وبما يحتاجه
فدعا الانسان الى الصلاة لتكون سبباً في نزول الرحمة والخيرات وجعلها طريقاً
لنيل مرضاته ومفتاحاً لنيل غفرانه.
فما أسعد من عرف ربه واستغفر ذنبه وما أشقى من عصا الرب وامعن في
ارتكاب الذنب.

حكاية في طاعة الحق:

جاء في كتاب من كتب العرفان هذه الحكاية:
ان ملكاً انطلق الى الصيد ومعه وزيره فرأى في طريقه مجنوناً قد ربط كلباً الى
نفسه وهو مستبشر مسرور في أنسه فقال الملك لوزيره:

تعال لئلهو مع هذا المجنون.

قال الوزير: يا حضرة الملك ان هذا الرجل مجنون وأخشى أن يتجاسر على

جلالتك وفي هذا ما لا يليق بمقامك!

قال الملك: لا تخش شيئاً.

فاقتربا من المجنون، قال الملك: يا رجل ايهما أفضل أنت أم هذا الكلب؟

فقال المجنون: ان هذا الكلب لم يعصني أبداً.

واذن الملك والشحاذا اذا أطاعا الحق تبارك وتعالى كان أفضل من الكلب

والأ كان الكلب أفضل منهما.

«فَلَوْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ضِعْفَ مَا خَلَقَ مِنَ الْعَالَمِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً عَلَى
سَرْمَدِ الْأَبَدِ لَكَانَ عِنْدَهُ سِوَاءٌ كَفَرُوا بِهِ بِأَجْمَعِهِمْ بِهِ أَوْ وَحَدُّهُ وَسِوَاءٌ لَدَيْهِ
سُبْحَانَهُ لَوْ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ خَلَقَ مِنَ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْإِزْلِ وَالِى الْأَبَدِ
أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ جَمِيعاً أَوْ»
أطاعوه لأنه سبحانه غني عنهم وهم الفقراء اليه.

«فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْخَلْقِ إِلَّا إِظْهَارُ الْكِرَامِ وَالْقُدْرَةِ»

وقد جاء في الحديث الشريف:

من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ومن قرأ الف آية كتب له قنطار من تير القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرهما مثل جبل أحد وأكبرها ما بين السماء والأرض!

واذن لو ان المكلفين من الذكور والاناث جاءوا بهذا العمل أو أكثر منه وكانوا يتلون الكتاب آناء الليل وأطراف النهار فكم يكون الناتج من قبيل هذا الثواب؟

«فَجَعَلَ الْحَيَاءَ رِدَاءً وَالْعَجْزَ إِزَاراً وَأَدْخِلْ تَحْتَ سَرِيرِ سُلْطَانِ اللَّهِ تَغَنُّمُ
فَوَائِدِ رَبُّوبِيَّتِهِ مُسْتَعِيناً بِهِ وَمُسْتَغِيثاً إِلَيْهِ»

وهكذا يتخذ الانسان المصلي من الحياء رداءً يرتديه ومن العجز والفقر
المطلق ازاراً يأتزر به مدخلاً يلج به الى حكم الله وسلطانه فتغمره نعم الربوبية
حيث يستعين العبد بسيده ويستغيث بربه.

الباب

(١٤)

في آداب

قراءة القرآن الكريم

«قال الصادق عليه السلام:

مَنْ قرَأَ القرآنَ وَلَمْ يَخضعَ لله وَلَمْ يرقَ قلبُهُ وَلَمْ يُنشئِ حُرناً وَوَجلاً في سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعِظَمِ شَأْنِ اللَّهِ وَخَسِرَ خُسْراناً مُبيناً.

فقارى القرآن يحتاجُ إلى ثلاثة أشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فإذا خشع لله قلبه فرَّ منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده.

وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوتنيتين (خضوع القلب وفراغ البدن) استأنس روحه وسره بالله عز وجل ووجد حلاوة مخاطبات الله عز وجل عبادة الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بمنون كراماته وبدائع إشاراته.

فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة.

فَانظُرْ كَيْفَ تَقْرَأَ كِتَابَ رَبِّكَ وَمَنْشُورَ وَلَايَتِكَ وَكَيْفَ تُجِيبُ أَوْامِرَهُ
 وَنَوَاهِيهِ، وَكَيْفَ تَمَثَّلُ حُدُودَهُ فَإِنَّهُ كِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.
 فَرَنَّهُ تَرْتِيلاً وَقَفٌّ عِنْدَ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَتَفَكَّرُ فِي أَمْثَالِهِ وَمَوَاعِظِهِ،
 وَآخِذٌ مِنْ إِفَامَتِكَ حُرُوفَهُ فِي إِضَاعَةِ حُدُودِهِ».

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَخْضَعْ لِلَّهِ وَلَمْ يَرِقْ قَلْبُهُ وَلَمْ يُنْشِئْ حُزْناً وَوَجَلًّا فِي سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعِظَمِ شَأْنِ اللَّهِ وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا»

يورد الراوي والعارف صاحب كتاب «مصباح الشريعة» وبعد الباب الثالث عشر الذي يبحث آداب افتتاح وبدء الصلاة وبما يتناسب وأهمية قراءة سورة الحمد في الصلاة - التي هي من السور العظيمة في القرآن الكريم بل هي فاتحة الكتاب العزيز - هذا الرواية الهامة المفعمة بالمعاني باعتبارها من آداب قراءة القرآن عن الامام الناطق بالحق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

وسوف نحاول السير وتوفيق من الله عزوجل في هذه الرواية العرفانية والتأمل في مفاهيمها الواسعة والتزود من كلماتها المضيئة لعلنا نتقن من هذا البحر الزخار معرجين على سورة الحمد نمخر في أمواجها على قدم ما نشيق ونستطيع سائلين الله السميع التوفيق.

ومطلع الرواية يدعو الى الالتزام بآداب قراءة القرآن ووعى آياته مشيراً الى

عدة مواضع:

١ - قراءة القرآن.

٢ - خضوع العبد في حضرة الحق.

٣ - رقة القلب.

٤ - ضرورة الشعور بالحزن والخوف أثناء القراءة.

٥ - حرمة الاستخفاف بعظمة الحق.

٦ - الخسائر الفادحة في عدم الاهتمام بحقيقة القرآن الكريم.

في رحاب القرآن الكريم:

ان مسألة نزول القرآن، امين الوحي، يوم البعثة، اعجاز القرآن، ارقام الحروف، ارقام الكلمات، عدد الآيات، الحزب، الجزء، ارقام السور، الزبر والبيئات، المطلق والمقيد، الخاص والعام، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه و... من المسائل الهامة التي تجدر دراستها بعمق.

غير ان ذلك يتطلب دراسات تهتم بالبحوث العرفانية والاخلاق الالهية ومناهج الأنبياء والأولياء؛ فاننا نهيب بالقراء الكرام مراجعة المؤلفات ذات الصلة بذلك. القرآن هو كلام الله الخالد والمعجزة الأبدية لرسالة النبي الامي والنور الالهي.

القرآن هو حبل الله المتين وبيان الحياة الطيبة وخير الدنيا والآخرة والطريق الى سعادة الانسان في الدارين.

القرآن رمز الحقائق وصوت الحق الناطق وحبیب القلوب وانيس العاشق وطريق الكمال.

القرآن مفتاح السعادة والعصمة من الشقاء والنجاة من النار وشفاء الباطن وزينة الظاهر وأمل الآمل ومركز الأسرار الالهية.

القرآن مصباح الهداية وشاهد النبوة وضامن الرسالة وعين الدلالة وكمال

الآدمية والدرب الساطع نحو الخير الجامع.

القرآن شفاء الداء والصفاء والهناء وعشق العاشقين والعرش المعنوي وكرسي العلم الالهي.

القرآن ميزان معرفة الحق من الباطل ومبين الحقائق والمواعظ والحكم لأهل القلوب.
القرآن الوعد الواعد للانسان للصالح والوعيد والتهديد للطالحين والبشير
والنذير من الله العزيز القدير.

القرآن طريق الحق والصرراط المستقيم وعدو الفاسقين وخسران الفجار
وغنيمة الأبرار.

القرآن أعظم نعم الرحمن وأحلى من ثمار الجنان نصير رجال الله ومنقذ
الانسان من هاوية الشقاء.

القرآن مرآة الصفات والأسماء وطريق الله نحو الجنان ومانع الانسان من
السقوط في النيران، نبع الحياة وثمر الحب الالهي لعباد الله.

القرآن كتاب الحدود والديات والقصاص ومصدر الأوامر والنواهي، كتاب
الأمثال والحكم وكتاب المواعظ والقصص عبرة لمن يعتبر وما يعتبر الأذوي الأبواب.
القرآن وجه الله طريق الحياة روح الملكوت والجبروت والضياء في عالم الناسوت.
القرآن منقذ الانسان من الضلال وطريق البشر نحو الكمال ودليل الناس نحو
خالق الملائكة والناس.

القرآن حديث الحق مع الانسان والدواء لكل داء والشفاء من كل علة، نصير
الانسان وحلال المشكلات والمنقذ من الدواهي والمصيبات.

القرآن نور يسطع فيضيء القلوب يهدي الانسان الى الصلاح والفوز والنجاح.

القرآن علم الحق ومعراج النفوس نحو السماء والسلم نحو العلى ونداء الملكوت.
القرآن علة الحياة ورأسمال الانسان يفتح الآفاق ويسبر الأعماق يشع بنور
التقوى ويرشد الناس الى رب السماء.

كليات من قضايا القرآن:

ان معرفة الحقائق الواردة في القرآن الكريم هي من مسؤولية النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وتشتمل الكتب الحديثية على قضايا كبرى انبرى الأئمة من آل البيت عليهم السلام الى شرحها وتفسيرها وتتضمن أحاديثهم دعوة من الناس الى التدبر في آيات القرآن الكريم.

ان الانسان بكل ما يمتلك اليوم من علوم وامكانيات عقلية عند ما يقف في رحاب القرآن فانما يقف على شاطئ بحر بلا حدود لا تعرف له نهاية.
ولا يمكن استقصاء قضايا القرآن أو سير اغوارها العميقة بل حتى احصاءها هو الآخر يتعذر ولا تكفي سنوات العمر في بحث ما طرحه القرآن الكريم من قضايا.

ولقد حاولت أن اسجل عناوين القضايا التي تطرق اليها القرآن الكريم ولكن سرعان ما اكتشفت ان ذلك أقرب ما يكون الى المستحيل بل انه يتطلب وقتاً طويلاً جداً موسوعات كبيرة.

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فرأيت فرأيت أن ادعو القراء الكرام الى مراجعة السفر الجليل الموسوم بـ «آداب الصلاة» والتعمق فيه.

ان الله عزوجل وبسعة رحمته أنزل هذا الكتاب المجيد من مقام القرب في

قدسه ونزوله بحسب تناسب العوالم الى أن وصل الى هذا المقام الظلماني وسجن الطبيعة فاكتسى رداء الألفاظ وصور الحروف.

ان رسالة القرآن الكريم تكمن في انقاذ سجناء الطبيعة المظلمة وتحرير الانسان من اغلال الدنيا وسلاسل الأمانى والاطماع والارتفاع بالبشر من حضيض النقص والضعف والحيوانية الى اوج الكمال والانسان وتحرير الانسان من أسر الشيطان لينطلق الى عالم الملائكة بل الى ما هو اسمى من ذلك الى حيث القرب الالهى ولقاء المحبوب الذي هو الغاية العليا وهدف أهل الله.

ومن هنا فان هذا الكتاب يدعو الى الحق والى السعادة ويبين الطريق الى بلوغ هذا المقام.

فهو يرشد السالك ويعين المسافر الى الله حيث ان من مقاصده الكبرى هو الدعوة إلى معرفة الله عزوجل.

وبيان المعارف الالهية وفي طبيعة كل ذلك توحيد الذات والأسماء والأفعال حيث ذكر بعضها صراحة و اشار الى البعض الآخر اشارة.

وينبغي أن نعرف ان في هذا الكتاب جميع المعارف من معرفة الذات الى معرفة الأفعال وكل انسان يتلقى من المعرفة بقدر استعداده وقابليته.

ولذلك نرى ان تفسير الآيات الشريفة للتوحيد وخاصة توحيد الأفعال لدى علماء الظاهر والمحدثين والفقهاء رضوان الله عليهم يختلف كلياً عن تفسير أهل المعرفة وعلماء الباطن والمؤلف يرى التفسيرين صحيحين كلياً في مقامه ورؤيته ذلك ان القرآن الكريم شفاء لما في الصدور وهو يعالج داء كل مريض.

حيث نقرأ الآية الكريمة:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^١.

و الآية الكريمة:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢.

و الآية الكريمة:

﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^٣.

و الآية الكريمة:

﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾^٤.

و الآية الكريمة:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^٥.

الى غير ذلك في توحيد الذات والآيات الكريمة من سورة الحشر وغيرها في توحيد الصفات.

و الآية الكريمة:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^٦.

١ - الحديد ٥٧: ٣.

٢ - النور ٢٤: ٣٥.

٣ - الزخرف ٤٣: ٨٤.

٤ - الحديد ٥٧: ٤.

٥ - البقرة ٢: ١١٥.

٦ - الانفال ٨: ١٧.

و الآية الكريمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١

و الآية الكريمة:

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢

في توحيد الأفعال، حيث لبعضها وبوجه دقيق وبعض آخر بوجه أدق؛ دلالة عرفانية وتخطب مختلف طبقات العلماء من أهل الظاهر وأهل الباطن وهي شفاء لما في الصدور.

وفي الوقت نفسه فان بعض الآيات الشريفة مثل آيات سورة الاخلاص أو التوحيد والآيات في مطلع سورة الحديد وحسب ما ورد في أحاديث الكافي انها للمتعمقين في آخر الزمان وقد انتهل منها أهل الظاهر ما كفاهم من الفوائد وهذا من المعجزات كتاب الله العزيز وجامعيته وشموله.

ومن مقاصده الاخرى دعوة الناس الى تهذيب أنفسهم وتطهير الباطن من رجس الطبيعة وتحصيل السعادة.

وبيان كيفية السير والسلوك الى الله عزوجل وينقسم هذا المطلب الشريف الى شعبتين هامتين: الاولى التقوى على جميع المستويات والدرجات حيث يندرج فيها الاعراض عما سوى الله عزوجل.

والثانية: الايمان بجميع مراتبه، حيث يندرج فيها الاقبال على الحق والعودة والانابة الى الذات المقدسة وهذا من المقاصد الهامة لهذا الكتاب الكريم

١- الحمد ١: ٢.

٢- الحشر ٥٩: ٢٤.

المجيد حيث أكثر مطالبه بلا واسطة أو مع الوسطة ترجع الى هذا المقصد الشريف. وهناك مطالب اخرى لهذه الصحيفة الالهية بما فيها من قصص الأنبياء والأولياء والحكماء وكيفية تربية الحق تعالى لهم وتربيتهم لخلق الله عزوجل؛ حيث تشتمل هذه القصص على ما لا يحصى من الفوائد والتعاليم الالهية التي تحير العقول.

ففي قصة خلق آدم وأمره سبحانه الملائكة بالسجود له وتعليمه عزوجل لآدم الأسماء وما ورد حول ابليس من المعارف والمعالم لمن كان؛

﴿لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^١.

والتي تحير الانسان.

وتكرار هذه القصص مثل قصة آدم وموسى وابراهيم وغيرهم من الأنبياء هو لهذا الغرض لأن هذا الكتاب ليس كتاب قصصي ولا كتاب تاريخي بل هو كتاب سير وسلوك الى الله عزوجل وكتاب توحيد ومعارف ومواعظ وحكم؛ والتكرار في هذه الأمور مطلوب لضمان تأثيرها في النفوس القاسية فتعتبر منها القلوب.

ذلك ان قصص الأنبياء وكيفية سيرهم وسلوكهم وكيفية تربيتهم لعباد الله ومواعظهم وجدالهم بالتي هي أحسن وحوارهم مع الناس هو من أكبر أبواب المعارف وأعلاها والتي تفتح عن باب السعادة التي فتحها الله عزوجل في وجوه عباده.

وكما انتهل أصحاب المعرفة وأصحاب السلوك والرياضة منها نصيباً وافراً فان الآخرين قد أخذوا أيضاً منها نصيبهم وحظهم الوافي.

فمثلاً قوله تعالى في الآية الكريمة:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾^١.

ان أهل المعرفة يدركون كيفية السلوك والسير المعنوي لسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ويعلمون الطريق والسلوك والسير الى رب العالمين وحقيقة سير الأنفس والسلوك المعنوي من أقصى ظلمة الطبيعة، الذي عبرت عنه القصة القرآنية ﴿جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ الى اللقاء المطلق والخروج من الانية والانانية وترك عبادة الهوى والوصول الى مقام القدس والدخول في محفل الانس، الذي أشارت اليه الآية الكريمة في قوله تعالى على لسان ابراهيم:

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ﴾^٢.

ومواضيع اخرى في هذه الصحيفة النورانية في بيان أحوال الكفار والجاحدين والمعارضين للحق والحقيقة والمعاندين للأنبياء والأولياء وما آلت إليه مصائرهم والبوار الذي حلوا فيه؛ من قبيل مصير فرعون وهامان وقارون ونمرود وشداد واصحاب الفيل وغير من الكفار والفجار، فكانوا قصصاً وعبراً لذوي الألباب والعقول.

وكذا حروب النبي صلى الله عليه وسلم جهاده وجهاد اصحابه وسعي المسلمين في انتشار النور في الجزيرة وجهادهم في سبيل الله.

ومن مطالب القرآن الكريم الأخرى بيان قوانين الشريعة والآداب والسنن

١ - الانعام: ٦: ٧٦.

٢ - الانعام: ٦: ٧٩.

الالهية ومعظمها في الدعوة إلى الأصول والضوابط مثل باب الصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد والنكاح والارث والقصاص والحدود والتجارة وامثال ذلك. ولأن هذا القسم الذي هو علم ظاهر الشريعة عام المنفعة وهو لجميع الطبقات من حيث اعمار الدنيا والآخرة وكل طبقات المجتمع ينهلون منه كل بقدر استعداده فقد جاءت الدعوة إليه جمعة.

وكذا ما يضاهاه ذلك من حيث الوفرة في الأحاديث والأخبار ومؤلفات ومصنفات علماء الشريعة في هذا المضمار أكثر من سائر المواضيع والأقسام. ومن مطالب القرآن بيان احوال المعاد والبراهين والأدلة على يوم القيامة وبيان أحوال أهل النار وما ينعم به أهل الجنة من الرخاء والسعادة والنعيم الخالد. وبيان مراتب أهل الجنة من المقربين وكذا درجات أهل النار من الكفار والمنافقين.

وما كان فيه فائدة لعموم الناس ورد ذكره بصريح العبارة، وما كان موجهاً لطبقة خاصة جاء التعبير عنه على نحو الرمز مثل قوله تعالى:

﴿رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^١.

وكذا الآيات الخاصة بلقاء الله لأهل النار:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾^٢.

وفي هذا القسم لذلك الفريق في تفصيل مسألة المعاد والرجوع إلى الله عزوجل من المعارف الكثير الأسرار ما يحير لا يمكن سبر اغوارها إلا بالسلوك البرهاني أو النور العرفاني.

١ - التوبة ٩: ٧٢.

٢ - المطففين ٨٣: ١٥.

والقرآن الكريم يقدم مسألة وجود الخالق تبارك وتعالى ووحدانيته على أوضح

ما يكون في السور ٢-٣-٤-٥-٦-١٧-١٨-٣٤-٣٩-٤٠-٤٢-٥٩-١١٢.

أما الخالق لجميع الأشياء ففي السور ١٦ و١٧ والرحيم الرؤوف، المحسن ففي

السور ٣-٦-١٠-٤٠ وهو يرزق حتى الذين لا يشكرونه في السور ٣-٩-٦٤

وهو العفو الغفور لمن تاب وأتاب في السورتين ٢٥ و١١٠، والحاكم الحكم

والقاضي يوم القيامة في السور ٢-١٤-١٦-١٧-١٨-٢٢ والذي يجازي على

قدر العمل في السور ٢-٣-٤-١٠-٢٨، والذي يجزي الشهداء نعمة السعادة

الأبدية وبيان هذه السعادة والنعيم في السور ٤-٧-١٣-١٥-١٨-٣٢-٣٥،

وجزاء المجرمين والأشرار في جهنم حيث الجحيم والعذاب الأليم في السور ٢٧

-٣٨-٤٥-٥٢-٥٥-٥٦-٧٦-٨٨-

وتطرق القرآن الكريم إلى ذكر أنواع الفسق والفجور والتماذي فيها في

السورتين ٤ و١٧، وأكل الربا في السورة ٢ والحرص والغرور في السور ٤ و١٧ و

١٨، والافتراء والبهتان في السورة ١٠٤ والطمع في السورتين ٤ و٣٣ والنفاق في

السورتين ٤ و٦٣ والشهوة والتهافت على متاع الدنيا وحطامها في السورتين ١٠٠

و١٠٢ في مقابل الانفاق في السور ٢-٣-٣٠-٥٠-٧٠-٩٠، والحب والمودة في

السور: ٤، ١٧، ٢٩، ٤٦ وشكران الخالق تبارك وتعالى في معظم السور، والوفاء

بالعهد في السورتين ٥ و١٦ والصفاء والنقاء في السورتين ٥ و٦ وحب اليتامى

واحتضانهم في كثير من الموارد والتقوى والعفاف في جميع الشؤون في

السورتين ٢٤ و٢٥ وتحرير العبيد في السورتين ١٣ و٩٠ والصبر والتسليم والرضا

بما قدر الله عزوجل في كثير من الموارد، والعفو عن الآخرين في السور ٣-١٦-

٢٤-٤٣ وكل أعمال الخير والاحسان حيث المخاطب المرأة والرجل على سواء^١.

القرآن الكريم، حبل الله المتين:

يعبر القرآن الكريم عن حقيقة وجوده بانه حبل متين يربط ما بين مبدأ الوجود في أعلى علاه ويتدلّى إلى أعماق بئر الطبيعة حيث يمكن للانسان أن يمسك بهذا الحبل وأن يرتقي عالياً في طريق الكمال وبلوغ الهدف المنشود ولكن إذا ما اعرض الانسان عن هذا الحبل فانه سيقى قابلاً في ظلمة البئر حائر لا يعرف مصيره متخبطاً في حركته في عالم تتراكم فيه الظلمات:

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا

يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^٢.

يقول جلال الدين مولانا:

كثيرون أولئك الذين ضلّوا الطريق وأضاعوه.

يتخبطون في الطريق المغمور بنور القرآن.

كما لو أنهم في اعماق البئر.

ليس ذنب ذنب الحبل في البئر.

بل ذنبك ايها العنيد لم تستخدم الحبل للارتقاء.

يقول شارح المثنوى (الفيلسوف الراحل محمد تقي الجعفرى) ان هذين

البيتين يموجان بأعلى المضامين الانسانية الفردية والاجتماعية والنفسية

والأخلاقية.

١- محمد و القرآن: ١٠٦.

٢- الاسراء: ١٧: ٨٢.

ويشتمل البيتان على مضمون كلي اساسي في الحياة الانسانية ذلك ان الانسان اينما وجد واينما حلّ يحيطه من الظواهر الكثير.

وهذه الظواهر والقوانين لا تتدخل بذاتها في تعيين مصير الانسان حيث يتعين عليه وحده أن يقرر مصيره، والظواهر الطبيعية تعلن فقط عن استعدادها للتعاون مع الانسان في تحقيق ما يصبو إليه ويريد بلوغه من دون ممارسة أي محاولة للضغط عليه.

فمثلاً النور والضوء الذي أحد ظواهر الطبيعة ومظاهرها حيث يضيء لنا كل مجالات الحياة لكنه لا يتدخل أو يجبرنا في حركتنا نحو تحقيق ما نريد تحقيقه والوصول إلى نريد الوصول إليه.

فظاهرة النور حتى الآن لم تجبر أي مقامر على الجلوس في ضوئها وممارسة القمار كما انها لم تجبر أي تقي على القيام للعبادة.

والماء هذه المادّة الحياتية التي تقوم عليها الحياة في الكرة الأرضية؛ ان الماء لم يجبر أحداً على الفناء نفسه والغرق فيه كما انه لم يقم باجبار الجهاز الهضمي على شرب الماء وانقاذه من الموت وحدها الخلايا والجهاز العصبي هو الذي يفكر ويرى ويتخيل وتنداعى المعاني فيه.

أجل ان مادة الماء لا تقوم بأي عمل من شأنه اجبار الانسان على استعمال أو نعه من الاستعمال.

ان الانسان هو الذي يسعى الى الحياة ويستخدم الماء في المجالات المختلفة لاستمرار حياته.

وهذه المسألة لا شك فيها ولا ريب وانه لمن المؤسف ان نرى الانسان في استخدامه الظواهر التي حوله وسيلة للانحطاط بدلاً من الرقي والتكامل والسمو.

ويا حسرة على الانسان انه وفي وجود النبوة والامامة وخاصة وجود الجبل الالهي المتين الذي هو القرآن هذا الكتاب الذي يربط السماء بالأرض ومع ذلك نرى الانسان يضيع وبيته ويبقى أسيراً في قفص الطبيعة مقيداً بحبال الطين حتى إذا انفتح باب القفص اذا به يقع في هاوية جهنم وبئس المصير.

يقول عطار النيسابوري:

لم اتخطّ كرة التراب ولم أضع قدمي في مدارات الفلك الدوار.

هكذا بقيت أسيراً في القفص لا حب ولا ماء.

اضرب القضبان بجناحي الكسير.

بالضيق القفص.

فارحمني عندما يهال فوقني تراب القبر فانا مجرد صيد هزيل.

ويوم انبعث من التراب نحو عبير الغيب.

لا تفضحني في ضجيج المحشر.

ان رددتني أو قبلتني سأبقى تراباً في الزقاق الذي يؤدي اليك.

ومدى العمر سأبقى مثل كلب أصحاب الكهف قابلاً في الدرب الذي يتجه نحوك.

فيا عطار انتظر كما التراب عند الباب.

ويا رب لا تغلق الباب فانا تراب ذاك الباب.

الهدف من نزول القرآن:

لقد أنزل القرآن الكريم من أجل ترشيد حركة الانسان ومن أجل تكامله

وبلوغه الى أعلى مقام الهي رفيع، فالقرآن الكريم اذا ما أقبل عليه الانسان وشرح

صدره؛ له نور يضيء قلبه ونفسه وطريقه.

فلا تجعلوا من القرآن وسيلة للخدر والتخدير أو وسيلة لكسب المال وشفاء أمراض البدن أو التبرك به في الدور والمتاجر.

ذلك ان الدين لم يأت لصلاح الجسم وطمأنة الروح من هواجس الحوادث وعاديات الزمن.

وهنا نرى جلال الدين مولانا ينتقد هذا الفهم للقرآن الكريم.

تراه يسلي نفسه ويروح عنها يدفع الملل.

بقراءة كلام ذي الجلال يعالج نفسه ويبدد عنها الوسوس.

يقول العلامة الجعفري^١:

ان من أكبر الحجب التي تغطي الدين ومصادره وشؤونه ومنعت الناس وحرمتهم من هذه الحقيقة الباعثة للحياة هي ما أشار إليها جلال الدين.

يقول ان القرآن الكريم والدين وعلى نحو عام هو علاج للآلام وما يعاني منه الناس ويواجهونه في حياتهم.

فالعنف ومرارة الحوادث في الحياة تدفع الانسان الى الشعور بالقلق والاضطراب وتنتابه الهواجس والمخاوف وعند ما يشعر الناس بالعجز وهم يواجهون مرارات الحياة فانهم يلجأون الى ما يبدد عنهم الشعور بالخوف والمرارة والألم؛ بعضهم يلجأ الى الافيون وآخرون الى الموسيقى والى ما يتصوّرونه من الفنون الجميلة فيما يجنح البعض للجوء الى الدين واتخاذة وسيلة للفرار من مرارة الواقع.

وهذا في الحقيقة ظلم للدين وخيانة لرسالته وتشويه للواقع والحقيقة؛ فبدء يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار هذه القضية وهي انه ثمة فرق كبير بين العلة الاصلية لوجود شيء ما والفوائد التي يمكن جنيها من ذلك الشيء.

فأنت مثلاً زرعت ورده غاية في الجمال في حديقة منزلك وقد انفقت عليها من المال الكثير فهي وردة فريدة في جمالها وشكلها؛ منحت حديقتك جمالاً أكثر من ذي قبل.

وذات يوم من أيام الصيف والقيظ قفزت القطة من فوق الجدار ولاذت بظلال شجيرة الورد هذه فراراً من حرارة الشمس؛ فهل من الصحيح أن نقول ان هدفك وغايتك من استنبات شجيرة الورد هذه ورعايتك لها وانفاقك من المال هو من أجل أن تستظل بظلالها القطة؟

أنت ترتدي ثياباً جميلة غالية الثمن من أجل أن تتقي بها حرارة الشمس وبرد الشتاء، ثم اجتاح السيل منزلك وبدأت المياة تتسرب الى داخل البيت فلم تجد شيئاً تسدّ به منافذ الماء المتدفق سوى ثيابك تسدّ بها المنافذ.

وهذان المثالان وان كانا لا ينطبقان على المسألة الأساسية الا انه يمكن توضيح العلة الأساسية لوجود شيء وفوائده العرضية من خلالها.

وانه لمن الحماسة بمكان أن يلجأ الانسان الى اتخاذ الدين وسيلة للخدر والفرار من الواقع بدلاً من تطبيق قوانينه والعمل بتعاليمه، وقد هاجم القرآن نفسه هذا النوع من الناس الذين يلجأون الى الدين عند الاحساس بالحاجة ودفع الضرر.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْأُنثَىٰ الضُّرُّ دَعَا نَاجِيَةً﴾!

ان لجوء المرء الى قراءة القرآن الكريم من أجل تبديد هواجسه والتسلي به
فما هو فرقه اذن عن كتاب كليله ودمنة وعن الشاهنامة؟

تعلموا القرآن من أجل الله واعملوا في سبيل الله حتى يمكن بلوغكم النقطة
المقررة لكم وهي مقام الخلافة خلافة الانسان للحق في الأرض اقرأوا القرآن
من أجل تحقيق السعادة لكم في الدنيا والآخرة.

والقراءة القرآنية الحقة تكمن في العمل به وتطبيقه في واقع الحياة.

اقرأوا القرآن لعلاج آلام العقل والروح وشفاء أمراض النفس.

ان القرآن كتاب هداية وكتاب شفاء ومنطلق الى الكمال.

وهدف نزول القرآن هو أن يتحلّى الانسان بانسانيته وبلوغه مقام الوصال.

القرآن صحوة القلب وانطلاق الروح الى ملكوت السماوات والأرض.

أدب التلاوة والقراءة

يتعين علينا باستمرار ونحن نقرأ كتاب الله أن نمعن النظر في مفاهيمه العالية
والعمل على تطبيقها في واقع حياتنا فنلتزم ما أمرنا به ونجتنب ونتخلى عما نهانا
عنه وفي هذا المنهج يكمن العلاج القرآني.

يقول الامام الخميني في هذا المضمون:

ان من الآداب الهامة في قراءة القرآن الكريم التي تعين في الوصول الى
تحقيق غايته العليا هي تطبيق مفاهيمه والتفكير في آياته الشريفة وتطبيقها في
واقع حياته وسدّ النقص الذي يعانيه من خلالها ومعالجة أمراضه.

فمثلاً يتأمل في ما تسبب في طرد ابليس من الجنة في قصة سيدنا آدم عليه السلام
بالرغم من العبادة الطويلة؛ فيظهر نفسه من ذلك، لأن رحاب القدس الالهي لا
تلجها إلا اقدام الاطهار.

ويستشف من الآيات القرآنية الكريمة الى ان السبب في عدم سجود ابليس لآدم وامثاله لأمر الله هو العجب بالنفس (الترجسية) اذ قال ابليس كما ورد في القرآن الكريم:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^١.

وهذا العجب بالنفس ادى به ان انانية مفرطة ومن ثم الى الاستكبار والعناد والتمرد على الحبيب ما أدى به في النهاية الى الطرد من رحمة الله والويل لمن يلعن الشيطان وهو يتصف بصفاته ولم يفكر في ما ادى بابليس الى الطرد. والشيطان لم يخص بالطرد لذاته وانما لما قام به ولما اتصف به من الصفات السيئة فاذا أردنا أن ندخل في رحاب القدس الحبيب علينا أن نتطهر والأ نلعن ابليس ونشاركه في ما عمل. وأن نفكر في ما امتاز به آدم وجعله اسماً من الملائكة فتحلّى به ما استطعنا الى ذلك سبيلاً.

ومن خلال القصة ندرك أن سبب أفضلية آدم يكمن في تعلّمه الأسماء التي تتحقق بمقام أسماء الله التي هي مرتبة عالية وقد ورد في الأثر:

«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^٢.

والتحقق بحقيقتها ترتقى بالانسان الى نيل جنة الأسماء والانسان بالرياضات القلبية يمكنه أن يكون مظهراً لأسماء الله وآياته الكبرى وأن يكون وجوداً ربانياً متصرفاً فاعلاً في مملكته ويمكنه أن يكون يد الجمال والجلال الالهية.

١- الاعراف ٧: ١٢.

٢- التوحيد: ١٩٥، باب ٢٩، حديث ٩؛ بحار الأنوار: ٢١٩/٦، باب ٨، حديث ١٣.

وقد جاء في الحديث الشريف ما يقرب من هذا المعنى:

«ان روح المؤمن لأشدّ اتّصلاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها»^١.

ان من يريد أن يكون له حظ وافر من القرآن الكريم يجب أن يطبق على نفسه آيات القرآن ولهذا يصف القرآن الكريم المؤمنين في هذه الآية الكريمة من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^٢.

وعلى السالك أن يرى هل تنطبق عليه هذه الأوصاف الثلاثة أم لا؟

هل ان قلبه يرتجف خوفاً وخشية عند ذكر الله عزوجل؟

وإذا تليت عليه آيات الله هل يزداد نور الايمان في صدره وهل ينمو توكله

على الله سبحانه؟

أم انه محروم من هذه الخواص؟

فان أراد أن يفهم ويعرف ان قلبه وجل من خوف الله فلينظر الى عمله.

ان الانسان الذي يخاف مقام ربه لا يهتك حرمة من حرم الله عزوجل وان

ازداد ايمانه انعكس نور هذا الايمان على ظاهره وسرى في كل وجوده وسلوكه.

لأنه من غير الممكن أن يكون النور في قلب الانسان ولا يسري هذا النور الى

اللسان في الكلام والى العين في النظر والى الاذن في الاصغاء والاستماع واذا

١- الكافي: ١٦٦/٢، حديث ٤.

٢- الانفال ٨: ٢.

أصبح الانسان نورانياً فان جميع قواه الملكية والملكوتية تسطع نوراً واطافة الى هدايته لنفسه يكون مشعل هداية يضيء الطريق للاخرين.

وكذلك فان الانسان اذا توكل على الله عزوجل قطع طمعه بالآخرين فلا يسأل أحداً الا الله ولا يمدّ يده الى أحد سوى الله الغني المطلق فهو ينظر الى غيره فيراه فقيراً مثله واذن فعلى السالك ان يعرض نفسه على القرآن الكريم. وكما ان ميزان ومعيار صحة الحديث وسقمه هو في عرض الحديث على القرآن فان وافق القرآن كان صحيحاً وان لم يوافق القرآن كان باطلاً وزخرفاً من القول فان الميزان في الاستقامة والاعوجاج والسعادة والشقاء هو في الاستقامة في ميزان كتاب الله.

وكما ان خلق الرسول ﷺ هو القرآن فان على الامة أن تتخلّق بأخلاق القرآن الكريم لكي تطابق أخلاقها أخلاق الانسان الكامل والاخلاق التي تخالف كتاب الله زخرف وباطل وكذلك يجب عرض معارف واحوال القلوب والأعمال والباطن والظاهر على كتاب الله والتخلّق بالقرآن ويكون القرآن الصورة الباطنية للانسان.

واجباتنا ازاء القرآن الكريم:

على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً ثلاث مسؤوليات ازاء كتاب الله العظيم:

١ - تعلم القرآن الكريم.

٢ - فهم معانيه ومفاهيمه.

٣ - العمل به.

١ - تعلم القرآن الكريم:

أوقف الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار وعلى مدى ما يناهز المئتين

والثمانية والستين عاماً أي منذ بعثة النبي ﷺ وحتى بدء الغيبة الصغرى أعمارهم وأنفسهم الى حدّ الاستشهاد وامضوا حياتهم في تعليم الناس القرآن الكريم واعداد الظروف المواتية لتطبيق مفاهيم كتاب الله.

ومن باب تقدير هذه الجهود المضنية والتضحيات علينا أن نهض بهذه المسؤوليات الثلاث جهد طاقتنا وانتم تدركون ان كل لحظة من لحظات حياتهم كانت جهاداً بل ان بعض تلك اللحظات ما يرقى الى ما هو اسمى من عبادة الثقلين.

قال رسول الله ﷺ:

«لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ»^١.

فكم تستغرق ضربة السيف هذه حتى تفوق عبادة الثقلين وهكذا هي اوقات النبي ﷺ وساعات حياتهم.

وقد أنتهج النبي ﷺ والأئمة الأطهار من بعده اسلوب قراءة القرآن وابلغ مفاهيمه للناس والعمل بآياته.

وقد ورد في سورة المزمل وهي السورة الثالثة أو الرابعة في تسلسل النزول

قوله تعالى:

﴿فَاقْرَأُوا مَا نَسَرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا نَسَرَ مِنْهُ

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ
أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

ونجد في هذه الآية الكريمة ان امر القراءة يتكرر مرتين والاستجابة لهذا
الأمر الالهي تستلزم تعلم ظاهر القرآن الكريم ولهذا يتعين على من يستطيع قراءة
القرآن الاهتمام بهذه النقطة ومن ثم قراءة الكتاب الالهي.

٢ - فهم القرآن الكريم:

ونقرأ في مسألة ادراك مفاهيم القرآن الكريم الذي هو حصيصة التفكير
والدراسة في الآثار الاسلامية قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢.

أجل ان الجبال الرواسي لتخشع اذا نزل القرآن عليها وتنهار خشية من الله
عزوجل والويل للانسان اذا لم يرتبط بالقرآن الكريم عقلاً وفطرة وضميراً ولا
يبادر في التفكير من أجل فهم القرآن.

ويهاجم القرآن الكريم هؤلاء الذين لا يبادرون بهمة الى فهم القرآن الكريم
وادراك معانيه والتأمل فيها:

١- المزمّل ٧٣: ٢٠.

٢- الحشر ٥٩: ٢١.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^١.

٣ - العمل بالقرآن الكريم:

وفي باب العمل لا تجد سورة في القرآن الكريم إلا وحثت الانسان على العمل وعدت فهم القرآن والعمل به أساساً في النجاة. والعمل الصالح هو العمل على أساس آيات كتاب الله الكريم وبالنية الخالصة لله سبحانه.

والانسان اذا استمر في قراءة القرآن الكريم وتدبره والعمل به حتى يخرج من الدنيا كان من الفائزين ومن المفلحين.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^٢.

والموازين يوم القيامة هم الأنبياء والأئمة الأطهار والصالحين وعلى رأس الموازين كتاب الله العزيز القرآن المجيد.

اجل يوزن الجميع بالقرآن يومئذ فان طابقت اعمال العباد القرآن ثقل ميزانه ورجح وكان من أهل النجاة وان لم تطابق الأعمال القرآن الكريم خفت موازينه وكان من أهل العذاب.

﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾^٣.

١ - محمد ٤٧: ٢٤.

٢ - الاسراء ١٧: ٩.

٣ - الاعراف ٧: ٨.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾!

القرآن، يشتمل على أفضل النظم:

ومن يريد أن يفهم حقيقة القرآن والاسلام والانسان والعالم على نحو ما فلا مناص له من مراجعة هذا الكتاب الالهي.

وكل ما في هذا الكتاب الخالد ينسجم مع شؤون الانسان ومصلحته ويرسم له أفضل النظم ولتوضيح هذه الحقيقة ادعوكم الى الاصغاء للمفسر الكبير الراحل العلامة الطباطبائي في رسالته القرآن في الاسلام.

ومن خلال التأمل في عدة مقدمات يمكن فهم المعنى الحقيقي لشمولية القرآن الكريم وجامعيته واشتماله على برنامج شامل للحياة.

(نيل السعادة هدف الحياة الانسانية):

١- ليس للانسان هدف في الحياة الا السعادة.

وان السعادة الشكلية التي يتمناها الانسان في الحياة ويلهث وراء تحقيقها هي من قبيل الحرية والرفاهية والسعة في العيش وغير ذلك.

وعندما نرى بعض الافراد يعرض عن السعادة من قبيل الذي يضع حداً لحياته بالانتحار اما أن يكون قد أعرض عن مزايا الحياة فاذا سبرنا حاله وغصنا في داخله لرأينا ان عوامل خاصة أثرت في رؤيته ونظرتة للسعادة ويراها في تحقيق بعض ما يصبو اليه؛ فهو يلهث وراء ذلك فبعضهم ينتحار اثر تعرضه لمشكلات

وازمات تتسبب في احساسه بالألم فيجد راحته وخلاصة من الألم بالموت. وآخر يرى سعادته بالرياضة والزهد فيحرّم على نفسه اللذائذ المادية ويرى سعادته في انتهاج هذا الاسلوب من الحياة. واذن فان النشاط الانساني يستمر لنيل السعادة والنجاح في هذا الطريق سواء أخطأ في تشخيص سعادته الحقيقية أم أصاب.

(النشاط الانساني المبرمج):

٢ - ان النشاط الحياتي للانسان لا يتبلور أبداً الا من خلال برنامج وهذه مسألة بديهية واذا ما خفيت احياناً فان ذلك مردّه الى شدة الوضوح؛ ذلك ان الانسان من جهة يعمل بارادته وما لم يتأكد من مواتية الظروف لتحقيقه؛ فانه لا يقوم على انجاز العمل والقيام به.

يعني ان العمل يأتي استجابة لتنفيذ أمر صادر من العمق ومن جهة اخرى أن يقوم بانجاز الأعمال لذاته؛ يعني لسدّ النقص الذي يشعر به والذي يدرك وجوده وبالتالي فان ثمة علاقة مباشرة بين أعماله وأفعاله.

ان الأكل والشرب والنوم والصحو والجلوس والقيام والذهاب والمجيء وغيرها من النشاطات كل له أبعاده ومناسبه وحياناً تكون هذه الأعمال لازمة وحياناً ليست كذلك وربما كانت مفيدة احياناً وحياناً اخرى ضارة.

وفي النتيجة ان العمل الذي يقوم به الانسان انما يأتي استجابة لأمر يصدر من أعماق الذات وقد حفظت كلياته في الأعماق وهي تتحقّق حسب انطباقها على الموارد.

وكل انسان في أعماله الفردية يمثل دولة قائمة حيث يمارس مواطنوها أعمالهم وفق الأوامر الصادرة وتجري الأعمال والنشاطات في ضوء قوانين وضوابط وكل القوى العاملة في هذه الدولة يتعين عليها أن تطابق أعمالها مع الأوامر الواجب تنفيذها ومن ثم تقوم بانجازها.

والنشاطات الاجتماعية في أي مجتمع حالها حال النشاطات الفردية فهي تأتي وفق ضوابط وآداب وسنن متفق عليها من غالبية المجتمع ولها الحاكمة من خلال ذلك والأسوف يسقط المجتمع في فوضى وسيتلاشى في وقت قصير.

وإذا كان المجتمع متديناً بدين ما انبثقت الحكومة من خلال أحكام ذلك الدين وإذا كان المجتمع لا يدين بدين معين فإن النشاطات الاجتماعية تجري من خلال القانون الذي سنّه المجتمع لنفسه.

وإذا كان المجتمع غير متدين وهو مجتمع بدائي بعيد عن الحضارة جاءت الحكومة فيه مستبدة فردية وقد تنبثق في داخله قوانين معينة نتيجة الاحتكاكات والتصادمات وظهور عقائد نتيجة ذلك.

واذن فإن الانسان وعلى اية حال له هدف وغاية وهو يسعى الى بلوغ اهدافه وتحقيق غاياته ولا مناص من أن يسلك طريقاً يراه مناسباً ويضع خطأً وبرامج لبلوغ ذلك.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^١.

وأساساً يطلق القرآن الكريم على النهج والاسلوب الذي يتّخذه الانسان في حياته اسم «الدين» ولهذا لا يوجد انسان بلا دين سواء كان مؤمناً أو كافراً أو حتّى ملحداً.

ذلك ان الانسان لا بد له وأن ينتهج في حياته اسلوباً ما يسير عليه ويعيش في اطاره سواء جاء ذلك من خلال النبوات والوحي أو يضعه بنفسه ويتبناه.

وقد وصف الله عزوجل الظالمين الذين يحاربون دين الحق وسبيل الخالق بأنهم ينتهجون طريقاً مناهضاً لارادة الله.

قال سبحانه:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾^١.

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة هي «سبيل الله» وهو مصطلح قرآني يطلق على الدين الالهي والآية القرآنية تشتمل على دلالة في ان الظالمين الذين لا يؤمنون بدين الله سبحانه (الدين الفطري) يحرفون وينحرفون في نهجهم متخذين مساراً آخر وفق برنامج للحياة يتناقض مع سبيل الله.

(برنامج الخلق أفضل برنامج للحياة):

٣ - ان أفضل طريق للحياة وأكثره ثباتاً وقوة ورسوخاً هو ما يقود اليه خلق الانسان لا الذي ينبثق نتيجة العواطف والانفعالات النفسية للفرد أو المجتمع. ولو سيرنا كل جزء من الخلق وغصنا في أعماقه فسوف يتضح لنا ان الوجود

نفسه ينطوي على غاية وهدف وان الوجود يتجه اليه ويتحرك نحوه وهو يسلك أفضل الطرق وأقربها للوصول الى ذلك الهدف.

وان الكائن ينطوي في أعماقه وفي خارجه على امكانيات تتناسب والهدف الذي يتحرك نحوه ورؤية الخلق في كل كائن حي أو غير حي هي على هذا النحو.

فمثلاً ان بذرة القمح هي من أول يوم في وجودها في أعماق التربة تبدأ في مد جذورها وتتجه الى أن تصبح نبتة قمح لها سنابل وهو تنمو من خلال توظيف العوامل التي في محيطها من ماء وهواء وتراب وضوء وتستمر في النمو لتكامل الى أن تصل الى نقطة النهاية.

وهكذا الأمر في شجرة الجوز أيضاً لو تأملنا فيها لوجدنا انها ومنذ أول يوم تجد نفسها في التربة تتحرك نحو هدفها وغايتها لتصبح شجرة قوية باسقة وهي تسلك في سبيل تحقيق ذلك طريقاً مناسباً لها وامكانياتها وقواها الداخلية فهي تتابع هدفاً وغاية ولم تفكر يوماً في أن تصبح قمحاً وكذلك شجيرة القمح لم يراودها في أن تتابع مسار شجرة الجوز في نموها.

(ان الخلق يقود الانسان باتجاه السعادة)

ان جميع المخلوقات التي تشكل العالم المشهود محكومة بهذه القاعدة الكلية ولا يوجد أي دليل على ان الانسان مستثنى منها «كل نوع له هدف وسعادته تكمن في الوصول اليه وهو يحمل معه أسبابه المناسبة ويسلك طريقه المناسب» بل ان ما يحمله الانسان من الأسباب لهو أفضل دليل على ان الانسان هو الآخر كسائر أنواع الخليقة له هدف يتضمن سعادته ويحمل من التجهيزات

المناسبة في وجوده ويسلك الطريق المناسب للوصول الى هدفه وسعادته.
وانطلاقاً مما مضى فان الخلق الخاص بالانسان وكذلك خلق العالم الذي
يشكل الانسان جزءاً لا يقبل الانفصال منه يقود الانسان نحو السعادة الحقيقية.
وان أهم الضوابط وأكثرها رسوخاً التي يضمن التزامها تحقيق السعادة قد تم بيانها.
قال الله سبحانه في محكم الكتاب الكريم:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^١.

وقال سبحانه:

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^٢.

وقال عز وجل:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^٣.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾^٤.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٥.

١ - طه ٢٠ : ٥٠.

٢ - اعلیٰ ٢٨٧ : ٢ - ٣.

٣ - شمس ٩١ : ٧ - ١٠.

٤ - الروم ٣٠ : ٣٠.

٥ - آل عمران ٣ : ١٩.

ان الدين واسلوب الحياة عند الله هو الاسلام والتسليم له تبارك وتعالى يعني التسليم للخلق والتقدير لما أودع الله عزوجل في ما خلق من أسباب يؤدي التزامها الى تحقيق السعادة له في الدنيا والآخرة.
يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^١.

وحصيلة هذه الآيات وآيات اخرى بهذا المضمون هو ان الله سبحانه وتعالى قد أودع في أعماق مخلوقاته ومنها الانسان معالم للطريق المناسب الذي يؤدي به الى بلوغه الهدف المنشود؛ حيث الوصول اليه يعني تحقيق السعادة والله سبحانه يريد من الانسان ان يستجيب لذلك ضماناً له في تحقيق ما يصبو اليه في حياته الفردية والاجتماعية.

ان الله قد أودع في فطرة الانسان ما يضمن وصوله الى الغاية المنشودة لا أن يقع أسيراً في براثن الأهواء والميول والعواطف والانفعالات.

ومقتضى الدين الفطري (الطبيعي) هو عدم الغاء ما يشتمل عليه الانسان من التجهيزات والأسباب اذ يتعين اداء حقوقها جميعاً بالقدر المتوازن بحيث لا يطنى أحدها على الآخر ولا يضحّم حجم أحدها على حساب إضعاف الآخر، بل ضبطها جميعاً في أحجامها وأبعادها الحقيقية المتوازنة، فلا يطنى واحد على الآخر ولا يلغى جانب غيره من الجوانب.

والعقل هو الذي يحكم الوجود الفردي للانسان وليس النفس وليس للعاطفة والأحاسيس ان تطنى.

وفي المجتمع أيضاً ينبغي للحق والمصلحة الحقيقية أن تسود المجتمع وليس الأهواء النفسية لفرد مستبد ولا حتى مطلب الاكثرية اذا ناهضت مطالبها الحق وكانت على تناقض مع المصلحة الحقيقية للمجتمع.

ونستنتج مما ورد اعلاه ان التشريع يجب أن يكون لله سبحانه وحده ذلك ان القوانين والضوابط قد عينها الخالق سبحانه وأودعها في أعماق البشر وان ما يحمله الانسان في وجوده وخارج وجوده يقتضي منه سلوك الصراط المستقيم. وهذا ما يدعو اليه سبحانه عباده وهذه هي ارادة الله التي تبرز تارة تكوينياً من قبيل الحوادث الطبيعية واحياناً تشريعياً من خلال النشاط الانساني الحيوي كالأكل والشرب، حيث يقوم الانسان بذلك من خلال ارادته يقول سبحانه وتعالى في أكثر من مناسبة:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^١.

القرآن الكريم يشتمل على برنامج الحياة:

وبعد أن اتضحت هذه المقدمات فانه يجب أن نعرف ان القرآن الكريم وبالتزام هذه المقدمات الثلاث يعني بقطع النظر بأن للانسان في حياته هدف وان عليه أن يسعى للوصول اليه وان هذا النشاط من دون برنامج لن يحقق نتيجة.

الآن ان هذا البرنامج يجب تعلمه من كتاب الفطرة والخلق والتعليم الالهي والقرآن المجيد وبالنظر الى هذه المقدمات يحدّد الهيكل العام لبرنامج الحياة الانسانية على هذا النحو:

يجعل معرفة الله أساساً للبرنامج والاعتقاد بوحدانية الله اللبنة الاولى والحجر الأساس وبعد معرفة الله معرفة المعاد والايان بيوم البعث ويوم الجزاء؛ حيث يجازى الانسان على ما عملت يده إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر.

وبعد ذلك يأتي الايمان بالنبوة الذي يستتج من الايمان بالمعاد، ذلك مسألة ثواب الأعمال الصالحة والطالحة لا تبلور من دون الابلاغ القبلي؛ حيث تتحد قضايا الطاعة والمعصية والخير والشر عن طريق الوحي والنبوة وهذه اصول ثلاثة: الايمان بوحدانية الله والايان بالنبوة والايان بالمعاد التي هي اصول الدين الاسلامي.

وبعد ذلك تأتي مسألة الاتصاف بالاصول الاخلاقية الحسنة كمرحلة تالية وكذلك الاتصاف بالصفات الحسنة وبعدها تأتي القوانين العملية التي تحفظ في الحقيقة السعادة الحقيقية والتي هي وليدة الاخلاق الحسنة وعامل النمو والرقى في العقائد الحقمة والاصول الاولى.

ذلك انه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتصف انسان بالعفة مع عدم احترامه لأية قيود حول قضايا من قبيل الجنس والسرقة والخيانة واختلاس الأموال والنصب.

وانه لمن المستحيل أن نصف شخصاً بالسخاء وهو يعيش حالة شديدة من حب المال وجمعه واضعاً حقوق الناس في سبيل ذلك تحت قدميه؛ أو ان يتصف بالعبودية لله وهو لا يعبد الله ولا يذكره ولا يؤمن به ولا يؤمن بيوم المعاد.

واذن فان الاخلاق الحسنة تحيا دائماً بسلسلة من الأعمال والأفعال المناسبة وهكذا حال الاخلاق الحسنة بالنسبة للعقائد الاساسية فمثلاً لا يمكن أن نتوقع من انسان يتصف بالتكبر والغرور والترجسية والاعجاب بالذات، أن يكون مؤمناً

باللّه خاضعاً لربوبيته كما لا يمكن أن نتظر من انسان لا يعرف معنى الانصاف في عمره كله ولا يعرف المروءة والرحمة والعطف أن يكون مؤمناً بيوم المعاد والقيامة.

قال عزوجل في خصوص العلاقة بين الاعتقادات الحقّة وبين العمل:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^١.

ان الاعتقاد الطاهر يصعد نحو اللّه عزوجل والعمل الصالح يرفعه يعني ان العمل الصالح هو العامل في صعود العقيدة.

وفي خصوص العلاقة بين العقيدة والعمل قال تبارك وتعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ

اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٢.

(الجدور الأساسية للاسلام في الرؤية القرآنية):

والخلاصة ان الجدور الأصلية للاسلام من خلال الرؤية القرآنية عبارة عن:

١- اصول العقائد الاسلامية وهي الاصول الثلاثة للاسلام والدين الاسلامي: التوحيد، النبوة والمعاد وما يتفرع عن هذه الاصول من قبيل اللوح والقلم والقضاء والقدر والملائكة والعرش والكرسي وخلق السماء والأرض ونظائر ذلك.

٢- الاخلاق الحسنة.

١- الفاطر ٣٥، ١٠.

٢- الروم ٣٠، ١٠.

٣ - الأحكام الشرعية والقوانين العملية وقد بين القرآن الكريم كلياتها العامة وأوكل بيان التفاصيل والجزئيات الى النبي الأكرم ﷺ كما ان النبي ﷺ قد أقام من بعده أئمة من أهل بيته يقومون مقامه في هذه المهمة وهذا ما يستفاد من حديث الثقلين المشهور لدى جميع الفرق الاسلامية والذي بلغ حد التواتر في نقله وأسانيده.

وبالنظر الى هذه المسائل تتضح أكثر فأكثر القضايا الذي ذكرت آنفاً وهي وجوب تعلم قراءة القرآن الكريم وادراك مفاهيم آيات هذا الكتاب السماوي وتطبيقها في واقع الحياة.

والخلاصة ان السعادة والسلامة والنمو والكمال وخير الدنيا والآخرة تكمن في الاتصال بالقرآن الكريم وان الانفصال عن القرآن والنبي ﷺ وأهل البيت  الذين هم من يفسر القرآن يفقد برنامج الحياة معناه وانه من المستحيل أن يبلغ الانسان السعادة الحقيقية من دون التمسك بهذا الحبل المتين ويزوق الثمار الشهية في العبودية لله.

اللهم يا من لا تريد للانسان سوى سعادته وكماله.

وفقنا لمعرفة القرآن ووفقنا للعمل به في جميع مجالات الحياة فان كل ذلك يؤدي بنا الى حبك والشوق الى لقائك.

انا لا أقول كن عاقلاً أو مجنوناً.

إن تعرفت على المحبوب تغرب عن العالم.

ان قصدت المحبوب فابحث عنه.

وان أردت الكثر فابحث في الخرائب.

لأنك تشرب من قدح السكرى اسكر.

لأنك فيك في خيول الرجال فكن رجلاً.
 كن مسلماً أو كافراً الى متى تبقى متلونا.
 اما ان تقيم في الكعبة أو تسكن بيت الأصنام^١.

القرآن الكريم في ضوء الروايات

للامام علي عليه السلام في «نهج البلاغة» حول كتاب الله نظريات غاية في العمق
 والروعة ينبغي الاشارة الى بعض جوانبها.
 يقول عليه السلام:

«وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْصِي لِسَانَهُ وَيَبْتَ لَا تُهْدَمُ
 أَرْكَانُهُ وَعِزُّهُ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ...»^٢.

وقال عليه السلام:

«تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رِبْعُ
 الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ
 فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»^٣.

«إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَخُذُوا
 نَهْجَ الْحَقِّ تَهْتَدُوا وَأَصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا»^٤.

ان الله عزوجل أرسل رسوله ﷺ وأنزل القرآن مصداقاً لرسالته فهو نور
 يضيء للناس الطريق الى السعادة ويهديهم الى شاطئ النجاة.

١ - فروغى بسطامى.

٢ - نهج البلاغة: خطبه ١٣٣؛ بحار الأنوار: ٣٢/٨٩، باب ١، حديث ٣٦.

٣ - نهج البلاغة: خطبه ١٠٩؛ وسائل الشيعة: ١٦٧/٦، باب ١، حديث ٧٦٤٢.

٤ - نهج البلاغة: خطبه ١٦٦؛ بحار الأنوار: ٤٠/٣٢، باب ١، حديث ٢٦.

يقول الامام علي عليه السلام:

«عليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء
النافع والري النافع والعصمة للتمسك والنجاة للمتعلق لا
يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعجب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج
السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق».

وقال عليه السلام:

ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكن اخبركم عنه ألا ان فيه:

- ١ - علم ما يأتي (المستقبل).
- ٢ - والحديث عن الماضي (التاريخ).
- ٣ - ودواء دائكم (علاج جميع الأمراض الاجتماعية).
- ٤ - ونظم ما بينكم^١ (برنامج شامل للحياة الانسانية).

وقال سلام الله عليه:

«... واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه أو
بمّله الأ الحياة، فانه لا يجد في الموت راحة وانما ذلك
بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين
العمياء وسمع للاذن العمياء وري للظمان وفيها الغنى كلّ».

والسلامة كتاب الله ترون به وتسمعون به وينطق بعضه ويشهد بعضه
على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله.

١ - نهج البلاغة: خطبه ١٥٧، بحار الأنوار: ٢٣/٨٩، باب ١، حديث ٢٤.

وقال عليه السلام:

«واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي يغش والهادي الذي لا يضلّ والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة عنه أو نقصان»:

١ - زيادة في هدى.

٢ - أو نقصان من عمى.

واعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى».

فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاءً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا اليه بحبه!

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقُرْآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ وَتَبْيَانٌ مِنَ الْعَمَى وَإِسْتِقَالَةٌ مِنَ الْعَثْرَةِ وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَخْزَانِ وَعِصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَفِيهِ كَمَالٌ دِينِكُمْ فَهَذِهِ صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ لِلْقُرْآنِ وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ»^٢.

وقال رسول الله ﷺ:

ان هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والدرجة العليا والشفاء الاشفى والفضيلة الكبرى والسعادة العظمى من استضاء به نوره الله ومن

١ - نهج البلاغة: خطبه ١٧٥؛ بحار الأنوار: ٢٣/٨٩، باب ١، حديث ٢٤.

٢ - الكافي: ٦٠٠/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ٥٨ بحار الأنوار: ٢٦/٨٩، باب ١، حديث ٢٨.

عقد به اموره عصمه الله ومن تمسك به انقذه الله ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله ومن استشفى به شفاه الله ومن آثره على من سواه هداه الله ومن طلب الهدى في غيره أضله الله ومن جعله شعاره ودثاره اسعده الله.

ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعولّه الذي ينتهي إليه آواه الله الى جنات النعيم والعيش السليم.

فلذلك قال «وهدى» يعني هذا القرآن هدى «وبشرى للمؤمنين» يعني بشارة لهم في الآخرة.

وذلك ان القرآن يأتي يوم القيامة بالرجل الشاحب يقول لربه عزوجل: يا رب هذا أضمأت نهاره واسهرت ليله وقويت في رحمتك طمعه وفسحت في مغفرتك أمله فكن عند ظني فيك وظنه.

يقول الله تعالى: اعطوه الملك بيمينه والخلد بشماله واقرونه بازواجه من الحور العين واكسوا والديه حلة لا يقوم لها الدنيا بما فيها.

فينظر اليها الخلائق فيعظمونها وينظر الى أنفسهما فيعجبان منها فيقولان يا ربنا أتى لنا هذه ولم تبلغها أعمالنا.

فيقول الله عزوجل ومع هذا تاج الكرامة لم ير مثله الراؤون ولم يسمع بمثله السامعون ولم يتفكر بمثله المتفكرون.

فيقال هذا بتعليمكما ولدكما القرآن وبتصيركما اياه بدين الاسلام وبرياضتكما اياه على حب محمد رسول الله وعلي ولي الله صلوات الله عليهما وتفقيهما كما اياه بفقههما لأنهما اللذان لا يقبل الله لأحد عمل الا بولايتهما ومعادة أعدائهما وإن كان ما بين الثرى الى العرش ذهاباً يتصدق به في سبيل الله.

فتلك البشارات التي يُبشرون بها وذلك قوله عزوجل: ﴿بَشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^١
 شيعة محمد وعلي ومن تبعهما من أخلافهم وذرياتهم.^٢

القرآن في مرآة العرفان:

نقرأ في سورة الواقعة المباركة قوله تعالى:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٣.

وانه لمن المؤكد ان المراد من (المطهرون) في الآية الكريمة ليس النظافة من
 والطهر من الخبائث الظاهرية فالناس سواء جميعاً في المس الظاهري للقرآن
 الكريم حيث يمكن للظاهر من الخبث الظاهري وغير الطاهر ان يمس ظاهر
 الكتاب والمصحف الشريف.

ان المراد في الحقيقة من المس ليس بالحاسة اللامسة.

ان المطهّرين هم الطاهرون في عقيدتهم وأرواحهم وعقولهم وأنفسهم وأخلاقهم
 وأعمالهم والمراد من المس هو مس بقوة القلب وقوة الروح وادراك العقل.
 ان المفاهيم العالية الرفيعة للقرآن الكريم والمعاني السماوية الملكوتية
 للكتاب العزيز لا يمكن ادراكها من حيث الابعاد المعنوية الا من لدن المطهّرين
 المنزّهين من كل لوث وخبث باطني.

ان العقل المغلوب والقلب المحجوب لا يملك القدرة على ولوج رحاب القدس:
 وكيف يمكن للمغرور والمنافق والمتكبر والخائن والمهمل في اداء ما يجب

١ - البقرة ٢: ٩٧.

٢ - تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٤٤٩، حديث ٢٩٧؛ بحار الأنوار: ٣١/٨٩؛ باب ١، حديث ٣٤.

٣ - الواقعة ٥٦: ٧٩.

عليه والضعيف في ايمانه أن يلج ساحة القدس؟

هنا محلّ المقربين الصابرين المجاهدين في سبيل الله هنا محل الانسان الذي بلغ الدرجات العلى في سلّم الكمال الانسان الذي انتصر في حربه الكبرى في أعماق نفسه وثبت بوجه الطاغوت.

هنا محل العاشقين الذين انقطعوا الى الله وانصرفوا عمّن سواه فلا شيء في حياتهم سوى الحب الالهي.

هنا محل القلوب الطاهرة التي يستعر فيها الشوق الى لقاء المحبوب.

الذين عرفوا الحق فسلكوا الطريق اليه.

وحقوق الخلق فلم يأخذوا ما لغيرهم ولم يظلموا أحداً تراهم في ذكر دائم يسبحون بحمد ربهم وله يسجدون.

هنا محل الفقراء الى الله وحده يقفون على بابه وحده ويتضرعون في رحابه وقد عنت وجوههم اليه وحده لا شريك له؛ قد اشرفت على قلوبهم الأنوار فسلكوا طريق الأبرار لا يخافون إلا الواحد القهار.

روحي وجسمي لا يسعان شعاع وجهك.

وجمالك الباهر يضيق به العالم.

كيف الطريق الى وصلك.

يا من عجز اللسان عن وصفك.

لم أجد أحداً يدلني عليك لأنك حاضر في كل مكان.

وهؤلاء العشاق يلهجون بذكرك كيف تسع قلوبهم وأرواحهم.

وآهات العاشقين تصاعد من أنفاسهم.

لا يسعها زمان ولا مكان.

وفي طيات القلوب كنوز لو خرجت من القلوب ما وسعتها السماوات.

وكيف لعطار أن يصف عشقه والبيان يعجز عن الوصف^١.
 هنا محل العارفين الذين تطهّرت أرواحهم وقلوبهم من كلّ ما يكدر الصفاء
 ويشوب النقاء، فاذا أنفسهم بيضاء بيضاء.

هنا محل علي عليه السلام والذي روى الشيخ سليمان البلخي في «ينابيع المودة»
 عن ابن عباس ان الامام علي عليه السلام وقد استغرق في ليلة واحدة من حين أقبل
 ظلامها حتّى اسفر صباحها في شرح الباء من بسم الله الى السين وقال: لو شئت
 لأوقرت أربعين بعيراً من شرح بسم الله.
 وقال عليه السلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب^٢.

(خصائص القرآن الكريم):

قال عين القضاة في «التمهيدات»:

ماذا تفهم ايها العزيز من قول الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا

مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٣.

وما تفهم من قول المصطفى صلى الله عليه وآله:

«الْقُرْآنُ غِنَى لَا غِنَى دُونَهُ وَلَا فَقْرَ بَعْدَهُ»^٤.

ويا ايها العزيز لو ان القرآن رفع عن وجهه نقاب الغزة وازاح برقع العظمة

١ - عطار نيشابورى.

٢ - بحار الأنوار: ١٥٧/٤٠، باب ٩٣.

٣ - الحشر: ٥٩: ٢١.

٤ - جامع الأخيار: ٤٠، الفصل الحادى والعشرون فى القرآن؛ وسائل الشيعة: ١/١٦٨، باب ١، حديث

٧٦٤٦؛ بحار الأنوار: ١٧/٨٩، باب ١، حديث ١٨.

لشفى مرضى الفراق من لقاء الله تبارك وتعالى ولانقذهم جميعاً.

اصغ الى المصطفى وهو يقول:

«الْقُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ»^١.

القرآن حبل يتمسك به الطالب فيصل به الى المطلوب وقد انزل القرآن الى هذا العالم في رداء الحروف وكل حرف يشتمل على ألف ألف اشارة للروح حينئذٍ جاء النداء:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

قال: انت فخ الرسالة والدعوة وذلك الذي يكون صيدنا يعرف فحنا وهو لا يطمع بالغرباء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣.

فكل ما كان وما مضى وما سيكون هو في القرآن:

﴿لَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٤.

لكن أين ترى القرآن؟ هيهات هيهات القرآن في آلف الحجب وأنت لست بمحرم ولو كنت في داخل الحجب لتجلى لك المعنى.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١.

١ - الدعوات، راوندی: ١٨٨، حدیث ٥٢١؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٨٩، باب ١٨، حدیث ٤.

٢ - الذاریات ٥١: ٥٥.

٣ - البقرة ٢: ٦.

٤ - الانعام ٦: ٥٩.

القرآن خطاب الذي لا يزال مع احبائه ولا تصيب للغرباء منه الا الحروف والكلمات وهم في ظاهرهم يسمعون وفي باطنهم هم لا يسمعون:

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾^١.

وقد قال الله عزوجل عنهم:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾^٢.

ولو علم الله تبارك ان فيهم خيراً لوهبهم السمع ولكن العناد والتكبر والاستغراق في المادة زادهم غربة وبعداً وحجبهم عن رؤية الحبيب.

ولو بلغ السالك ذلك المقام لعلم ان كل القرآن في نقطة الباء من «بسم الله» أو في كسرة ميم بسم الله ولرأى جميع الكائنات في نقطة الباء من بسم الله. ومثال ذلك لو قلت:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٣.

فكل ما في السماء والأرض معاً ولو قلت كل ما في السماء والأرض واحداً واحداً لامتد بك الزمان الى ما لا نهاية حتى تحصي ذلك عدداً وتجد نفسك في دائرة.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^٤.

فهو محيط بعبده والعبد محاط فمتى ترى نفسك في النقطة التي تحت باء

١- الحجر ١٥: ٩.

٢- الشعراء ٢٦: ٢١٢.

٣- الانفال ٨: ٢٣.

٤- البقرة ٢: ٢٨٤.

٥- فصلت ٤١: ٥٤.

بسم الله وجلالة باء بسم الله كيف تتجلى على المحارم من نقطة الباء؛ لكن حتى الان لست بمحرم ولو رأيت جمال السين بالميم حينئذٍ تعرف ما تكون المحرمة؟

(حقيقة حروف القرآن):

واحسرتاه اذ لا نرى من القرآن الأ سواد الحروف وبياض القرطاس فما دمت في الوجود فانك لا تستطيع أن ترى الأ السواد والبياض فاذا خرجت من الوجود فلا شيئاً في كلام الله وحينئذٍ ينقلك من التلاشي الى الاثبات فاذا بلغت الاثبات حينئذٍ لا ترى السواد وتراه كله بياضاً.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^١.

ايها العزيز! ان القرآن أرسل في آلاف الحجب ولو تجلت جلالة باء بسم الله على العرش أو السماوات والأرض لتصدعن:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٢.

وطوبى لمن أدرك هذه الكلمات:

«كُلُّ حَرْفٍ مِّنَ الْقُرْآنِ فِي اللَّوْحِ أَعْظَمُ مِنْ جَبَلٍ قَافٍ».

اتعرف هذا اللوح ما هو؟! هو اللوح المحفوظ للقلب اتعرف القاف ما هي؟

قاف والقرآن المجيد.

١ - الرعد ١٣ : ٣٩.

٢ - الحشر ٥٩ : ٢١.

(أسماء القرآن في كتاب الله):

والهفتاء! ان في كل عالم من العوالم اسم للقرآن سماه الله لا يسمى به في غيره.
ففي حجاب نقراً القرآن «المجيد»:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾^١.

وفي حجاب آخر «المبين»:

﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾^٢.

وفي حجاب آخر «العظيم»:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^٣.

وفي حجاب آخر «العزیز»:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^٤.

وفي عالم آخر «الكريم»:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^٥.

وفي عالم آخر «الحكيم»:

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^٦.

وان للقرآن آلاف الأسماء لا يسمع بالسمع الظاهر؛ ان كان لك سمع الباطن

لعلمت ان في عالم ﴿حم * عسق﴾ أسماء محجوبة.

١ - البروج ٨٥ : ٢١.

٢ - المائدة ٥ : ١٥.

٣ - الحجر ١٥ : ٨٧.

٤ - فصلت ٤١ : ٤١.

٥ - الواقعة ٥٦ : ٧٧.

٦ - يونس ١٠ : ١.

والهفتاه ألم يقل المصطفى ﷺ:

«اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَاتَّمِسُوا غَرَائِبَهُ».

والتماس غرائب القرآن لا يتأتى من أي أحد فكن في مكتبته:

«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي».

حينئذٍ تصل الى الاستاذ:

«أَدَبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»^٢.

الذي يكتب على لوح قلبك دون واسطة:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ

مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^٣.

وتعرف حينئذٍ في هذه المكتبة ما معنى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾^٤.

آه ايها القرآن! يا كتاب الحق العزيز! يا دستور الحياة يا وجه العلم الجميل

للحق الجميل يا أمر الله يا صحيفة النور ويا كتاب العشق يا سراج الطريق يا

مهرجان الحقيقة.

القرآن، نبع السعادة في الدنيا والآخرة:

القرآن الكريم نبع الرحمة الالهية فلا تبعدوا عنه، ومن لا ينهل من هذا النبع

١ - الشورى ٤٢: ١ - ٢.

٢ - بحار الأنوار: ٣٨٢/٦٨، باب ٩٢، حديث ١٧.

٣ - العلق ٩٦: ٣ - ٥.

٤ - القلم ٦٨: ١.

يعيش ظامئاً عطشاناً يركض باتجاه السراب ويبقى كذلك الى الأبد.

القرآن الكريم صيدلية فيها كل أنواع الدواء والشفاء من كل الأمراض الروحية والقلبية والاخلاقية والاجتماعية والمادية والمعنوية.

القرآن الكريم نبع السعادة في الدنيا والآخرة.

وبالتمسك بهذا الكتاب الكريم تنفتح أبواب البركات في السماوات والأرض.

هذا العمر بسنواته هو رأسمال الانسان فلا تهدروا رؤوس أموالكم في الباطل

والعبث.

فكروا في يوم القيامة وفي عالم البرزخ انكم مسؤولون يومئذ وأنتم تتحملون

مسؤولية ازاء القرآن الكريم.

يومئذ لن تجدوا الى الله والرسول والى الائمة الأطهار الوسيلة فابتغوا الى

القرآن الوسيلة هذا كتاب من الله أنزله عليكم لرقيكم وتكاملكم.

ان افضل حياة يمكن أن يعيشها الانسان هي في ظلال القرآن الوارفة وفي

واديه الظليل المفعم بالسكينة والفضيلة والكمال والجمال والصفاء.

عطاء القرآن الثرة:

فليكن المرء ازاء القرآن تاجراً فطناً متيقظاً لا يبعثر رأسماله في الأباطيل وانما

يشترى به الخلود ويبتاع الفردوس؛ وهذا القرآن الكريم طريق ساطع بالأنوار ان

سلكه الانسان وصل الغاية المنشودة.

جاء في بعض الكتب الاخلاقية شرحاً لحديث الامام الصادق عليه السلام في القرآن

الكريم حيث يشير الامام عليه السلام فيه الى منافع التمسك بالقرآن وانه في يوم القيامة

ثلاثة أنواع من الكتاب:

١ - كتاب النعمة.

٢ - كتاب الحسنات.

٣ - كتاب السيئات.

ولو قورن ديوان النعم بديوان الحسنات فلن يبقى لديوان الحسنات شأن في مقابل فيض النعم الالهية وما تبقى للانسان هو ديوان السيئات وعند ما يطلب المؤمن للحساب حينئذ يتجلى القرآن في أبهى هيئة فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن ثم يصف لله عزوجل ما عاناه المؤمن في الليالي من التلاوات الطويلة وأجرى من الدمع ويضرع الى الله يطلب له الرضا فيأتي الخطاب من الله عزوجل ان افتح كفيك فيفتح كفيه فتملأ من الرضوان والرحمة ثم يأتيه الخطاب من الله عزوجل هذه الجنة لك فاقراً وارق فكلما قرأ آية ارتقى درجة^١.

آداب القراءة:

ليست القراءة عملاً سهلاً وليس المراد من القراءة قراءة الألفاظ بل القصد من القراءة الانسجام مع القرآن في العمل والحركة.
يروى المحدث الخبير الفيض الكاشاني عن الغزالي ان على قارئ القرآن أن يقصد عشرة حقائق في قراءة القرآن.

١ - أن يدرك أنه في معرض لطف الله عزوجل اذ وفق لقراءة كلام الله عزوجل.

١ - المحجة البيضاء: ٢/٢١٦، كتاب آداب تلاوة القرآن.

- ٢- الانتباه الى عظمة المتكلم حيث وجوده المقدس خالق للوجود كله وان الوجود بأسره امام الخالق مجرد نقطة بل ليس حتى بنقطة.
- ٣ - حضور القلب وترك حديث النفس والانتباه الكامل للقرآن ومفاهيمه الملكوتية والسماوية.
- ٤ - التدبر في الآيات وسبر مكنوناتها في كلمات الحبيب.
- ٥ - تفهم وادراك حقائق القرآن بعمق القلب والفؤاد وخاصة احوال الأنبياء والعلماء والصديقين والمؤمنين واحوال المعاندين والمستكبرين المكذبين.
- ٦ - اخلاء العقل والنفس والقلب من كل ما يشوش على فهم الكتاب العزيز.
- ٧ - ان يتصور القارئ ان هذا الكتاب الالهي انما نزل خصيصاً عليه فهو معني تماماً بكل أوامره ونواهييه.
- ٨ - الرقي وهو أن يتصور ان صاحب القرآن هو الذي يكلمه وانه يصغى الى كلام الله لا الى صوته هو وان تغمره عند القراءة حالة من الابتهاال والتضرع.
- ٩ - التأثر وهو تأثر القلب بالحقائق التي ينطق بها القرآن الكريم.
- ١٠ - التبري والمراد من ذلك تجسيد حقيقة انه لا حول ولا قوة الا بالله فان مرّ بآية فيها ثناء على الأبرار وما أعدّ الله عزوجل لهم من النعيم لم يتصور نفسه منهم فان مرّ بآية فيها وعيد وتهديد للمجرمين الأشرار تصور نفسه منهم فيضرع الى الله بأن يتجاوز عنه^١ قد غمره احساس بالفقر والمسكنة.

١ - المحجة البيضاء: ٢٣٤/٢، كتاب آداب تلاوة القرآن، باب ٣.

وحتى الآن نكون قد فرغنا من تفسير وتوضيح ست قضايا حيث كانت الجملة الاولى من الرواية تعرف الى آداب قراءة القرآن وهي:

١ - القراءة.

٢ - الخضوع.

٣ - رقة القلب.

٤ - الحزن والخوف اثناء القراءة.

٥ - حرمة الاستخفاف بالحق.

٦ - الخسائر الفادحة في عدم الانتباه الى القرآن.

ومن الضروري هنا أن نعيد قراءة ما جاء على لسان الصادق عليه السلام في قراءة

القرآن الكريم:

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَخْضَعْ لِلَّهِ وَلَمْ يَرِقْ قَلْبُهُ وَلَمْ يُنْشِئْ حُزْنَاً
وَوَجَلًا فِي سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعَظَمِ شَأْنِ اللَّهِ وَخَسِرَ خُسْرَانًا
مُبِينًا».

«فَقَارَى الْقُرْآنَ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ قَلْبٍ وَبَدَنٍ فَارِغٍ وَمَوْضِعٍ خَالٍ فَإِذَا خَشَعَ لِلَّهِ قَلْبُهُ فَرَمِيَهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»

شروط القراءة:

ان على جميع عباد الله واجباً عيناً هو قراءة سورة الحمد وسورة اخرى عشر مرّات في اليوم واللييلة.

وهذه القراءة ترتبط بالصلاة فان أراد القارئ قراءة القرآن على أساس ارادة الحق فان عليه التزام ثلاث حقائق أشار اليها الامام الصادق عليه السلام:

١ - القلب الخاشع.

٢ - والبدن الفارغ.

٣ - المكان الهادئ تكون فيه الحواس والمشاعر في حالة صفاء تام.

١ - خشوع القلب في القراءة:

وخشوع القلب هو التواضع والتسليم لله عزوجل والخشية والخوف من مقامه ومن عذابه وهذا يتأتى من خلال المعرفة بالحق؛ والمعرفة تحصل عن طريق القرآن وأحاديث العترة الطاهرة.

٢ - الفراغ في القراءة:

ويقصد من فراغ البدن فراغ البال الذي يحصل بالتزام نظام الجسم وطهارة الروح ونقاء النفس فاذا التزم الانسان بذلك كان نشيطاً في عبادته متيقظاً وحينئذ يكون على اهبة الاستعداد في تلقي المفاهيم الحقيقية للقرآن الكريم.

٣ - مكان القراءة:

وينبغي أن يكون مكان القراءة خال من النوازع المادية والشيطانية والغرائزية ولا امكانية لقراءة القرآن كما شاء هو في وجود هذه العوامل وكيف يمكن ذلك إن تنازعت الأصوات انتباه القارئ وشوشت على لبه وقلبه؟!

وأفضل مكان لقراءة القرآن قراءة حقيقية هي المساجد وأفضل المساجد ما خلا من الزخرفة والفيفساء والزينة وكل ما يشتت ذهن القارئ.

ان بعض المساجد من حيث ابهة البناء وما فيها من الفسيفساء وجمال الظاهر وجلاله ما يذكر المرء بأهل الدنيا المستغرقين في المادة.

فاذا من يصلي في هكذا مساجد مستغرق في قلبه البصر بزينتها فلا يخطر ذكر الله في نفسه ولو لحظة واحدة.

ولقد كان المسجد في زمن النبي ﷺ عبارة عن أرض جرداء الأ من الرمال تحيطها جدران من طين وسقف من سعف النخيل وكانت اشعة الشمس تنفذ من خلال السقف.

ومن ذلك المسجد تخرج رجال عظماء ونساء قدموا الى المجتمع الانساني خدمات كبرى.

ومن ذلك المسجد بزغ نور عظيم اضاء الكرة الأرضية ومن ذلك المسجد

انبثق نور الحضارة وسطعت شمسها وفي ذلك المسجد كان المسلمون يديرون شؤونهم السياسية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية.
ومن فوق منبر ذلك المسجد تفجرت ينابيع الحكمة المحمدية والبلاغة العلوية وتدفقت الثقافة الاسلامية.

فرار الشيطان من القلب الخاشع:

وهنا يشير الامام الصادق عليه السلام الى نقطة عملية غاية في الأهمية وهي ان القلب الخاشع لن يكون موضعاً لنفوذ الشيطان فما ان تغمر حالة الخشوع قلب الانسان حتى يصبح طاهراً تماماً من أي نفوذ شيطاني.
وكان بالخشوع شهاب ثاقب يطارد الشيطان الهارب أرأيت كيف تخطف الشهب في السماء انها تطارد الشياطين وهي تحاول النفوذ الى عالم الملكوت فاذا الشهب لها بالمرصاد.

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾!

أجل ان الصلاة سماء معنوية الهية والقلوب الخاشعة كواكب ساطعة واذا بها تنقض انقراض الشهب الثاقبة على الشياطين الماردة تدمرها وتطردها فاذا القلوب طاهرة كسماوات صافية تتلقى أشعة الفيض الرباني.
ان الشيطان يحاول باستمرار النفوذ الى قلب الانسان المصلّي لتثيت توجهه وصرفه عن ذكر الله.

فاذا خشع القلب انطلقت في سمائه الشهب تطارد وتطرد الشياطين ومن أجل ذلك قال الله سبحانه واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن خلال ماسلف من السطور فان صرف قول الانسان «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وحده لا يكفي بل ان الاستعاذة يجب أن تكون عملية يعني تجسيد ذلك في وجود الانسان من حيث الاخلاص والتواضع والخشوع والمعرفة والحب والانكسار والاحساس التام بالفقر والذلة.

وتجلي هذه المعاني جميعاً عملية روحية تجسد حالة الاستعاذة المطلوبة التي تحمي القلب من نفوذ الشيطان في حالة وقوف الانسان للصلاة.

أما اذا لم يتزين الانسان بهذه الحقائق فان قوله بعد تكبيرة الاحرام «اعوذ بالله من الشيطان الرجيم» آلاف المرّات لن يترك أثراً ولن تكون الصلاة والقراءة بمأمن أبداً.

أجل ان الله عزوجل ومن لطفه ورعايته للانسان اعد له وسائل الهداية والكمال في كلّ صعيد وجهزه بكل الأدوات لابعاد الخطر وخاصة في اموره وشؤونه المعنوية.

وما على الانسان الا أن يتزود بالزاد المعنوي ويستضيء بنور الهداية وأن يكون مستعداً دائماً مجهزاً بالسلاح الفاعل لدرء الخطر.

وأن يكون على اتم الاستعداد لتلقي الفيض الالهي الرباني وأن يكون على حذر في الا يدع المجال لنفوذ الشياطين فتستحيل تربة وجوده الى أرض سبخة لا تنبت فيها أشجار المعرفة ولا تنمو فيها حقول العلم وسنابل الحب.

طهر تراكبك من الاملاح واعدّ أرضك لأشعة الشمس.

ان تترك البذور في الأرض البوار لن تنمو حتى حبة واحدة.
والمعجزة التي انصدعت في قلب محمد لم تتخذ لها طريقاً في نفس أبي
جهل.

فلقد قرأ عليه القرآن لكنه أخلد الى الأرض.
وتلقى فيضه دون أن يراه أوبس بني قرن.
وانجذب الى نوره سلمان من بعد فجاء الى يثرب يطوي مسافات الزمان.

تصفية القلب:

ان الفؤاد اذا تعرض لاحتلال عدو الله سواء كان عدواً داخلياً أم عدواً
خارجياً فان الوصول الى الحقيقة يكون مستحيلاً؛ كما يستحيل الحصول على
الملكات الالهية أمر غير ممكن حيث يعاني الانسان الحرمان من تلقي الفيوضات
الربانية خاصة حقائق العبادات وسيما الصلاة وسورة الحمد.

فان اردت حضور احتفال الحبيب وإن أردت أن تنهل من كؤوس الحب
الالهي فانك ستجد الطريق الى ساحة القدس في بيت الحبيب يكمن في قلبك؛
فلا تدع عدوه يحتله ولكي تصبح شاهيناً عليك أن تحلق لتصطاد الوصل.
واطلب منه أن يصون قلبك من الوقوع في براثن الشيطان وتدخل طاغوت
واحتلال ابليس انه سبحانه خير ناصر ومعين.

واعلم ان قلب الآدمي له نافذتان نافذة تنفتح على العالم الروحاني ونافذة
تنفتح على العالم الجسماني حتى اذا تلقى من الروح اقتسمه في ذلك العالم.
لأن كل عرق في الجسم يتصل بالقلب فان لم يصل فيض الروح بعضو منه

بسبب وجود سدّ في ذلك العرق يمنع مجرى الفيض فينقطع فيض الروح في رمشة عين وتنقطع الحياة.

والقلب يوصف بصفات الروح يعني الحياة والعلم والسمع والبصر وغيرها من الصفات وله القابلية لو خضع للتصفية طبق قانون الطريقة؛ أن يكون محل استواء الروحانية فاذا تركّى وتصفّى وتحرك نحو الكمال فانه يصبح محل ظهور وتجلي الصفات الالهية مع ان كل الكائنات لا تستطيع أن تكون نوراً من أنوار ولا صفة من صفات الحق في مقام ضياء التجلي.

حواس القلب:

اعلم ان القلب صورة وهو يدعى المضغة وهو قطعة لحم صنوبرية الشكل تقع في اعلى اليسار من القفص الصدري وهو موجود في سائر الحيوانات وهو نفس روحانية حيث العقل نتيجة ذلك وهو خاص بالانسان.

والقلب صلاح وفساد؛ صلاحه في صفائه وفساده في كدورته وصفاء القلب في سلامة الحواس وكدورته في مرضه واختلال حواسه.

ذلك ان القلب خمس حواس كما هو القالب فكما ان صلاح الجسم في سلامة حواسه حتى يمكن ادراك عالم الشهادة بهذه الحواس الخمس كذلك القلب له خمس حواس فاذا كانت هذه الحواس سليمة تمكن من ادراك عالم الغيب من الملكوتيات والروحانيات.

كما ان للقلب عين يبصر بها المشاهدات الغيبية وله اذن يستمع بها الى كلام أهل الغيب وكلام الحق؛ وشامة يشم بها روائح الغيب وذائقة يذوق بها المحبة وحلاوة الايمان وطعم العرفان وكذلك حاسة اللمس في القالب (الجسم)

موجودة في جميع الأعضاء ينتفع في تحسس الملموسات فان العقل على هذا النهج فانه يتلمس المعقولات بواسطة العقل.

واذن فانه اذا كانت حواس القلب غير سليمة فان فسادها في ذلك واذا اختلت حواس القلب كان نصيبه نار الجحيم.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
أَيْفَقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^١.

اطوار القلب:

وللقلب أطوار مختلفة:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^٢.

الطور الأول: ويقال للقلب الصدر وهو معدن جوهر الاسلام.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^٣.

وعند ما يكون محروماً من نور الاسلام أصبح معدناً للظلم والكفر:

﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٤.

١- الاعراف: ٧: ١٧٩.

٢- نوح: ٧١: ١٤.

٣- الزمر: ٣٩: ٢٢.

٤- النحل: ١٦: ١٠٦.

وكان محلاً لوساوس الشيطان وتسويلات النفس:

﴿يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^١.

والصدر متصل بالقلب ولا طريق الى القلب ذلك ان القلب خزانة الحق والسماء صفة فلا طريق ولا سبيل في النفوذ الى داخله كما قال سبحانه:

﴿وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^٢.

الطور الثاني: ويطلق عليه القلب وهو معدن الايمان:

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^٣.

ومحل نور العقل:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^٤.

الطور الثالث: الشغاف وهو معدن العشق والحب والشفقة على الخلق:

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^٥.

ومحبة الخلق لا تنفذ من الشغاف.

الطور الرابع: الفؤاد وهو معدن المشاهدة ومحل الرؤية:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^٦.

١ - الناس :١١٤ :٥.

٢ - الحجر :١٥ :١٧.

٣ - المجادلة :٥٨ :٢٢.

٤ - الحج :٢٢ :٤٦.

٥ - يوسف :١٢ :٣٠.

٦ - النجم :٥٣ :١١.

الطور الخامس: وهو قبة القلب حيث معدن المحبة وحضرة العزة وبخاصة الحب الصادق الذي لا يترك مجالاً لحب المخلوق.

الطور السادس: ويقال له «السويداء» وهو معدن المكاشفات الغيبية والعلوم اللدنية وينبوع الحكمة وكنز الاسرار الالهية ومحل علم الأسماء:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^١.

وتتجلى فيه أنواع العلوم التي منها الملائكة.

الطور السابع: ويقال له مهجة القلب وفي ذلك معدن أنوار تجليات الصفات الالهية.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^٢.

وهذا هو سرّ الكرامة الذي لم يحظ به أي مخلوق من المخلوقات.

واذن فان السلامة كلها وصفاء القلب من الآفات ممن:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^٣.

وفي ذلك الخلوص وجميع الاطوار تنهض على خط العبودية وكل طور بخاصية معناه مودع في ذلك وفق الأمر وطريق المتابعة؛ كما ان القالب له سبعة أعضاء وهي التي تدعى المساجد السبعة (ما يلامس الأرض من الأعضاء عند السجود) حيث قال ﷺ:

«أمرتُ أن أسجدَ على سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ».

١ - البقرة ٢: ٣١.

٢ - الاسراء ١٧: ٧٠.

٣ - البقرة ٢: ١٠.

فان القلب يسجد على سبعة أطوار والسجدة الاولى أن يعرض بوجهه عن جميع المخلوقات والمتع الدنيوية واللذائذ الاخروية والاعراض عنها ولا يطلب الأوجه الحق^١.

سدّ الأبواب على دخول الشيطان:

الشيطان والعوامل المعادية لله والانسانية تسلك مختلف الطرق للنفوذ داخل الانسان وتدمير ثرواته المعنوية والروحية والقضاء على جميع قواه وقدراته وقابلياته الالهية وتحطيم كرامته والانحطاط بقيمته الى ما دون الصفر؛ حيث الانسان هو السبب في فتح هذه الطريق أمام الشيطان في حين يمكنه بتوفيق المحبوب والتزام القواعد الالهية سدّ الطرق على نفوذ الأعداء الالاء.

حقاً ينبغي أن لا يهدأ لكم بال من شرور وقتن الأعداء ووسائل وأدوات الأعداء ولا تغفلوا عن وسوسة الشيطان فان الخطر يتهدد الانسان دائماً مادام حياً. ويتعين على الانسان ان يلتزم جانب الحيطة والحذر لدفع الخطر والدفاع عن حريم الانسان ضد اختطار ابليس والشيطان ولا يوجد ملاذ ولا معاذ إلا بالله العلي العظيم.

ولا يتم ذلك للانسان بقوله: «أعوذ بالله» فلا حسن لها اذا اقتصرت على الكلام ولاكمال؛ لأن الاستعاذة الحقيقية هي في التعرف على جميع الطرق التي يمكن من خلالها للشيطان من الدخول الى حريم الانسان لأنه من خلال التعرف على هذه المنافذ يمكن للانسان أن يتصدى لدخول الشيطان بسدّ ذلك الطريق.

١- عوالى اللاكى: ٣٥/٢، حديث ٨٧، مراحل السالكين: ٦١.

طرق نفوذ الشيطان:

يقول أرباب المجاهدة، الذين انتزعوا زمام العنان من هذا المكار، انه يدخل من عشرة أبواب:

الأول: من باب الحرص وهذا الباب يمكن سدّه بالقناعة حيث يمكن وضع الآية الكريمة نصب العين:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^١.

الثاني: من باب طول الأمل وهذا الباب يمكن سدّه بالخوف من الموت واللجوء الى الآية الكريمة:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^٢.

الثالث: من باب طلب الراحة والنعمة والركون الى حياة الدعة وهذا الباب يغلق بزوال النعم وذكر الحساب وشدته والوعيد:

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^٣.

أي دعهم غارقين في اللذائذ الحيوانية والأوهام إلى أن يأتي يوم الحساب الذي سيكون عسيراً عليهم.

١- هود ١١:٦.

٢- آل عمران ٣: ١٨٥.

٣- الحجر ١٥:٣.

الرابع: من باب العجب بالنفس (الترجسية) وهذا الباب يمكن اغلاقه بالخوف من سوء المصير ويتم بالاستعانة بالآيات الكريمة:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ *
فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ *
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾!

الخامس: من باب الاستخفاف بإخوته في الدين والانسانية ويسد هذا الباب بالمبادرة الى الاقلاع عن هذه الممارسة واحترام الآخرين.

السادس: من باب الحسد ويغلق هذا الباب ويسد بالرضا برزق الله والاستعانة بالآيات الكريمة:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ *
وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ
بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ *

وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا يَتَكُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ
 ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ *
 وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِبِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ
 * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ *
 حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
 فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي
 الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ^١!

السابع: من باب الرياء وحب الشهرة والسمعة وهذا الباب يغلق ويسد
 بالاخلاص في الأعمال والاستعانة بالآية الكريمة:

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^٢.

الثامن: من باب البخل ويسد هذا الباب بالاذعان لهذه الحقيقة
 وهي ان كل: ما في أيدي الناس ينفد.
 والاقرار بالآية الكريمة:

﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^٣.

التاسع: التكبر ويسد هذا الباب بسواعد التواضع وبحكم:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^٤.

١ - الزخرف ٤٣: ٣٢ - ٣٩.

٢ - الكهف ١٨: ١١٠.

٣ - النحل ١٦: ٩٦.

٤ - الحجرات ٤٩: ١٣.

وان كرامة الانسان الحقيقية ومجده تكمن في تقواه.

العاشر: من باب وطريق الطمع ويسدّ هذا الباب ويغلق هذا الطريق بقطع الطمع عمّا في أيدي الناس واللجوء الى خزائن الكرم التي لا تعرف نهاية ولا حدوداً حيث الله سبحانه يفتح أبواب خزائنه بوجه المتقين:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^١

فعلى الانسان الواعي والبصير سواء في أثناء تلاوته القرآن الكريم أو في غير وقت التلاوة ان يبادر الى التعرف على الثغرات التي يمكن من خلالها للشيطان ان يتسلل وينفذ في قلب الانسان؛ وذلك بتذكر الآيات القرآنية والاستعانة بها من خلال وعيها وتشرّبها على سدّ الأبواب واغلاق الطرق المنافذ التي يعبر من خلالها الشيطان.

فوائد الاستعاذة

وهذه قضية باتت معروفة للجميع ان الشيطان ومنذ ظهور الانسان قعد في طريقه هو واعوانه ليضل الانسان عن طريق الحق ويقوده الى ظلمات الجهل بعيداً عن نور الحقائق.

فهو وأعوانه وأنصاره لا يألون جهداً في سبيل اغواء الانسان وتضليله ولا يخطر في باله يوماً ان يصلح الانسان ناهيك عن محبته بل يستعز حقداً وكراهية وحسداً إلى يوم القيامة.

والانسان في مهب الخطر الدائم ما لم يلوذ بالحق ويستعيذ بالله من شرور

الشيطان.

ومن أجل ذلك أرسل الله سبحانه أنبياءه ورسله وقبض لعباده أوليائه يحذرونهم من اغواء الشيطان واللجوء الى حصن الرحمن.
وحصن الله حصن حصين ومكان آمن أمين لا ينفذ اليه الشيطان وما حصنه سبحانه سوى الايمان والتقوى والمعرفة والحياء والعفة والعبادة والرياضة ومجاهدة النفس.

فاذا قلت «أعوذ بالله» وصدق عملك قولك فقد عدت بمعاذ ولجأت الى قلعة حصينة وملاذ آمن في حرز حريز من كيد ابليس.
وقد روي عن ابن عباس انه قال: اجلال القرآن قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ومفتاحه «بسم الله الرحمن الرحيم».

الاستعاذة في كلام العارفين:

يقول العارفون:

ان هذه الحقيقة يعني الاستعاذة - طبعاً حقيقتها العملية - وسيلة المقربين وملجأ وملاذ الهارين وسرور وفرح المحبين وامثال أوامر رب العالمين وهذا لا تيسر إلا بالعمل وقد قال الشهيد الثاني في كتابه «اسرار الصلاة» والفيض الكاشاني رحمه الله في رسالة «ترجمة الصلاة»: ان الاستعاذة في الحقيقة ظهور اللسان ونفض بيت الفؤاد من غبار الاغيار وانها صفاء القلب.

ومثل من استعاذ بلسانه وباله متعلق بغير الحق تموج في قلبه الافكار النفسانية والوساوس الشيطانية مثل من كان واقفاً في باب قلعة وامامه تنين يريد افتراسه

فيقول:

اعوذ بهذه القلعة من شرّ التين! ثم لا يدخل القلعة محتمياً بها ومتحصناً
بجدرانها وهكذا استعاذة هو مثله مجرد لقلقة لسان لا تسمن ولا تغني من جوع
ولا تحمي الانسان من شرّ الشيطان.

حقيقة الاستعاذة:

أولاً: انها امثال لأمر الحق سبحانه وتعالى وذلك القدر من المبالغة في طوايا
الكلمات النورانية للقرآن الكريم الذي يقع في جهة التسييح هو بنفس الترتيب
في باب الاستعاذة فمثلاً ان كلمات التسييح على أربع أنواع:

مصدر: مثل «سُبْحَانَ رَبِّكَ».

ماضى: مثل «سَبَّحَ لِلَّهِ».

مضارع: مثل «يُسَبِّحُ لِلَّهِ».

امر: مثل «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ».

كذلك الاستعاذة فهي على أربعة وجوه:

مصدر: مثل «مَعَاذَ اللَّهِ».

ماضى: مثل «عُدْتُ بِرَبِّي».

مضارع: مثل «أَعُوذُ بِاللَّهِ».

امر: مثل «اسْتَعِذْ بِاللَّهِ».

ثانياً ان الاستعاذة سبب المعرفة بحقيقتين الاذعان والاعتراف بعجز النفس

والاقرار بعزّ الرب وقدرته المطلقة.

ثالثاً: ان الاستعاذة انتساب وتشابه بالاحبة وجهة ذلك ان محبي الحق جلّ وعلا من الأنبياء الكرام مثل نوح ويوسف وموسى وسيدنا المصطفى وكذلك عباد الله المقربين من قبيل امرأة عمران والسيدة مريم البتول قد استعاذوا بالله. وقد ظهرت هذه الحقيقة في جميع شؤونهم فكانوا في مأمن وأمان من خطر شياطين الانس والجن.

وكان نتيجة استعاذتهم ان نوحاً رسى في شاطئ السلامة وحظي سيدنا موسى بن عمران بالكرامة وفاز سيدنا يوسف بالعصمة وامرأة عمران بالاجابة والسيدة مريم بالشارة وابراهيم عليه السلام بالخلة والمحبة وسيدنا محمد المصطفى ﷺ بالشفاعة.

رابعاً: ان الاستعاذة دعاء مقرون بالاجابة كما قالت ام مريم:

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ﴾^١.

فاقرنت استعاذتها بالاجابة:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾^٢.

خامساً: ان الاستعاذة سبب في السلامة من الآفات كما ان المخلوق يلجأ الى مخلوق وكما لو ان أحد الناس لاذ بصاحب قدرة فان صاحب القدرة ومن حميته أن يحميه والله عزوجل أولى أن يحمي من استعاذ به من ويمنح الامان لمن لاذ به.

فلو اخلص المرء بالاستعاذة فانه بمأمن من العدو كان من كان.

١ - آل عمران ٣: ٣٦.

٢ - آل عمران ٣: ٣٧.

وهنا يجب الانتباه الى مسألة غاية في الاهمية وهي كما ان التشرف بالحضور عند علية القوم والاعيان يستلزم تشريفات خاصة من قبيل ارتداء حلة فاخرة واستحصال اذن خاص باللقاء وتحديد موعد للزيارة فكذلك الحضور عند رب الأرباب وملك الملوك يحتاج وافاضة الى طهارة اللباس والجسم طهارة الروح والنفس والقلب ومن أجل ذلك جاء الأمر انه عند قراءة القرآن وبخاصة قراءة سورة الحمد في الصلاة:

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^١

يعني تطهير القلب والروح والنفس بنور الحقائق الالهية والتحرر من أسر الشيطان وبلوغ مقام المعرفة الشامخ حتى اذا بلغت ذلك سلكت الطريق الى بلاطه من دون أن يعترض طريقك انس ولا جان؛ لأن الطريق مفتوح أمام احباب السلطان ومعارفه؛ أو لم تقرأ في كتاب الله قوله تعالى يخاطب الشيطان:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ

الْغَاوِينَ﴾^٢

أما الآخرين الذين تلوثوا بأنواع المعاصي وارتكبوا الأعمال القبيحة واتصفوا بالصفات الرذيلة، فليست لهم الجرأة في الدخول الى رحابه إلا اذا جاءوا بدافع الاخلاص وعادوا الى ربهم رب الملائكة والناس وأظهروا العجز عنده وطلبوا منه سبحانه أن يفك عنهم سلاسل الشيطان وقيوده وتابوا من أعمالهم السيئة واتصفوا بالاخلاق الحسنة الحميدة.

١- النحل :١٦ :٩٨.

٢- الحجر :١٥ :٤٢.

الشیطان في كلام صدر المتألهين:

يقول الفيلسوف الكبير صدر المتألهين:

ومع ان الشيطان أقسم أمام آدم وحواء انه ناصح لهما ويريد لهما الخير كما ورد في قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^١.

ولكنه كان يسعى ويحاول ويبدل قصارى جهده في اخراجه من الجنة. اذن في حق اولاده وفي مقابل قسمه في ان يضلهم ويغويهم كما جاء في قوله تعالى على لسانه:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٢.

ماذا يتوجب فعله؟

الاستعاذة، لدى الفخر الرازي:

يقول الفخر الرازي في تفسيره أعوذ بالله هي سير وسلوك من الخلق الى الخالق ومن الممكن الى الواجب وكلمة « أعوذ » اشارة الى العجز والفقر والاحتياج التام وكلمة « بالله » اقرار واعتراف بأمرين: الأول: ان الله قادر على اعطاء كل الخيرات ودفع جميع الآفات.

والآخر: انه لا يتصف بهذه أحد الا الله واذن فانه لا يقضي الحاجات ولا يعطي الخيرات الا الله سبحانه؛ والمصلي بمشاهدة هذه الحال يفر من نفسه ومما

١- الاعراف ٧: ٢١.

٢- ص ٣٨: ٨٢.

سوى الله وهنا يرى سر:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^١.

هذه الآية وينكشف له معناها.

وفي الاستعاذة وقول المصلي أعوذ بالله اذعان بالعجز المطلق وانعدام القدرة والاعتراف التام بقدرة الله المطلقة وهذا الأمر يدل على انه لا طريق في التقرب الى الله سبحانه إلا باظهار العجز والانكسار وقد قيل من يرى نفسه لا يرى ربه. أو ان العجب بالنفس يمنع من رؤية الله سبحانه وهناك نقطة أخرى هي بما ان قلب الانسان متعلق بغير الله واللسان ملوث بذكر غير الله وبموجب قوله تعالى:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٢.

فانه يتعين على المصلي وقبل الشروع والبدء بالصلاة وقراءة الحمد أن يطهر قلبه ولسانه بقوله أعوذ بالله لكي تتجلى حقيقة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^٣.

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

«أغلقوا أبواب المعصية بالأستعاذة وأفتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»^٤.

١ - الذاريات ٥١: ٥٠.

٢ - الواقعة ٥٦: ٧٩.

٣ - العنكبوت ٢٩: ٤٥.

٤ - الدعوات، الراوندي: ٥٢، حديث ١٣٠؛ بحار الأنوار: ٢١٦/٨٩، باب ٢٦، حديث ٢٤.

الاستعاذة في كلام الكاشفي:

ان المستعذ إما أن يكون عامياً أو عارفاً واستعاذة العوام هي في اللجوء إلى الله واستعاذة العارف هي الاستعاذة من حال الشيطان واللجوء الى الحق، يعني الاستعاذة صفة العجب بالنفس التي اطاحت بابليس وادت الى طرده من اوج القرب والعزة الى حضيض البعد والذلة؛ واللجوء الى ذي الجلال من ظن الكمال وتصوّر حسن الجمال الذي هو نتيجة الانانية والانانية سبب الاتصاف بصفات الشيطان.

واستعاذة الصادقين احتراز عن مشاهدة الخلق وتطهير القلب من كل مانع يحول دون الاستغراق في شهود الحق.

والشيطان يوهم المحجوبين ممن لا بصيرة لهم ويمنعهم من الانطلاق الى فضاء المعنى قد شغلهم بالنقوش والألوان المختلفة والتعينات المتنوعة التي تظهر على اللوح بواسطة التجليات المتكثرة وبالتالي يحول دون رؤيتهم لنور الوحدة الذي هو في نظر أصحاب البصيرة يمحو كل نقش ولون وكثرة موهومة. وهؤلاء يبقون في غفلتهم حتى يلوذوا بالاستعاذة الحقيقية فلا ينظروا إلا اليه ولا يروا الأجمال وحدته.

والسالك كلما وصل الى مقام تجلّي الأفعال، وأصبح له ذلك مشهوداً في أنه لا فعل يظهر في صور المظاهر إلا من خلال الفاعل الحقيقي:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾!

والاستعاذة في هذه المرتبة من الأفعال التي هي من آثار التجليات الجلالية

كالعقاب والانتقام وبالافعال التي هي نتائج التجليات الجمالية كالغفو والاكرام.
 فاذا بلغ العبد مرتبة التجليات الصفاتية اتضح له انه لا صفة ثابتة للكمال الا
 بالحق ونسبة ذلك الى اهل العالم عارياً.
 وتكون الاستعاذة من الصفات القهرية مثل السخط والغضب بالصفات اللطيفة
 مثل الرضا والرحمة.

واللجوء من مقتضيات اسم المضل الذي هو ابليس وأشياعه مظاهر آثاره الى
 اسم الهادي الذي هو الأنبياء وأتباعهم مطارح الأنوار.
 فاذا ارتقى العبد الى ما هو اسمى من هذه الدرجة تلقى اشراقات تجليات
 الذات ورأى حقيقة:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^١!

حق اليقين وعند ما سوف يستعيد من الذات بالذات وقد استعاذ سيدنا محمد
 المصطفى ﷺ بهذا المراتب الثلاثة في وقت تجلّى أنوار توحيد الأفعال:

«أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ».

وفي وقت طلوع أشعة توحيد الصفات:

«أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ».

وعند ظهور عظمة الذات:

«أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»^٢.

١ - القصص ٢٨ : ٨٨

٢ - الكافي: ٤٦٩/٣، باب صلاة فاطمة عليها السلام، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٤١٧/٩٥، باب ٣٠.

واللمعة في هذه النقطة الثالثة لم تتألق إلا في زمن سيدنا محمد ﷺ لأن كل مستعبد من كبار الأنبياء انما كان يستعبد بالله من غير الله ولكن سيدنا محمد خاتم الأنبياء استعاذ بالله منه لأنه لا وجود لغيره سبحانه.

ومن أجل ذلك أفاض الله سبحانه على رسوله الفضائل التي لا تحصى والخصائص التي لا تنتهي فكان منها انه ارسله رحمة للعالمين:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^١

وقرن طاعته سبحانه بطاعة رسوله ﷺ:

﴿مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٢

فمن بايعه فكأنما بايع الله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^٣

وعزته من عزة الله عزوجل:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾^٤

ورضاه سبحانه في رضا رسوله:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^٥

والاستجابة للرسول ﷺ استجابة لله سبحانه:

١ - الانبياء ٢١: ١٠٧.

٢ - النساء ٤: ٨٠.

٣ - الفتح ٤٨: ١٠.

٤ - المنافقون ٦٣: ٨.

٥ - التوبة ٩: ٦٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾^١.

وفي محبته واتباعه ﷺ محبة الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٢.

ثم إن الله سبحانه مجّد رسوله فقال له:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣.

وكلّ هذا من نتائج وآثار الاستعاذة الحقيقية للعبد وتحقّقه بالحقائق الملكوتية والسماوية.

واذن فالاستعاذة باللسان لا تكفي وانما المطلوب من العبد أن يلوذ حقاً بمولاه ويطهر قلبه من كلّ شيء سواه اذ لا قوة لغيره الا به واذا لا حول ولا قوة الا بالله.

ويا رب خذ من لوح الفؤاد كل هم سوى هم حبك.

وكل عشق اقطع جذوره الا جذور عشقك.

وامحو من قلبي كل فكر ومن صفحة ذهني الا خيال وجهك والتفكر فيك.

وتجلّى يا رب واجعل القلوب العاشقة تتطلع الى نورك حتى يوم الحشر.

الشیطان اخطر الموانع في الوصول الى الكمال:

ان مسألة خطر الشيطان وأعدائه من الجن والانس وفي داخل الانسان وخارجه من المسائل التي طالما ذكر بها القرآن الكريم على نحو واسع وكان

١ - الانفال ٨ : ٢٤.

٢ - آل عمران ٣ : ٣١.

٣ - آل عمران ٣ : ٣١.

من ديدن الأنبياء الالهيين والأئمة المعصومين والأولياء الربانيين تذكير الانسان وتحذيره من شرور الشيطان وأعوانه.

(سبب العداوة مع الشيطان):

يقول أحد العرفاء:

ويا أخي انهض لمحاربة الشيطان وقهره لخصلتين:

الاولى: لأنه عدو دائم العداوة فلا تطمع في مصالحته يوماً فلا تبق عليه ولا تغفل عنه؛ لأنه لا يقنع إلا بهلاكك فاقض عليه قبل أن يقضي عليك وتأمل في هاتين الآيتين:

قال الله عزوجل:

﴿الْمَ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^١.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^٢.

وهذا غاية التحذير من الشيطان.

والثانية: انما خلق لعداوتك^٣ فهو مستمر في محاربة الانسان فانظر لحالك يا

١ - يس ٣٦: ٦٠.

٢ - الفاطر ٣٥: ٦.

٣ - طبعاً لا يبعد في الأصل مخلوق خلق أساساً لمعاداة الانسان لأن الكائنات انما خلقت للنفع، وهذه المخلوقات بانتخابها واراندها اختارت طريق الشر وقد اتخذ الشيطان موقفاً عدائياً للانسان بانتخابه الخاطي، والشيطان يتخذ هذا الموقف ضد كل ما هو الهوي.

أخي ولا تغفل.

ونقطة أخرى وهي انك تعبد الله وفعلك هذا ضد حرفة الشيطان وخلاف عمله واذن فأنت تغيظه باستمرار وهو يقصد هلاكك على الدوام فهو يسعى في ذلك معه أصحابه من الكفار وأهل الضلال والراغبون في الدنيا؛ فكيف لا يعاديك وأنت تغيظه؟

فهو عدو للناس عموماً وأنت يا من اجتهدت في العبادة لله خصوصاً قد اهمته ما تعمل فهو يتقوى بانصاره عليك وفي وجودك منافذ له يتفد منها اذا غفلت فاحذر لا يتفد اليك من نفسك وهواك وصدق من قال:

انك مشغول والشيطان فارغ وهو يراك وأنت لا تراه وأنت تنساه وهو لا ينساك وله من نفسك نصير عليك.

فان قيل: بأي شيء نحارب الشيطان وكيف نقهره؟

فاعلم ان أهل العرفان لهم في هذا الأمر طريقان:

فقال بعضهم:

ان التدبير في دفع الشيطان هو في الاستعانة بالله وحده لا غير، لأن الشيطان كلب والله سبحانه جعله كلباً لو اشتغلت بمحاربه واهتممت بأمره ضيع عليك وقتك ووضع نفسك موضع العذاب وظفر بك وآذاك واذن فان الرجوع الى الله فهو الذي يدفعه عنك.

وقال بعض آخر:

ان التدبير هو في طريق المجاهدة والنهوض لمحاربه ودفعه يقول العارف: وما خطر بيالي الجمع بين الطريقتين اللجوء الى الله عزوجل اتقاء لشور الشيطان

كما أمر سبحانه.

فاذا غلبنا علمنا ان ذلك ابتلاء من الله عزوجل، ليعلم صدقنا في المجاهدة وقوتنا في دفعه وصبرنا في محاربه؛ كما لو ان الكفار تسلطوا علينا مع ان الله قادر على دفعهم ودفع شرورهم عنا لكنه يريد أن يعرف مدى صبرنا وجهادنا تمحيصاً لنا وقد قال سبحانه:

﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^١.

وقال عزوجل أيضاً:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^٢.

(كيفية محاربة الشيطان):

ومحاربة الشيطان كما يقول العلماء في ثلاثة أشياء:

١ - التعرف على مكائده وحيله فمتى عرف الانسان مكائده عدوه وخططه تمكن من مواجهته ودحره، فهو كاللص إن عرف ان حارس البيت يقظان فرّ وهرب.

٢ - الاستخفاف بما يدعو اليه وعدم التعلق فهو كالكلب ان اوليته اهتماماً نبه وضج في النباح وان اعرضت عنه سكت وانقطع نباحه.

٣ - ذكر الله باستمرار في القلب واللسان وقد قال رسول الله ﷺ:

١ - آل عمران ٣: ١٤٠.

٢ - آل عمران ٣: ١٤٢.

«إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَنْبِ الشَّيْطَانِ كَالْأَكِلَةِ فِي جَنْبِ ابْنِ
آدَمَ»^١.

ووساوس الشيطان كثيرة وهي بمنزلة السهام يطلقها على ابن آدم فان عرفها
حاد عنها ولم يصبه سهم من سهامه.

(خواطر الانسان):

اما اصل الخواطر فاعلم ان الحق تعالى وتقدس قد وكل ملكاً بقلب الآدمي
يدعو الى الخير دائماً ويقال له ملهم ودعوته الهام.

وفي مقابل ذلك شيطان يدعو الآدمي الى الشر ويقال وساوس ودعوته
وسوسة. والملهم لا يدعو الانسان الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر.
وهذان الداعيان واقفان على القلب مشغولان بدعويتهما كل بدعوته وان
القلب مطلع عن ذلك وقد جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ قال: ان ابن آدم
اذا ولد قرن الله عزوجل بقلبه ملكاً وشيطاناً فالشيطان ينام عند اذنيه الأيسر
والملك عند اذنيه الأيمن وهما لا ينفكان عن دعوته.

واذن فان الميل الى الشهوات مودع في تكوين الانسان على أي كيفية كانت
ويقال لذلك الهوى وهذه دعوات ثلاث واعلم اذن ان الخواطر اثر يحدث في
قلب العبد وهو يعمل بذلك أو يجتنب وظهور الحقيقة من الله عزوجل في قلب
عبده لكن ذلك على أربعة أقسام:

فأول ما يقذف الله في قلب الانسان ابتداءً يقال له الخاطر ثم يظهر القسم

الثاني في القلب فما وافق الطبع الآدمي يقال له النفس واليه ينسب. والقسم الاخر ما يظهر اثر دعوة الملهم وينسب لهما يقال له الالهام وقسم يأتي اثر دعوة الشيطان وينسب لهما يقال له الوسوسة وخاطر الشيطان. اذن فاعلم ان الخاطر يكون من قبل الله ابتداءً ربما يكون خيراً بكرمه وحجة يلزمها وربما كان صدمة يغلظ من امتحانه.

والخاطر الذي هو من قبل الملهم أو غير الملهم الأ بالخير هو ناصح ومرشد والآفانه من قبل الشيطان لانه لا يدعو الآ الى الشر. وعند ما يدعو الى الخير فهو مكر واستدراج والخاطر الذي هو من هوى النفس يكون شراً وتمتعاً وقد قال بعض السلف انه هوى كذلك يدعو الى الخير ومقصوده الشر، كذلك الشيطان.

هذه أنواع الخواطر واذن فانت محتاج بعد معرفة هذه الفصول الثلاثة لأن تحصل ما لا بد منه من المقصود.

أولاً الفرق بين خاطر الخير والشر عموماً وثانياً الفرق بين خاطر الشر الابتدائي أو الشيطاني أو الهوائي وكل واحد من ذلك دفع للآخر ثالثاً الفرق بين خاطر الخير الابتدائي أو الالهامي أو الشيطاني أو الهوائي لكي تتبع الالهي أو من الملهم والحذر مما هو من الشيطان.

أما الفصل الأول: فقد قال علماؤنا ان أردت أن تعرف خاطر الخير من خاطر الشر والفرق بينهما ففي ذلك موازين أربعة:

الأول أن تعرضه على ميزان الشرع فان وافق الشرع كان خيراً وان خالف الشرع كان شراً أو كان فيه رخصة او شبهة.

فاذا لم يتضح بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان وافق أعمال السلف الصالح فان بذلك اقتداء بالصالحين كان خيراً وان خالف ذلك الصالحين كان شراً. فان لم يتضح بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فان نفرت منه النفس نفرة طبع لا نفرة خوف فاعلم انه خاطر خير واذا مالت اليه النفس ميلاً طبعياً وجليلاً لا ميلاً تقريباً من الله وترغيباً بثوابه فاعلم انه خاطر شرّ فان النفس لأمانة بالسوء لا تميل بأصل طبعها الى الخير.

فبأحد من هذه الموازين تعلم خاطر الخير من خاطر الشر والله ولي الهداية. أما الفصل الثاني: فاذا اردت ان تعرف الفرق بين خاطر الشر الذي من قبل الشيطان وخاطر الشر من قبل هوى النفس أو من الله فانظر ابتداءً ثلاثة وجوه: إن كنت مصمماً على حال واحدة فاعلم بأنه من الله أو من هوى النفس وإن كنت متردداً ومضطرباً فاعلم انه من الشيطان.

وقال بعض العارفين:

ان مثل هوى النفس مثل النمر لا يرد الا بالقمع والقهر البالغ أو هو مثل الخارجي يحارب تدبناً لا يعود أبداً حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذئب إن طردته من جانب عاد من جانب آخر.

الثاني اذا كان الخاطر بعد ارتكاب الذنب فاعلم انه من الحق تعالى عقوبة واهانة وذلاً من شؤم الذنب وقد جاء في القرآن المجيد قوله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

وإن لم يأت بعد ارتكاب الذنب بل كان ابتداءً فاعلم انه من الشيطان وهذا

حكم الأكثر الذي هو في أكثر الأحوال؛ ذلك ان الشيطان ان لم يبتدئ بالدعوة الى الشر فهو على كل حال يطلب الاغواء والاضلال.

الثالث هو انه اذا لم يضعف هذا الخاطر بذكر الله أو يقل أو يزول فاعلم انه من هوى النفس واذا ضعف بذكر الله تعالى فاعلم انه من الشيطان كما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^١.

بان الشيطان ينام في القلب فان ذكر العبد ربه خنس وإن غفل العبد عن ذكر الله تعالى وسوس.

اما الفصل الثالث: إن أردت الفرق بين الخاطر الذي هو من الله وانه من الملك فكذلك انظر اليه من ثلاثة وجوه:

إن كان قوياً مصمماً فهو من الله تعالى وإن كان متردداً فهو من الملك فهو بمنزلة الناصح يأتيك من كل جانب ويقبل عليك وينصحك ويعرض عليك النصيحة على أمل أن تستجيب لنصحه وترغب في الخير.

الثاني اذا كان بعد طاعة واجتهاد منك فهو من الله تعالى حيث قال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٢.

وإن كان هذا الخاطر ابتداءً فهو من الملك في أغلب الأحوال.

الثالث: اذا كان هذا الخاطر في اصول وأعمال الباطن فهو من الله تعالى واذا كان في فروع وأعمال الظاهر فهو من الملك في أكثر الأحوال لأن الملك لا

١- الناس: ١١٤: ٤.

٢- العنكبوت: ٢٩: ٦٩.

سبيل له بمعرفة باطن العبد كما قال اغلب العلماء.

اما الخير الذي من الشيطان فانه يكون من الاستدراج.

وقد قال أحد العرفاء رحمه الله انظر الى نفسك في الفعل الذي لاح بخاطرك فان رأيتها بنشاط لا بخوف وخشية وبتعجيل لا بمهل وبسلامة لا بخوف من التفكير بالعاقبة لا بالبصيرة والتفكير؛ فاعلم ان ذلك الخاطر من الشيطان.

وإن رأيت نفسك بضد ذلك مع خشية وخوف لا مع نشاط وبالتأني لا مع تعجيل ومع خوف لا مع أمن وتفكر بالعاقبة لا مع عدم تبصر بالعاقبة فاعلم انه من الله تعالى أو من الملك.

اذن فاعلم ان النشاط الذي يظهر من الآدمي في العمل الذي لا تكون فيه بصيرة أو لا في ذكر ثوابه يكون مذموماً.

لكن التأني حسن مستحب الأ في بعض المواضع المعدودة التي وردت في الحديث النبوي الشريف، تزويج البكر اذا بلغت وتعجيل المعونة عند القدرة وتجهيز الميت والاقامة عند النزول والتوبة عند ارتكاب الذنب (فلا يجوز التأني في هذه الموارد).

أما الخوف فواجب لجميع الأعمال لكي تؤدى بالشكل الصحيح أو خوف قبول الحق.

أما التبصر بالعاقبة فلكي يرى حتى يتيقن بأن ذلك خير ورشد ورجاء ثواب العاقبة وهذه جملة الفصول الثلاثة يتعين عليك معرفتها في باب الخواطر فأحسن الظن وانظرها جيداً فانها من الاسرار اللطيفة الشريفة.

(حيل الشيطان ومكره):

واعلم ان كيد الشيطان ومكره بالآدمي في باب الطاعة هو من وجوه سبعة:
الأوّل انه ينهائ عن اداء الطاعة بكل طريق يستطيع؛ فان نظر الله اليه والهمه
ورده الشيطان، فاعلم ان عليه أن يقول أنا محتاج الى الطاعة لأنه لا بد من أخذ
الزاد الى الآخرة من هذه الدنيا الفانية.

فاذا علم جاء هذه المرّة بالتسويق ليخدعه قائلاً له أجل اداء طاعتك الى
لحظة اخرى أو الى غدٍ أو الى وقت آخر.

فان عصمه الله تعالى وقال ان اجلت عمل اليوم الى غد فمن أين لي بضمان الغد؟
لأن لكل يوم طاعة وعمل مستقل؛ فان يشس الشيطان من هذا الكيد قال
للآدمي: عجل بسرعة على ذلك لتفرغ منه بسرعة.

فان الهمه الله وقال: العمل القليل التام أفضل من العمل الكثير الناقص؛ جاءه
وحثه على اتمام العمل للرياء أمام الناس فاذا الهمه الله تعالى قال للشيطان وما
جدوى وفائدة أن يراني الخلق؛ ان رؤية الله لي تكفي.

فان فشل في ذلك جاءه من العجب بالنفس وقال للآدمي: انك لعظيم كبير
وانك لعبد له من الشأن ماله! فاذا عصمه الله تعالى ووقفه قال: ان كان ذلك
كذلك فان المنّة لله والحمد لله وان هذا توفيق قد خصني الله به بفضل منه والأ
فلا فضل ولا قيمة لعملي في جنب ما أنعم به عليّ وفي جنب ذنوبي.

فان رأى الشيطان ذلك منه جاءه من وجه آخر وهذا هو السادس وحيلته
أعظم لا يكشفها إلا رجل قد وعى وسعى وهو قوله للآدمي لم هذه المجاهدة
والاجتهاد والله مطلع على العباد يعرف أعمالهم.

والشيطان يأتيه من هذا الطريق نوعاً من الرياء في العمل ان يظهره على الملأ فان عصم الله عبده ورد عنه الشيطان قال له: يا ملعون! تأتيني هذه المرّة من وجه الاخلاص في العمل لتفسده وأنا العبد وهو الرب إن شاء أظهر عملي وإن شاء اخفاه إن شاء رفعتني بين الناس وان شاء حقّرتني وما شأنني بالناس وما خوفني منهم وهم لا حول لهم وليس أمري بيدهم.

فان يش من هذا الطريق جاء الشيطان للآدمي من وجه سابع وقال له: لا حاجة لك بهذا العمل لأن الله لو خلقك سعيداً فان تركك العمل لا يضرّك وإن كان الله خلقك شقيماً فادأوك للعمل لا يفيدك ولا يجديك نفعاً! فان علم الله عبده قال العبد للشيطان: أنا عبد الله وهو ربّي وعلى العبد أن يمثّل أمر سيّده وربّه.

«يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ»!

وفي كل الأحوال العمل يجديني ويفيدني ان كنت سعيداً ازددت ثواباً وإن كنت شقيماً نعوذ بالله فلا ألوم نفسي مع ان الله لا يجزي أبداً من اطاعه بالعقوبة وأن اذهب الى النار وأنا مطيع احب اليّ من أن اذهب الى الجنّة وأنا عاصر؛ فكيف ووعده سبحانه الحق وقوله الصدق وقد وعد عباده بالثواب إن آمنوا به وحده وأطاعوه.

فان فعل ذلك استحق الجنّة وفاز بالسعادة والرضوان في دار الجنان. فاعلم يا أخي واصح وفقك الله بفضله ومته وقد بشر الله عزوجل عباده بوعدته الحق وقوله الصدق على لسان السعداء من عباده اذ قالوا: «الحمد لله الذي صدقنا وعده».

فاستعن يا أخي بالله العزيز الرحيم من الشيطان الرجيم^١.

نقطة أخرى في الاستعاذة:

قال أحد المفسرين في تفسير (صاحب تفسير فاتحة الكتاب) الاستعاذة مصباح ظهور المرادات ومفتاح حصول البركات والسعادات زاد السالكين في طريق الحق وأمان قافلة اليقظة والانتباه وتبشير صبح الهداية الذي يظهر من افق التلقين الالهي حتى تنتفي ظلمة النفس الخادعة والأهواء التي هي عمال الشيطان. وهي لمعة الشهاب الثاقب للمحبة التي تألف في سماء الايمان لكي تحرق العفريت الذي يشعلة الافتراق في نار الاحتراق.

نقاب أسرار الغيرة الى جمال حال قارئ القرآن المحتجب من نظرة الحسد ووسوسة الشيطان والمحفوظ.

وهي صيقل نور المكاشفة الى مرآة الصدر تحفظها من صدأ الغفلة لتكون قابلة لانعكاس أنوار الكلام.

وهي الأمان في الطريق للسالك في منهاج القراءة من كمانن النزعات النفسانية والهمزات الشيطانية التي تؤدي الى دار الأمان والفوز والفلاح.

وهي الحارس الذي يطرد لصوص الوسوس من حريم خزانة جواهر المعرفة وهو القلب.

والاستعاذة فرسان الميدان في مواجهة حزب الشيطان فلنصغ مرة أخرى الى سيدنا وامامنا الصادق عليه السلام وهو يقول:

«فَقَارَى الْقُرْآنَ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ قَلْبٍ وَبَدَنٍ فَارِغٍ
وَمَوْضِعٍ خَالٍ فَإِذَا خَشَعَ لِلَّهِ قَلْبُهُ فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»

فاذا خشع القلب فرّ الشيطان وهرب.

أجل ان القلب والروح والنفس اذا استظلت في ظلال الحقائق ولجأت الى
الحصن الحصين للمحبوب عجز الشيطان من النفوذ اليها واندمر ودكى هارباً
حيث العبد حينئذ لا يرى سوى المعشوق ولا ينشد سوى المعشوق.

«وَإِذَا تَفَرَّغَ نَفْسُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ تَجَرَّدَ قَلْبُهُ لِلْقِرَاءَةِ فَلَا يَعْتَرِضُهُ عَارِضٌ
فِيَحْرِمُهُ بَرَكَاتَ نُورِ الْقُرْآنِ وَفَوَائِدَهُ»

فراغ الخاطر في قراءة القرآن:

وفائدة فراغ الخاطر والبال في وقت القراءة ان القلب يصل حالة من الصفاء بحيث يتلقى نور الكلام الالهي وينعم المرء حينئذ بالبركة الالهية والنعمة الربانية. ويحدث ارتباط وثيق بين القارئ والقرآن حيث يتلقى النور الذي يضيء له طريق الحياة ويقوده في النهاية الى الجنة. اما اذا تشوش البال وشوشت عليه الهواجس المادية فانه سيعيش الحرمان من بركات التلاوة واشراقات الآيات الالهية.

«وَإِذَا اتَّخَذَ مَجْلِسًا خَالِيًا وَاعْتَزَلَ الْخَلْقَ بَعْدَ أَنْ أَتَى بِالْخَصَلَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ
(خُضُوعِ الْقَلْبِ وَفَرَاغِ الْبَدَنِ) ١ اسْتَأْنَسَ رُوحُهُ وَسِرَّهُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَوَجَدَ
حَلَاوَةَ مُخَاطَبَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ وَعَلِمَ لُطْفَهُ بِهِمْ وَمَقَامَ
اِخْتِصَاصِهِ لَهُمْ بِقُنُونِ كَرَامَاتِهِ وَبِدَائِعِ إِشَارَاتِهِ»

أجل عند ما يخلو الانسان بنفسه ويصفو قلبه بالخشوع ويفرغ بدنه من
النزعات والتجاذبات وينعم بالطمأنينة التامة هنالك تستأنس الروح والأعماق بالله
عزوجل وتستشعر لذائد الكلام الالهي من خلال الخطاب القرآني الذي يخترق
الحجب ليحدث الاتصال التام مع العباد الصالحين.

وحينئذٍ تنعم الروح بفيض اللطف الرباني ويتلقى القلب اشارات لا يفهم
مغزاها ورموزها سوى الانسان الصالح الذي وصل من خلال الخشوع وفراغ البال
الى مستوى راق من الوعي.

وتلقى الروح في كل لحظة موجة من بحر الامكان.

وتنتفتح في كل لحظة كنوز من الروح.

وفي كل لحظة تجني النفس فاكهة من بساتين المعرفة تفوح بالشذى.

وفي كل لحظة يتجلى موسى بن عمران عند الطور يتلقى الألواح.

«فَإِذَا شَرِبَ كَأْساً مِنْ هَذَا الْمَشْرَبِ حِينَئِذٍ لَا يَخْتَارُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ حَالاً
وَلَا عَلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقْتاً بَلْ يُؤَثِّرُهُ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ لِأَنَّ فِيهِ
الْمُنَاجَاةَ مَعَ الرَّبِّ بِلَا وَسِطَةٍ»

وعند ما يرتشف كأساً من هذا النبع فانه يجد من اللذة الخالدة ما يسعد بها
وسيكون وقت القراءة من أسعد أوقاته ومن أجمل الطاعات التي يؤديها الانسان
لأنه لا لذة اسمى من المناجاة مع الرب من دون واسطة.

«فَانظُرْ كَيْفَ تَقْرَأُ كِتَابَ رَبِّكَ وَمَنْشُورَ وَلَايَتِكَ وَكَيْفَ تُجِيبُ أَوْامِرَهُ
وَنَوَاهِيَهُ، وَكَيْفَ تَمْتَثِلُ حُدُودَهُ؟ فَإِنَّهُ كِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ فَارْتَلَّهُ تَرْتِيلاً»

الترتيل في القراءة:

ويحدث عند خشوع القلب وطمأنينة الروح وسكينة الجسم، اتصال وثيق
بالقرآن أثناء التلاوة، فاذا القارئ الخاشع يقف على أهمية الاستعداد التام لتلقي
الأوامر الالهية والنواهي الربانية.

فيمثل لسان حاله يقول: سمعاً وطاعة لله رب العالمين؛ فان القرآن كتاب
عزيز لا يمكن للباطل أن ينفذ فيه فهو في حصن مكنون قد أنزل من لدن
الحكيم الحميد.

والترتيل هو أفضل صور القراءة لكتاب الله اذ انه يحدث من الاصداء ما يؤثر
في القلب الخاشع ويشرق على النفس الانسانية فيضيئها وعلى الروح، فتنعم
بالنور والاشراق.

«وَقِفْ عِنْدَ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَتَفَكَّرْ فِي أَمْثَالِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَاحْذَرْ مِنْ إِقَامَتِكَ
حُرُوفَهُ فِي إِضَاعَةِ حُدُودِهِ»

التفكير عند قراءة القرآن:

وليتوقف القارئ عند وعود القرآن ووعيده غائصاً في طواياه من الامثال
والمواعظ يسبر مكنونها ويستكشف ما في أعماقها من العبر.
ويتعين على القارئ وهو يرتل القرآن أن لا يتوقف عند الألفاظ ومخارج
الحروف بل يعبر ذلك الى الفوص في مكنون القرآن ملتزماً بحدوده.
لهذا ورد في الأثر كم قارئ للقرآن والقرآن يلعنه!
لأن القارئ يجب أن يتحلى بالشروط والمواصفات التي تجعل منه قارئاً
يتلقى القرآن كما أنزله الله عزوجل هادياً ونوراً.
وجاء في الحديث النبوي الشريف قال ﷺ: قال الله تبارك وتعالى من شغل
بقراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين!

القرآن، سفرة الاحسان:

روى عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ انه قال:

١ - جامع الأخبار: ٤٨، الفصل الثالث والعشرون.

٢ - وسائل الشيعة: ١٩٢/٦، حديث ٧٧٠٦، باب ١١.

«القرآن مآدبة الله فتعلموا مآدبته ما استطعتم، ان هذا القرآن هو جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع فاقرووه فان الله عزوجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما اني لا أقول: ألم حرف واحد ولكن الف ولام وميم ثلاثون حسنة»^١.

أجل هذا هو القرآن الكريم وهذه شروط قراءة كتاب الله العزيز وهذا هو مجدد قارئ القرآن.

الانسان عند ما يتصل بالقرآن الكريم، فانه يحصل جرأء ذلك على قلب سليم وخلق حسن قويم وعمل صالح كريم قد نجا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة الأليم. والانسان الذي يتعلق بقراءة القرآن حق قرائته انسان نبيل وفرد جليل وكائن نوراني يشع قلبه بأنوار الحقيقة.

الآن وقد عرفنا من هذا الحديث عظمة القرآن ومجده وتعرفنا على شروط قرائته لا بد لنا عند قراءة القرآن في الصلاة ان نؤدي ذلك في قراءة سورة الحمد وسورة اخرى.

فليكن القلب حاضرأ خاشعأ والبدن مطمئنأ ساكنأ ولنرتل القرآن ترتيلاً. لكي تسطع أنوار القرآن على القلوب وتتلقى الاشراق والوعي لأن الغفلة حرمان من الرحمة الالهية.

ونجد من الضروري هنا ان نتحدث عن سورة الحمد وأن نسير جانباً من أغوارها وجزءاً من مكنونها حتى يدرك المصلّي أمام من يقف أثناء اداء الصلاة وقراءة سورة الحمد.

١ - مستدرك الوسائل: ٢٥٨/٤، حديث ٤٦٣٨، باب ١٠.

سورة الحمد، مركز البركات الالهية:

بعد أن يقف المصلي لاقامة الصلاة عليه أن يدرك ان قيامه اشارة الى عالم العقل وقرائته اشارة الى عالم النفس الكلية الالهية حيث تنزلها الأول العقل. ولأن مرتبة النفس الكلية الالهية تصح تعبيراً عن عالم الأرواح فهي المرتبة الثانية للعقل ومن هذه الناحية سميت سورة الحمد التي يشار اليها بالسبع المثاني. ولأن جميع الخيرات مندرجة فيها وجميع البركات منضوية تحتها، تسمى بالكلية الالهية واذن فالحمد الذي هو اشارة اليها أيضاً هو جوامع الخير والحكمة.

وكما روى الفضل بن شاذان عن الامام علي بن موسى الرضا في بيان العلة في وجوب قراءة سورة الحمد المباركة في الصلاة:

«أمر الناس بالقراءة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً وليكون محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل وانما بدأ بالحمد دون سائر السور لأنه ليس شيء من القرآن والكلام من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك ان قوله عزوجل الحمد لله انما هو اداء لما أوجب الله عزوجل لي خلقه من الشكر»^١.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

فالشكر كله لله سبحانه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

توحيد له وتحميد و اقرار بانه الخالق والمالك هو ولا أحد غيره.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه التي غمر بها خلقه وعباده.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

اقرار لله عزوجل بيوم البعث والحساب والجزاء في يوم القيامة واليوم الآخرة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

الرغبة والتقرب الى الله تعالى والاخلاص في العمل له وحده لا لغيره.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

طلب الزيادة في التوفيق من الله سبحانه لأجل العبادة واستدامة النعمة على

عبده وطلب العون.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

طلب الرشد والاعتصام بحبله وطلب الزيادة في معرفته سبحانه.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

التأكيد في السؤال والرغبة وذكر ما تقدم من نعم الله على أوليائه.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

الاستعاذة به سبحانه من طائفة المعاندين والكافرين والمستخفين بأوامره عزوجل.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

طلب العصمة من الله في الآ يكونوا من الضالين والجهال.

وعلى هذا فان في سورة الحمد أنواع الخير والحكمة من أمر الدنيا والآخرة

قد جمعت للانسان.

أجل اذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلينتبه به الى من يحمد ويمجّد ولمن يثبت الربوبية ومن ذا الذي يستحق الثناء والحمد الأهو.

وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فليتذكر ان كل ما سواه انما هو منه سبحانه قد غمرت رحمته الولي والعدو وقد وسعت رحمته الدنيا والآخرة مغيث الضعفاء.

وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فليتصور انه قد حشر الى يوم القيامة في رحابه سبحانه ماثلاً أمام محكمة العدل يشاهد الثواب والعقاب.

وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فليع هذا المعنى وهو ان كل أعضائه وجوارحه توحيده في العبودية وتستمده العون للتوفيق في عبادته.

وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ القى نظرة دقيقة على جميع الأنبياء والأولياء والأئمة وقارن الفاصلة بينهم وبينه، ثم يسعى لأن يبلغ مرتبتهم.

وإذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نظر الى أعماق الكفار والضالين والزنادقة والملحدين والمشركين والى أعمالهم القبيحة؛ على نحو يخشى أن يتلى بضلاتهم ويصير إلى مصيرهم.

وليكن هذا الخوف له ملازماً يمنعه من الوقوع ما وقعوا فيه من الضلال والانحراف والهلاك.

تفسير آخر لسورة الحمد:

جاء في أحد التفاسير ان جميع كلماتها (سورة الحمد) تعود إلى شيئين:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: والحمد حمدان: حمد على الصفات الالهية والآخر على نعمائه وآلائه اللامتناهية، أو أحدهما بواسطة والآخر بلا واسطة.

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: العالم عالمان: الأول عالم البقاء والآخر عالم الفناء أو العالم العلوي والآخر العالم السفلي.

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾: الرحمة رحمتان: احدهما في الدنيا والاخرى في العقبى أو أحدهما تشمل جميع الخلق والاخرى خاصة بالمؤمنين.

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾: والجزاء جزاءان: أحدهما على الوفاء والآخر على الرجاء أو أحدهما في الرجعة الصغرى والاخرى في الرجعة الكبرى.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: العبادة عبادتان احدهما مخفية والاخرى ظاهرة أو الاولى عبادة العبيد والاخرى عبادة الأحرار.

﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: الاستعانة على مرحلتين: الاولى على آداب الأمر والاخرى على تحمل القضايا، الاولى الاستعانة في أمور الدنيا والاخرى طلب العون في يوم النشور والجزاء.

﴿ اهْدِنَا ﴾: الهداية على مرتبتين: الاولى في بدنها والثانية في الثبات عليها، أو الهداية الصورية والهداية المعنوية.

﴿ الصِّرَاطِ ﴾: وهو صراطان: أحدهما طريق أهل السعادة والثاني طريق أرباب الشقاء، الأول طريق مستوي والثاني طريق منحني.

﴿ الْمُسْتَقِيمِ ﴾: الطريق المستقيم طريقان: أحدهما طريق أصحاب الشريعة والآخر طريق أرباب الطريقة أو الأول طريق قصير مليء بالعمران والآخر طريق

طويل في أرض قفر.

﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: السعداء هم فريقان: أحدهما الأنبياء والآخِر الأولياء أو أحدهما سيد الأبرار والآخِر آل بيت الأطهار.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: الأشقياء وهم فرقان: اليهود والنصارى أو العلماء المعاندين والآخِر المقلدون الذين لا دين لهم. ولأن كلَّ ينقسم الى قسمين فقد اطلق على سورة الحمد السبع المثاني.

أسباب ذكر بسم الله في مطلق سور القرآن:

ذهب المفسرون والحكماء والعرفاء وعلى أساس المعارف الاسلامية الى وجوه عديدة حول ذكر بسم الله في بدء كل سورة من سور القرآن الكريم وقد جمعها مؤلف كتاب «انيس الليل» في خمسة عشر مورد هي:

الأول: انه ربما لما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ عن الله عزوجل في حديث قدسي:

«كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أُبْتَرٌ»^١.

الثاني: ربما من جهة توفير أسباب استجابة الدعاء لما جاء في الحديث الشريف:

«لَا يُرَدُّ دُعَاءٌ أَوْلَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^٢.

الثالث: ربما من جهة الرد على أهل الشرك والضلال اذ كانوا لا يدؤون أمراً

١ - تفسير الامام العسكرى عليه السلام: ٢٥، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٢٤٢/٨٩، باب ٢٩، حديث ٤٩.

٢ - مجموعة ورام: ٣٢/١، باب الاسماء والكنى والألقاب؛ بحار الأنوار: ٣١٣/٩٠، باب ١٧، حديث

١٧؛ مستدرك الوسائل: ٣٠٤/٥، باب ١٦، حديث ٥٩٥٩.

لهم الأ بذكر آلهتهم مثل قولهم بسم اللات وبسم العزى، فكان على أهل التوحيد أن يتدؤوا أمورهم باسم الواحد الأحد.

الرابع: انه ربما جهة كون البسملة الاقرب الى اسم الله الأعظم وقد جاء عن الامام الرضا عليه السلام ان «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب ما تكون من اسم الأعظم من سواد العين الى يابضها^١.

الخامس: ربما لمعالجة الأمراض باطن الانسان فيكون متهيئاً للمخاطبة في حرم قدس الكبرياء والعظمة.

اغتسل بالدموع كما يقول أهل الطريقة.
وتطهر أولاً ومن ثم ترى ذلك الطاهر^٢.

السادس: لعلّه من جهة كون هذا الاسم المبارك ملاذاً وأماناً للعبد الغارق في الذنوب المردود من رحاب الحق تعالى.

السابع: لعله من أجل انه ببركة هذا الاسم نجاة من تسعة عشر لساناً من نار جهنم كما ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أراد ينجيه الله تعالى من السنة نار جهنم وهي تسعة عشر أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفاً من علامات الرحمة يُرد بها تسعة عشر لساناً من النار^٣.

الثامن: لعل ذلك من جهة كون البسملة وقول هذه الكلمة غفران للقائل من

١ - بحار الأنوار: ٢٣٣/٨٩، باب ٢٩، حديث ١٥.

٢ - حافظ.

٣ - مستدرک الوسائل: ٣٨٧/٤، باب ٤٥، حديث ٤٩٨٩. من أراد أن ينجيه الله من الزبانية «التسعة عشر» فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها جنةً من واحد منهم.

قبائح الأعمال وخطوة في مناجاة شديد المحال كما وضحنا آنفاً.

التاسع: ولعلها اشارة الى انه لما كان الله سبحانه أرسل كتاب رحمته وفي عنوانه بسم الله كي يطلب عبده المؤمن: اللهم بهذه الحقيقة التي بدأت بها كتابك فعاملنا في الدنيا بالرحمة الرحمانية وفي الآخرة بالرحمة الرحيمية التي هي المغفرة والعفو.

وقد ورد ان عارفاً أوصى أن يكتب على كفه بسم الله حتى كان يوم القيامة وقام جميع الناس من قبورهم قال: اللهم انك أرسلت لنا كتاباً وفي عنوانه بسم الله فالיום بهذا العنوان عاملنا.

العاشر: لعله من جهة أخذ البراءة والخلاص قبل الدخول في حريم المناجاة وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ انه ما من معلم علم صبيّاً قول بسم الله الأ كتب الله تعالى براءة من النار للصبي ووالديه ومعلمه!

قال الصادق عليه السلام: اذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم.

وهنا يجب الالتفات الى هذه النقطة وهي وجوب الحفاظ على هذه البراءة في الدنيا لأنه محاصر بأنواع الخطر ولا تدفع الاخطار إلا بالعبادة والتقوى.

الحادي عشر: لعلها اشارة الى انه كيف لا يرحم من دعا نفسه الرحمن الرحيم بالسائل الواقف على بابه.

الثاني عشر: لعله اشارة الى ما قاله نوح عليه السلام لما ركب السفينة فنجى ببركة

بسم الله هو ومن معه اذ لما ركب قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾^١.
 الثالث عشر: ان الابتداء بهذه الجملة والكلمة المباركة هو من جهة التعظيم
 الالهي؛ فقد جاء في بعض التفاسير حديث مروى عن النبي ﷺ انه وجد ورقة
 مكتوب فيها بسم الله فرفعها من الأرض جعل في الصديقين وخفف العذاب عن
 أبويه وإن كانا مشركين^٢.

وقد روي ان بشر الحافي كان سكراناً بالدنيا وانه مرّ ذات يوم في الطريق
 فوجد ورقة مكتوب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» فاشتري عطراً فعطرها به
 ووضعها في مكان حريز احتراماً واجلالاً فرأى العالم في تلك الليلة في عالم
 المنام هاتفاً يقول لبشر:

«طَيِّبْتَ إِسْمَنَا طَيِّبْنَاكَ وَبَجَلْتَ إِسْمَنَا فَبَجَلْنَاكَ وَطَهَّرْتَ إِسْمَنَا
 فَطَهَّرْنَاكَ فَبِعِزَّتِي لَأَطِيبَنَّ إِسْمَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٣.

فقال العالم في نفسه انما بشر رجل فاسق فما هذا الذي رأيت فتوضأ وصلّى
 ونام فرأى ذات المنام فانتبه من النوم وتوضأ وصلّى ثم نام فرأى نفس ذلك
 المنام فتيقن مما رأى فلما أصبح انطلق الى داره وطرق عليه الباب فقيل له:
 هو مشغول مع ندمائه وأصحابه وكان بشر في مجلس لهو ولعب وطرب.
 فقال العالم: قولوا له: ان معي كتاب له.

فقيل للعالم: يقول بشر: ممن؟

١- هود ١١: ٤١.

٢- التفسير الكبير: فخر رازي: ١٧١/١.

٣- التفسير الكبير: فخر رازي: ١٣/٢٢ با اختلاف ضئيل.

فقال العالم: من الله!

فلما قيل ذلك لبشر هب باكياً وظن انما هو العقاب والعذاب وقال لأصحابه وندمائه: والله لا تروني في مجلس معصية بعد هذا اليوم أبداً وتاب بشر على يد الامام موسى بن جعفر عليه السلام.

الرابع عشر: انه ربما من جهة كون هذه الكلمة المباركة ختماً بالعبودية على العبد حتى لا يطمع به عدوه وهو الشيطان وقد جاء في الحديث عن الرضا عليه السلام:
 «بِسْمِ اللَّهِ أَيْ أَسَمْتُ نَفْسِي بِسِمَةِ مَنْ سَمَاتِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْعُبُودِيَّةُ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ، مَا السِّمَّةُ قَالَ الْعَلَامَةُ»!

وفي هذا الحديث الشريف استذكار للعبودية فيرى في نفسه علامات العبودية لله فيجتنب الانانية مسلماً أمره الى الله منقاداً إلى أمره ونهيه.
 الخامس عشر: لعلّه اشارة الى انه يجب على العبد أن يكون ذاكراً لله في جميع الأحوال والأفعال والأقوال كما جاء في وصايا يعقوب لابنه يوسف:
 «يا بني لا تنس ذكر الله على كل حال».

فعلى السالك إلى الله ألا ينسى الحق تعالى في جميع أحواله سواء في حال النعمة والرخاء أو في حال النعمة والبلاء في حال الراحة أو في حال الشدة.

معنى و فائدة بسم الله:

ان توضيح وتفسير بسم الله وجميع آيات القرآن الكريم على حقيقتها انما هو عمل النبي صلى الله عليه وآله والأنمة الأطهار من آله عليهم السلام وما نورد هنا انما هو تصور لهذه

المفاهيم السماوية الرفيعة وذلك من خلال الاستفادة من آثارهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ان بسم الله الرحمن الرحيم مفهوم أعظم وأوسع من الخليفة وقد جاء في الروايات عن ابن عباس ان علياً أمير المؤمنين اصطحبه ذات ليلة الى البرية خارج الكوفة وراح يفسر له سورة الحمد فأمضى الليل كله في تفسير باء بسم الرحمن الرحيم^١.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ان كل كتب الله وصحفه في القرآن وان كل ما في القرآن موجود في بسم الله وكل ما في بسم الله موجود في الباء وأنا نقطة الباء^٢.

وقال بعضهم ان ذكر لفظ العزة حتى اذا جرى على لسان العبد علم انه سيقول اسم الحبيب.

فما لم يصفى القلب وينقي الروح ليتمكنه تصفية الباطن ويطهر الصدر من اللوث التعلق بغيره ولسانه بماء الاستغفار من ذكر الاغيار فان ذكر اسم الحق غاية الوقاحة وذروة الجرأة.

لو غسلت فمي ألف مرة بماء الورد.

فان ذكر اسمك أوج الوقاحة.

وقالوا ان الحق سبحانه في أعلى مراتب التنزه والتقدس وان العبد الترابي في أدنى درجات التعلق والتدنس ولا يمكنه أن يرقى بلا واسطة من حضيض الرذائل الى أوج العزة والجلال.

١ - مشارق انوار اليقين: ٢١؛ ينابيع المودة: ٦٩.

٢ - ينابيع المودة: ٦٩.

واذن فان تلفظ الاسم يصنع العلاقة والرابطة كي يخطو بتلفظ هذه الكلمة على طريق قابلية مشاهدة أنوار الاسم العظيم تشرق عليه من كوة الغيب.

معنى حروف بسم الله:

جاء عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»:

الباء: بهاء الله والسين: سناء الله والميم: مجد الله.

وروى بعضهم: الميم ملك الله والله اله كل شيء^١.

وقال بعضهم: الباء اشارة الى البصير والسين اشارة الى السميع والميم اشارة الى المحصي.

فان الله عزوجل بصير يرى أعمال عباده؛ سميع يعرف المخلص من المرائي ويحصي أنفاس دهرهم فلا تغيب عنه لحظة لتنعم بحضور اللقاء.

والخلاصة انه في كل حرف من هذه الحروف عدة معاني تتدرج فيه ففي الباء بلاء الحب يصبر عليه العبد وفي السين سره يشغل العبد بسلوك طريق الفناء حتى تحين المشاهدة ورؤية جمال وجهه الباقي.

الاسم الأعظم:

قال بعض العرفاء ان «الله» هو الاسم الأعظم ذلك انه أساس التوحيد؛ لأن من قال: لا اله إلا الرحمن بدل لا إله إلا الله لم يخرج من الكفر الى الاسلام من أن الرحمن من صفاته الخاصة سبحانه وفلاح العباد متعلق بذكر هذا الاسم (الله).

١ - الكافي: ١/١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها، حديث ١؛ تفسير العياشي: ١/٢٢، حديث ١٨؛

التوحيد: ٢٣٠، باب ٣١، حديث ٣.

﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١.

ومناقب كمال الذاكرين هي بشرف هذا الاسم.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾^٢.

فيه البداية والنهاية والشروع والاختتام.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^٣.

ف«لا اله الا الله» تأكيد لمعاهد الوحدة و «محمد رسول الله» تشييد قواعد

الرسالة و «علي ولي الله» تأييد عوائد الولاية.

وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم فقال عليه السلام:

«ان قولك الله أعظم اسم من أسماء الله عزوجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن

يسمى به غير الله ولن يسم به مخلوق».

وسئل أحد العرفاء عن الاسم الأعظم، فقال:

دلوني على الاسم الأصغر فأدلكم على الاسم الأعظم وأي في العظمة التامة.

وما قطرة لا تبدو أعظم من البحر المحيط.

الله: ذات مستجمعة لجميع صفات الكمال والانسان يصل بالاقبال عليه غاية

المجد والكرامة والشرف والفضيلة ويوفق الى سدّ النواقص ورفع العيوب.

وإذا يحصل المرء على علاجه بهذه الوسيلة فعليه أن يدرك انه لم يتصل

بمفهوم وحقيقة هذا الاسم بل انه يكرر لفظاً عربياً لا أكثر.

١- الانفال ٨ : ٤٥.

٢- آل عمران ٣ : ١٩١.

٣- يونس ١٠ : ١٠.

إذا كان الارتباط حقيقياً فالعيوب ترتفع والنواقص تسدّ وظهرت في الانسان حينئذٍ آثار الفيض والصفات الالهية؛ كما هو الظامئ العطشان يرتوي عند شرب الماء والجائع يشبع عند تناول الطعام.

ان الناقص اذا اتصل بالحق اتصالاً حقيقياً انتفت نواقصه الفكرية والروحية والاخلاقية وتم له الفناء في الصفات والأسماء الكاملة.

معنى ﴿الرَّحْمَنُ﴾:

الرحمن: الرحمانية هي بسط أصل الوجود وهي عامة لكل الكائنات كل على قدر سعته. خلق الأقاليم السبعة واعطى كل كائن ما يليق.

واديم الأرض مائدة يأكل في هذا الخوان العدو والحبيب.

من فضله التراب أصبح رياضاً ومن فيضه اضاء العالمين.

وقال أحد العرفاء:

وحظ العبد من اسم الرحمن هو ان يرحم الغافل اذا سها وانزلق في وادي الذنب والعصيان فهو من لفظة يهديه بالوعظ والنصح ويغفر له كل معصية.

ان سعى العبد ما أمكن ذلك في ازالتها فانه سبحانه ينظر الى العصاة بنظرة الرحمة لا بعين القهر.

وقد جاء في الأخبار ان عيسى كان في جمع من حواريه؛ فصادقه في الطريق عاص من العصاة المشهورين بالفسق والفجور، فلما رأى عيسى عليه السلام اشتعلت في نفسه نار الحسرة فجرت مدامعه بماء الندم.

وفكر في صفاء مصاحبة عيسى وحواريه وما فيه من الظلمة والسوداوية، فتأوّه ولسان حاله يقول: يا رب يدي خالية وعيناي تفيضان وروحي متعبة وقلبي

يحترق في صدري، صحيفة أعمالِي سوداء وعمرِي مهدور لفته كرم منك يا الهي واعثر على الطريق.

ففكر في حاله وما بدده من سنوات العمر في طريق الأشرار، فماذا لو رافقت هؤلاء وهم أولياء خطوات فجعل من نفسه كلباً يتبعهم لاهتاً في آثارهم، فرآه أحد الحواريين وقد عرفه: يا روح الله ويا صاحب النفس الطاهرة ان هذا الرجل ذو قلب أسود ونفس ملوثة لا يستحق مرافقتنا فاطرده اني أخشى أن تصيبنا ذنوبه وآثامه بالشؤم، فوقف عيسى منكرأ ماذا يقول للرجل؟

فجاءه الوحي: يا روح الله قل لحواريك قد ذهب ما عملت هباءً بعجبك بنفسك وتزكيتك لها فهو مفلس بما صدر منه لقد محونا أعماله من ديوانه.

معنى ﴿الرَّحِيمِ﴾:

الرحمة الرحيمية حيث الهداية من رشحاتها فهي خاصة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات فهداهم الله؛ فهي خاصة بالسعداء وان كانت عامة لكل الكائنات لكنها لا تشمل الاتقياء نتيجة نقصهم وعدم استحقاقهم.

وتتجلى خصوصيتها بالمؤمنين يوم القيامة وقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^١.

وقد قيل للعبد ثلاث حالات:

- ١ - كان معدوماً محتاجاً الى الوجود.
- ٢ - انه قد أوجد ويحتاج الى أسباب البقاء.
- ٣ - يوم يحضر في الحشر فهو سيحتاج الى مغفرة الله تعالى.

وذكر هذه الحالات الثلاث مندرج في هذه الأسماء الثلاثة.

فيا عبد الله تفكر كيف جئت من طوايا العدم الى حيز الوجود وانظر في رحمانيته كيف هيأ أسباب الحياة فكن رحيمته حتى ترى كيف يلقي عليك لطفه ويسترك بستائر مغفرته!

تفسير آخر لـ «بسم الله الرحمن الرحيم»:

جاء في مفاتيح الغيب:

ان مداخل الوسوس الشيطانية في نفس الانسان ثلاثة: الشهوة والغضب والهوى. في الشهوة يتوكل الحرص والبخل ومن الغضب يتوكل الكبر والعجب وينجم عن الهوى الكفر والبدعة.

فأرسل الله سبحانه هذه الأسماء الثلاثة لسد هذه المداخل الثلاثة لمنع الانسان من سلوك طريق الغواية.

فكل من عرف ان الهه الله تمرّد على الهوى الذي هو معبود الضالين والآية الكريمة:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^١.

شاهدة على ذلك.

وكل من عرف انه الرحمن وان الملك له احترز من الغضب الذي هو منشأ الكبر والعجب وكل من عرف انه الرحيم لم يظلم نفسه بالتشبهه بالبهائم السائمة في صحاري الشهوات.

والتشرب بهذه الأسماء في سلوك الانسان لا يمحو الرذائل الأخلاقية فحسب بل يزيد من ثقل الحسنات في موازين الحق يوم القيامة يوم تمتثل الخلائق للحساب.

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال:

أمّتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان، فيقال: ألا ما أرجح موازين أمة محمد؟

فتقول الأنبياء: ان ابتداء كلامهم ثلاثة من أسماء الله لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة اخرى لرجحت حسناتهم^١.

وقد قال رسول الله ﷺ: لا يردّ دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم.

وجاء في أحد التفاسير:

أما الحكمة في الابتداء بـ«الله» ثمّ «الرحمن» ثمّ «الرحيم» فهو انه جاء وفقاً لأحوال العباد وهم على ثلاثة أحوال:

«وأولها الخلق ثمّ التربية والتنشئة ثمّ المغفرة».

وان «الله» اشارة الى الخلق في الابتداء بقدرته ثم الرحمن اشارة الى تنشئة الخلق في دوام النعم ثمّ الرحيم اشارة الى المغفرة في النهاية برحمته.

وبسم الله الرحمن الرحيم تتصدّر جميع سور القرآن الكريم ما عدا سورة التوبة والمسلمون مأمورون أن ينطقوا بها في استفتاح أعمالهم والنطق بها ووعي مفهومها هو من أجل أن يتوجه القلب ويقبل على الله معرضاً عن عما سوى الله سبحانه وهي بداية الاتصال بالخير المطلق.

وإداء ذلك مثمر وله حصيلة يتلقى الإنسان من ينابيع الخير الفيوضات والبركات.

مفهوم الشكر والمدح والحمد:

يقتصر الشكر في مفهومه على النعمة دون مقام صاحب النعمة والمدح الثناء على الممدوح لجماله وكماله من دون الاهتمام بنعمته وإحسانه الحمد مفهوم يجمع الاثنين معاً فهو يجمع بين الشكر والمدح.

إن الحمد هو الشكران على جميع النعم وعلى الإحسان بالنظر إلى مقامه الرفيع الذي هو جامع لجميع صفات الكمال.

وهنا فإن كل شكر ومدح سواء بيانه من خلال اللسان أو من خلال الوجود فهو مخصوص الذات الكاملة والذي هو مالك ومنشئ جميع العوالم.

فيجب أن يكون الحمد والثناء خاصاً للمبدئ وحده، الذي غمر الوجود كله بلطفه فقوى به كل عاجز وتنفس الروح به كل جامد وغني به كل فقير.

وقد أرسل سبحانه أنبياءه ورسله لاستثارة عقول عباده من أجل سلوك طريق الكمال وأنزل لهم الشرائع وأتم التنشئة التكوينية بالتربية التشريعية.

ولهذا جاءت في القرآن الكريم الذي هو ظهور تربية الحق وأرادته آيات التكوين والتشريع معاً فكل شيء إنما آثار قانون تربية رب العالمين.

التأمل في عوالم الوجود يوجب الحمد:

وبيان هذه الحقيقة فإن كلمة الحمد تتسع لتشمل كل الوجود المترامي الفسيح فكلما انكشفت أسرار العالم وارتقى عقل الإنسان واتضح له مجاهل الطبيعة بكل ما فيها كائنات، ازداد شعوره، الحمد تأججاً في أعماقه وتنامى

توجهه الى الرب حيث يصبح المفهوم عميقاً عمق الحياة واسعاً سعة الكون.
وليس هناك ما يعدل التأمل في الخلق وما فيه من أسرار طريقاً الى معرفة
عظمة الخالق في صفاته من حكمة وكمال ومجد وجمال وجلال.
ان الوجود والسير في عمق أسرارهِ وتفصيل تكوينهِ محراب عبادة ونبع
يتدفق بالحمد والثناء والتسبيح والتمجيد لله خالق الأرض والسماء واهب الوجود
نعمة الوجود.

عالم الكون:

تعلمنا الفيزياء الفلكية ان السماء صافية دون غيوم تشتمل على اعداد هائلة من
الشموس التي تشبه الجزينات الغازية تدور وتسير في جهات مختلفة.
تقول الفيزياء الفلكية ان مجرة النسر الواقع تنقض باتجاهنا بسرعة هائلة تبلغ
١٣ كم في الثانية فيما يبتعد عنا الدبران ٥٣ كم في الثانية فيما يجري السماك
الرامح بسرعة ١٣٥ كم في الثانية.

ولا تشدّ منظومتنا الشمسية عن هذا القدر، فالشمس تجري بسرعة ١٩ كم في
الثانية نحو تخوم مجرتنا (مجرة درب التبانة) وهي لا تجري وحدها اذ ترافقها
كل كواكب هذه المنظومة التي تدور حول نفسها في مدار يشبه الدولاب الدوار
في قوس هائل وبسرعة تبلغ ٢٤٠ كم في الثانية.

والعالم الذي نراه الآن انما هو تصوير عن الماضي فالشمس التي نتصور
رؤيتها الآن انما هي صورة لما كانت عليه قبل ثماني دقائق أما نجمة الشعري
اليمانية التي نراها فهي في الحقيقة صورة لما كانت عليه قبل تسع سنوات ذلك
ان ضوءها يستغرق كل هذا الوقت لكي يصل الى الأرض اما سديم السنبلة فاننا

نتطلع الى صورته لما كانت عليه قبل خمسمئة عام.

ويمكن للمرء في الليل في سماء صافية حيث القمر في المحاق أن يرى بالعين المجردة مجرة «المرأة المسلسلة» أشبه ما تكون بسحابة تشع بضوء واهن وهي تمثل اقصى ما يمكن للبصر أن يراه؛ ان هذه السحابة النجمية هي في الحقيقة صورة لما هي عليه قبل مليوني عام.

ومن خلال التسلكوبات المتطورة يمكن للانسان رؤية مجرات بعيدة جداً تمتد الى مسافات تبلغ المليارات من السنين الضوئية.

ولكي نتصور جلاله الكون نفترض ان نجمة الشعرى اليمانية قد انطفأت الآن فمتي نعرف ذلك؟ اننا لن نكتشف ما حدث الأ بعد تسع سنين أي بعد وصول آخر دفقة من اشعتها قبل الانطفاء! فما بالك بالنجوم التي تبعد عن الأرض ملايين السنين الضوئية؟

ان الانسان اذا ما استغرق في تأملاته في أسرار الوجود لا بد وان تبعث من أعماقه صرخة مدوية سبحان ربي العظيم. وليهتف:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾!

من خلال تقسيم السماء الى أقسام وتصوير كل قسم سيكون من الممكن تصوير القبة السماوية.

وقد قام معهد هارفارد اذ صور نسخة بأبعاد ٣٥ × ٤٥ م تشتمل على ألفي مجرة في حين أن الكون يشتمل على أكثر من مليوني ونصف المليون مجرة. وكم يبلغ عدد النجوم في كل مجرة؟ تمكن شاب من احصاء أكثر من

مليونين نجم ومن خلال المراصد تم التوصل الى أن عدد نجوم مجرتنا (درب التبانة) يربو على المليارات من النجوم وهي ليست بمنأى عما يجري على سطح الأرض.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾!

ولو قدر للإنسانية جمعاء أن تسهم بملياراتها البشرية في أن تعدّ الكائنات لما أمهلها العمر في أن تنجز جانباً من هذه المهمة فكيف لو أرادت أن تسير أعماق كل كائن لتستكشف أسراره؟

- ما هي العناصر التي تشكل الهواء؟

- لماذا تحترق الأجسام؟

- أشكال الماء كيف توجد؟

- ما هي عناصر الماء؟

- كيف يؤدي الماء وظائفه؟

- كيف ينفذ الماء داخل الهواء وكيف يخرج منه؟

- في ظاهرة الرياح ما هي عوامل هبوبها؟

- ما هي العوامل في تنوع الطقس والمناخ؟

- ما هو عمر الأرض؟

- ما هي القوى التي تدمر الأرض؟

- ما هي عوامل ظهور الجبال؟

- كيف يتشكل التراب؟

- ما هي مصادر الطاقة في الأرض؟

- أي المواد في الطبيعة تستخدم في البناء؟
 - ما هي الحرارة وكيف تقاس درجاتها؟
 - كيف تنتقل الحرارة من مكان الى آخر؟
 - كيفية ضبط الحرارة والسيطرة عليها.
 - ما هو النور أو الضوء؟
 - كيف نرى الأشياء؟
 - ما هي الألوان؟
 - كيف تنشأ الشحنة الساكنة؟
 - ما هي المغناطيسية؟
 - ما هو التيار الكهربائي؟
 - كيف ينشأ الصوت؟
 - ما هي شدة الصوت ولماذا تختلف الأصوات؟
 - كيف نسمع؟
 - كيف تنشأ الفصول الأربعة؟
 - ممّ تتكوّن النباتات والحيوانات؟
 - لماذا نتناول الطعام؟ لماذا نحتاج الغذاء؟
 - كيف نهضم الطعام؟
 - كيف يصل الغذاء الى انحاء الجسم؟
 - كيف تتولد الطاقة في الجسم؟
- والجواب عن كل سؤال من هذه الأسئلة يتطلب تأليف العديد من الكتب وعلى حدّ تعبير الفخر الرازي في تفسيره ان عدّ نعم الله عزوجل فقط لا يكفيه

ألف ألف كتاب وقد قال الفخر الرازي ذلك في القرن الخامس للهجرة؛ فكيف به اليوم وقد تفجرت ينابيع العلوم واتسعت ومازالت البشرية تحبو عند شواطئ المعرفة في محيطات لا نهاية لها.

ولو وعى الانسان هذه الحقيقة لهتف من أعماقه قائلاً بخشوع:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١

في عالم النبات:

هل تعلم لماذا يتغير لون ورق الأشجار في فصل الخريف؟ وهل تعلم كيف يقاس عمر الأشجار:

وكيف نصل العصارة من الجذور الى الأوراق في ذرى الأشجار؟

ولماذا تنعطف النباتات نحو الضوء؟

وهل تتألم الأشجار حقاً؟

ولماذا يتجه الجذر الى الأسفل والساق الى الأعلى عند ما تنمو البذرة داخل

الأرض؟

ولماذا تزداد خصوبة التربة بزراعة النباتات البقولية؟

عالم حيوانات:

هل تعلم كيف تغير الحرباء لونها؟

وهل تعلم شيئاً عن حياة الذباب؟

ولماذا يضع الدجاج عدداً كبيراً من البيض؟

ولماذا تقفز الحشرات الى ارتفاعات كبيرة؟
 وما هو شكل البيضة؟
 وما هو طعام اصغر الاسماك؟
 ومم تتكون خيوط العنكبوت؟
 وهل الدم حي؟
 وما هو السبات الشتوى لدى الحيوانات؟
 وهل تنام الحيوانات البحرية في الماء؟
 وكيف تتعرف الحشرات طريقها الى بيوتها ومساكنها؟
 وهل يمكن للحشرات أن تعرف الوقت؟
 وكيف تعرف الخفافيش طريقها في الظلام الدامس؟
 وكيف تتنفس الأسماك تحت الماء؟
 وما هي الفترة التي يقضيها الحوت تحت سطح الماء؟
 وكيف ترى الأفاعي ذات الاجراس في الظلام؟
 وكيف تضيء اليراعات والجحاحب في الليل؟
 وكيف تولد بعض الأسماك الطاقة الكهربائية؟
 وعلى أي عمق يمكن للأسماك أن تعيش تحت الماء؟

عالم انسان:

هذا الكائن الذي يبدو عالماً صغيراً محدوداً بينما العالم كله ينطوي في

داخله!

ادخل في عالم البصر وانظر كيف يرى الانسان الأشياء وسوف يفرق المرء

في شواطئ العيون ويضع في الدموع وبيته بين ملايين الأعصاب البصرية

وشبكاتها المعقدة وارتباطها بالمخ.

وان شئت فادخل في مغاور الاذن ومناهاتها وكيف تسمع الاصوات وتميزها والترددات وذبذباتها وقد قدرها الله تقديراً؛ فجعل الاذن البشرية تسمع مجالاً محدوداً من الترددات فهي لا تسمع ديب النمل ولا تسمع الذبابات الجبارة المدوية التي يطلقها الخفاش!

وتأمل كيف حفظ الله سبحانه الاذن من دخول الحشرات؟

وان شئت فواكب رحلة الخلق البشري وظهور الانسان من مصانع العرس في المبيضين وأسرار هجرة الحيوان المنوي الى عرس الحياة في عملية الاخصاب حيث يتم عقد القران بين المنوي والبويضة وانطلاق موكب العرس والنطفة حيث تنمو وتصبح علقه ومن العلقه الى المضغة الى أن تصل الى اللغز المحير فالخلايا المضغية المتماثلة تماماً كيف لها ان تفرق فيصبح بعضها خلايا عصبية وبعضها بشرة جلد وأجهزة متنوعة من قلب وأوعية ودم وعظام وعضلات وغدد، مشكلة جميعاً كائناً منسجماً واعياً!!

هذا اللغز المحير سوف يبقى كذلك الى الأبد وهكذا يظهر الجنين ثم يدق القلب أولى دقائق ويحصل على نحو يقيني تشخيص الحمل في الشهر الرابع. وكل اطوار الخلق الانساني هذه ومراحل النمو تتم داخل ظلمات ثلاث: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الاغشية الثلاثة: فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^١.

تكرار «الرحمن الرحيم» في سورة الحمد

ما يلاحظ هو تكرار ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في سورة الحمد التي تبدأ

بالبسمة وتكرارها لطف خاص من الرب تبارك وتعالى ما يرمز الى ان الله سبحانه رحمن رحيم قبل أن يكون قهاراً جباراً.

فالربوبية تشمل على الرحمة والحنان بالدرجة الاولى وان الله سبحانه خلق العالم وخلق الانسان بالحب واللطف والرحمة واذن فان الشكر والحمد لله سبحانه هو نداء الفطرة الانسانية ازاء رحمانية الخالق ورحيميته.

مالك يوم الجزاء:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾!

الانسان ينطوي على جوهره الحرية، الحرية في النوايا والعمل ومن هنا تكتسب النية قيمتها وكذلك العمل.

ومن خلال الحرية هذه اذا انسجمت النية والعمل مع مقتضى القوانين الالهية فانه سيرتب على ذلك ثواب عظيم.

وان جاءت النية وجاء العمل على اساس من الأهواء النفسية والوساوس الشيطانية فانه سيرتب على ذلك عذاب أليم.

وقد جعل الله عزوجل الثواب والعقاب في يوم آخر هو يوم الجزاء.

وما يزرعه الانسان في هذا العالم سيحصده هناك في العالم الآخر ان كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر.

من أجل هذا قال رسول الله ﷺ: « الدنيا مزرعة الآخرة ».

ولكن ما هو المقصود بـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟ أليس الله يملك الأيام

جميعاً وهل يقتضي الجزاء على الأعمال في عالم آخر؟ أو لا يحاسب الانسان في كل لحظة من خلال وجدانه وضميره على ما يقوم به بفعل برد فعل في باطنه وعالمه الداخلي؟

يتوجب القول: نعم ان الله هو مالك جميع الأيام ومالك جميع اللحظات، غير انه سبحانه وبإذن منه سمح لغير بالتملك والملك، حكمة منه واختياراً لعباده وفي يوم الآخرة لا مالك ولا ملك الا هو تبارك وتعالى.

وفي عالم الدنيا ثمة عقاب وثواب مصغر يلاحظه الانسان في حياته بوضوح وهو عند ما يقوم المرء بعمل ايجابي انساني وعمل من أعمال الخير فان نبعا من الفرح يتدفق في أعماقه فيغمره شعور بالسعادة والرضا.

وفي مقابل ذلك عند ما يقوم الانسان بارتكاب عمل سلبي لا انساني فانه يشعر بوقع سياط تلهبه وتؤلمه واحساس بالندم يجتاحه لقد أودع الله سبحانه في أعماق الانسان قانوناً اخلاقياً يحاسبه ويكافئه ويعاقبه من خلال الضمير والوجدان.

غير ان الحساب والثواب والعقاب هو في يوم القيامة، حيث يثيب الله الأنبياء والأولياء ويعاقب الطواغيت الأشقياء قد اعد الجنة للسعداء والنار للتعساء لأنه سبحانه:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^١.

ويشتمل القرآن الكريم على ما يناهز الألف آية حول يوم القيامة والجزاء.

العبودية لله وحده:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^٢.

١- الحمد ١: ٤.

٢- الحمد ١: ٥.

العبادة والعبودية لله سبحانه مفهوم واسع جداً تنضوي فيه مفاهيم الخضوع والتواضع ازاء الحق والحرية الحقيقية والانعقاد من أسر الهوى والطاغوت الباطني والظاهري.

وعند ما يعي الانسان ببركة التفكير بالربوبية والمالكية والرحمة والمحبة المطلقة لله مدبر الأمر وخالق الوجود والبارئ المصور، فانه لن يستسلم ولن يسلم لغيره سبحانه.

وعند ما يدرك ويعي انه لا وجود مستقل الا لله سبحانه في عالم الوجود. عند ما يستشعر المعنى العميق لهذه الحقيقة الكبرى يدرك ان كل شيء فقير ومحتاج لله الغني المطلق.

ولأدرك انه لا يستحق العبادة الا هو سبحانه ولهتف من أعماقه « اياك نعبد » وحينئذ ينقاد الى شريعة الله طوعاً هذه الشريعة التي تتضمن أوامره ونواهيه تبارك وتعالى والتي تقوده في النهاية الى السعادة.

وعند ما يسلك الانسان الطريق الى الله فانه بحاجة الى أن يستعين بالله فهو وحده الذي يمدّه بالقوة والقدرة على مواصلة السير.

الهداية:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^١.

ومعنى الهداية الدليل الذي يقود الانسان من خلال المحبة والحنان والرحمة الى أمله المنشود وأمانيه في عالم الخلود.

والهداية أنواع:

- الهداية الطبيعية التكوينية التي تشمل جميع الكائنات في الوجود واجزاء الصرح الكوني.

- الهداية الغريزية الاحساسية أو الشعورية والتي تختص بالكائنات الحية أو التي ذات النفس.

- الهداية الوجدانية العقلية الاحساسية الدينية التي تشمل الناس وهداية الدين هي أكمل وأتم أنواع الهداية للانسان حيث تقوده الى السعادة الخالدة في الآخرة.

معنى الصراط:

الصراط هو طريق الخير العام واطافة المستقيم للصراط ينطوي على أسرار عميقة. والصراط المستقيم يقابل طريق الاعوجاج الذي يؤدي بالانسان الى خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

والصراط المستقيم في الحقيقة عبارة عن طريق الدين وطريق الحق والعدل وشريعة الله وأحكام القرآن والسنة الشريفة.

وهو طريق ليس من السهولة الاستمرار فيه إلا بتوفيق من الله ولهذا جاء في القرآن في سورة الحمد قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن الانسان خلال مسيرته الدنيوية يواجه باستمرار تحديات الضياع والضلال.

فمن نعم الله سبحانه هو الهداية لهذا الصراط.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾!

وهم الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء الذين سلكوا طريق الخير وقاموا

بمهامهم في هداية عباد الله الى الطاعة والتسليم لله عزوجل.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^١.

﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^٢.

المغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق وخالفوه وسلكوا طريقاً غير طريق الله عناداً ولجاجة.

وقد جاء في التفاسير ان المصداق الكامل لهؤلاء هم اليهود الذين يدركون بأنهم يسلكون الطريق الخاطيء وارتكبوا المفساد السياسية والاخلاقية والاجتماعية والعائلية وما يقوم به الصهاينة الغاصبون المعتدون يعكس بجلاء انحرافهم وعدائهم للحق والخير والانسانية.

من هم الضالون؟

﴿وَالضَّالِّينَ﴾^٣.

وهم الضائعون الذين يتصورون ان طريق الله حسب آرائهم ويفهمون الدين على غير حقيقته ويظنون الباطل حقاً والحق باطلاً والنصارى هم المصدر البارز للضالين.

١- النساء: ٤: ٦٩.

٢- الحمد: ١: ٧.

٣- الحمد: ١: ٧.

ولقد اغترَّ هؤلاء بكشوفاتهم العلمية ونتاجهم الصناعي خاصة في ظل حضارتهم المعاصرة؛ فهم يستندون في كلِّ شيء الى المعطيات العلمية المادية؛ فهم يؤلهون العلم حتى في النظريات التي لم تثبت بعد.

وفي ضوء معطيات العلم وبعضها خاطئ يقررون الطريق الذي يسلكون. والمغصوب عليهم والضالون لا يقتصر مفهومهم على اليهود والنصارى بل يشمل مفهومهم أيضاً كل من ابتعد عن الصراط المستقيم والشريعة الالهية بدرجة واخرى فأى انسان يحمل من الصفات ما يحملون ويتخلق بأخلاقهم فهو منهم. وعلامة الاتصال بالصلاة الحقيقية هي ظهور آثار وصفات الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾: آدم لنا توفيقك الذي أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا. وقال الامام الصادق عليه السلام في توضيح ذلك: قوله عز وجل ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ نقول ارشدنا للصراط المستقيم أي للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ الى جنتك والمانع أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك^١. وعن الامام زين العابدين عليه السلام: نحن (الأئمة) الصراط المستقيم^٢.

فالأئمة عليهم السلام هم الميزان في معرفة الحق وطريقهم هو الطريق الى الله فهم

١ - معانى الأخبار: ٣٣، باب معنى الصراط؛ بحار الأنوار: ٢٥٢/٨٩، باب ٢٩.

٢ - عيون اخبار الرضا عليه السلام: ٣٠٥/١، باب ٢٨، حديث ٦٥؛ وسائل الشيعة: ٤٩/٢٧، باب ٦، حديث

٣٣١٧٩.

٣ - بحار الأنوار: ١٢/٢٤، باب ٢٤، حديث ٥.

الذين يهدون الى صراط الله المستقيم.
ولو وعى المصلّي معاني سورة الحمد لكانت له فيها معراجاً الى أسمائه
سبحانه ولكانت صلاته سفر الى الله تعالى.
فاذا ادى المصلّي شروط الصلاة ومقدماتها وأدرك بوعي تكبيرة الاحرام
وقرأ سورة الحمد حق تلاوتها وقرأ سورة اخرى؛ وأفضل السور بعد الحمد
في الصلاة سورة الاخلاص.

حقيقة العبودية:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^١.

حقيقة العبادة تكمن في اظهار العبودية والتعبير عنها بخضوع الجوارح
وخشوع الجوانح واعلان الشكر على ما انعم الله سبحانه.
والله سبحانه هو الخالق البارئ المنعم ولا يستحق العبادة الا هو ولا تجوز
العبادة لغيره لأنه لا اله الا هو الخالق المنعم الذي يقصده عباده ولأنه لا منعم
الا هو ولا نافع الا هو ولا ضار الا هو سبحانه.
وعليه يتوجب عبادة المقدس المحبوب الذي وهب نعمة الوجود لجميع
الكائنات وهو الذي ينشئها ويربيها ويمنحها الشعور والادراك وهو وحده لا
شريك له في كل ما يفعل ويشاء لا حدود لعلمه ولا حدود لقدرته وارادته
وحكمته هو الظاهر والباطن وهو الأول والآخر وهو الله.
فاذا ادركت ايها الانسان هذه الحقيقة وانشرح صدرك للنور اشتعلت في

أعماقك شعلة الحب الفطري فتولد الارادة للعبادة باخلاص وشوق وفاضت
نفسك بالعشق الالهي.

وقد ورد في بعض الكتب أن أحد الحواريين قال: لو تحدثت بلسان البشر
والملائكة ولم يكن في قلبي حب لكنت قطعة من نحاس سرعان ما تصدأ ولو
كنت اعلم الغيب مطلقاً على جميع أسرار العلوم وكان لي من الايمان ما يزعزع
الجبال ولم يكن في قلبي حب لم أكن شيئاً.

ولو انفقت جميع أموالني؛ ونفسي تحرق التسليم ولم يكن عندي حب ما
نفعني شيء.

الحب يوكد الحنان الحب لا يعرف الحسد الحب لا ينسجم مع التفاخر ولا
يلوث نفسه بالحقد والشر.

الحب لا يرتضي الظلم الحب، يهب الصبر والتحمل ويوكد الطاقة الروحية
التي لا تعرف النفاذ.

والعارفون ورجال الحق والحاضرون دوماً في مهرجان الفضيلة والمحتفون
بالحقيقة في جميع الامم في قلوبهم شرارة من نيران هذا الحب الخالد العظيم قد
نهلوا قطرة واحدة من كأس العشق الأبدي فاذا هم سكرى في العالمين.

وهذا هو العشق الذي اضطرم في نفوس الأنبياء والمرسلين وتجلى نوره في
قلوب المؤمنين المخلصين.

ولما ضرب العشق خيمته في روعي اذا بهامتي تلامس العرش.

ذاهل عن الناس والعالمين ذاكر لك ايها الحبيب الحنان.

انهل من الترجسين لتسكر الى الأبد نفسي.

عشق ووفاء وحنان هي أركان روحي والعناصر.
 هائم قلبي ينشد عنوان الحبيب.
 جسدي ليس الأقبضة من طين غير ان روحي تزخر بمروج من الورد.
 رحماك لعاشق ينتحب خاضع عاجز أنا.
 بكت السماء لما رأت عيني تبكيان بدل الدموع دماً.
 قلبي ودّع الى الأبد هذا العالم بعد أن تعلق بالحبيب.

الله الواحد:

ال ﴿أَحَدٌ﴾ تعني الواحد المطلق والحقيقي الذي لا يقبل التعدد والكثرة.
 يقول الامام علي عليه السلام أمير الموحدين:
 «واحدٌ لا بعددٍ»^١.

هو واحد لكن لا بعدد لأن الواحد هو أكثر من النصف وأقل من الاثنين اما
 الله سبحانه فهو الأحد الذي لا يعني عدداً ولا شريك له أبداً.
 و ﴿الله احد﴾ يشتمل على جميع الصفات الثبوتية والسلبية وكلمة «الله»
 تدلّ على جميع الصفات الثبوتية والكمالية من علم وقدرة وحياة وادراك وتديير.
 وكلمة «احد» تنزيه له من الصفات السلبية ومن كل نقص فهو ليس بجسم
 ولا مركب ولا حادث ولا يحلّ في شيء ولا يحتاج الى شيء وليس له نظير ولا
 شريك ولا ضد ولا ند الذي لا يحتاج الى شيء.

﴿الله الصّمد﴾^٢.

١ - نهج البلاغة، خطبه ١٨٥؛ بحار الأنوار: ٢٦١/٤، باب ٤، حديث ٩.

٢ - الاخلاص ١١٢: ٢.

العظيم الذي يقصده المحتاجون ويتوكل عليه الجميع ويستند اليه الكل اذ لا يمكن بدونه لأي كائن أن يقوم بشيء.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: الله عزوجل هو السيد الصمد الذي جمع الخلق من الجن والانس اليه بصمدون في الحوائج واليه يلجؤون عند الشدائد ومنه يرجون الرضاء ودوام النعماء.

فهو واجب الوجود الغني المطلق الذي تحتاج جميع الكائنات اليه في جميع الأمور وهو مبدأ الكل واليه المعاد وهو الملاذ والكهف والملجأ وهو القادر وهو الوهاب الذي لا تنقصه الهبات وهو الذي أهل للعبادة من دون حاجة عنده اليها.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^١.

ولو كان له ولد لكان له حد فهو اذن محدود ولا معنى لأزليته حينئذٍ. وهذه الآية ردّ على جميع المشركين وأهل الكتاب الذين من جهلهم وضلالهم جعلوا له ولداً سبحانه وتعالى عما يصفون.

وقد ظن المشركون ان الملائكة اناث وقالوا بنات الله وقالت اليهود عزيز ابن الله! وقالت النصارى عيسى ابن الله!

وقد ورد في التفسير عن أهل البيت عليهم السلام ان سورة التوحيد نسبة الرب تبارك وتعالى. ولما نزلت هذه السورة في مكة بهت النصارى واليهود والذين أشركوا.

ليس له كفو:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^٢.

١ - الاخلاص ١١٢: ٣.

٢ - الاخلاص ١١٢: ٤.

ليس له سبحانه كفو لأن جميع الكائنات وفي جميع أمورها محدودة وهو سبحانه المطلق اللانهائي وكل الكائنات تستند اليه في حركتها وفي وجودها وهو سبحانه. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^١.
وهذا ما سمح به الوقت في ايجاز آداب ومقدمات وشروط سورة الحمد.

عقوبة تارك الصلاة:

نختتم هذا الفصل بالحديث النبوي الشريف حول تارك الصلاة الذي هو أشقى الناس في الدنيا والآخرة.

عن سيدة النساء فاطمة بنت سيد الأنبياء صلوات الله عليها وعلى أبيها وعلى بعلمها وعلى أبنائها الأوصياء انها سألت أباهم محمداً صلى الله عليه وآله فقال:

- يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟

قال صلى الله عليه وآله:

- يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ست منها في دار الدنيا وثلاث عند موته وثلاث في قبره وثلاث في القيامة اذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا:

- فالاولى يرفع الله البركة من عمره.

- ويرفع الله البركة من رزقه.

- ويمحو الله عزوجل سيماء الصالحين من وجهه.

- وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه.

- ولا يرتفع دعاؤه الى السماء.
 - والسادسة، ليس له حظ في دعاء الصالحين.
 - وأما اللواتي تصيبه عند موته:
 - فأولاهن انه يموت ذليلاً.
 - والثانية يموت جائعاً.
 - والثالثة يموت عطشاناً فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.
 - وأما اللواتي تصيبه في قبره:
 - فأولاهن يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره.
 - والثانية يضيق عليه في قبره.
 - والثالثة تكون الظلمة في قبره.
 - وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة اذا خرج من قبره:
 - فأولاهن أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون اليه.
 - والثانية يحاسب حساباً شديداً.
 - والثالثة لا ينظر الله اليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم!
- وقال ﷺ:

« لا حظَّ في الأءسلام لمن ترك الصلاة »^٢.

وقال ﷺ أيضاً:

١ - فلاح السائل: ٢٢؛ بحار الأنوار: ٢١/٨٠، باب ٦، حديث ٣٩؛ مستدرک الوسائل: ٢٣/٣، باب ٦، حديث ٢٩٢٢.

٢ - دعائم الإسلام: ١٣٣/١؛ بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٩، باب ١، حديث ٥٧.

«إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ»^١.

يا حبيب جميع الكائنات يا رب. يا ايها الحكيم العادل.
 وفقنا لأن ندرك الحقيقة وأن يشرق نورها على مرايا القلوب.
 يا رب نسألك ونتضرع اليك ونحن عبادك نجثو عند بابك يا كريم.
 يا أكرم الأكرمين.

أمين رب العالمين.

المحتويات

الباب (٣١) في آداب الشروع بالصلاة

- عظمة الصلاة:.....٩
- الصلاة في مرآة التاريخ:.....١١
- سَيِّدُنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١١
- سَيِّدُنَا اِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٣
- سَيِّدُنَا نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٤
- سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٤
- سَيِّدُنَا اِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٥
- سَيِّدُنَا اِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والصلاة:.....١٥
- سَيِّدُنَا شُعَيْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٦
- سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٧
- سَيِّدُنَا لِقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٨
- سَيِّدُنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٨
- سَيِّدُنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٩
- سَيِّدُنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ والصلاة:.....١٩

- ١٩..... سيدنا عيسى عليه السلام والصلاة:
- ٢٠..... سيدنا يونس عليه السلام و الصلاة:
- ٢١..... الصلاة في مرآة القرآن:.....
- ٢٣..... معنى الاقامة:.....
- ٢٦..... الانسان، الكائن الأفضل:.....
- ٢٨..... مراتب الملك و المملوكوت:.....
- ٣٠..... التمسك بالكتاب و اقامة الصلاة:.....
- ٣٣..... الصلاة في مرآة الروايات:.....
- ٣٤..... الصلاة والأطفال:.....
- ٣٦..... السماوات السبع:.....
- ٣٨..... الاستخفاف بالصلاة:.....
- ٣٩..... حرمة الاستخفاف بالصلاة في الروايات:.....
- ٤٢..... حرمة تضييع الصلاة ووجوب المحافظة عليها:.....
- ٤٤..... الصلاة أفضل أحكام الله:.....
- ٤٥..... حرمة تضييع الصلاة في الروايات:.....
- ٤٩..... أحب الأعمال:.....
- ٥٠..... لباس التقوى:.....
- ٥٤..... المناجاة في الصلاة:.....
- ٥٦..... آداب الصلاة وأوقاتها:.....
- ٥٧..... الصلاة أحب الأعمال:.....
- ٥٩..... منزلة المصلين:.....
- ٦١..... الالتفات الى حقيقة الصلاة:.....

- ٦٢..... قيمة المصلين في الأحاديث القدسيّة: ٦٢
- ٦٢..... زكريا بن آدم و احترامه: ٦٢
- ٦٣..... قيمة المصلي: ٦٣
- ٦٥..... الصلاة التي يقبلها الحق: ٦٥
- ٦٧..... حقيقة الامر الالهي: ٦٧
- ٦٨..... الأمر الالهي بالصلاة: ٦٨
- ٦٩..... الصلاة المقبولة: ٦٩
- ٧٠..... المصلون الحقيقيون: ٧٠
- ٧٢..... الصلاة المردودة: ٧٢
- ٧٤..... الصلاة في حالة الكسل: ٧٤
- ٧٥..... الخشوع في الصلاة: ٧٥
- ٧٧..... مراتب الخشوع: ٧٧
- ٧٩..... صورة تارك الصلاة: ٧٩
- ٨٠..... الوضع المؤسف لتارك الصلاة: ٨٠
- ٨٣..... موانع الصلاة: ٨٣
- ٨٤..... ١- الشراب وتناول المسكرات: ٨٤
- ٨٧..... شرب الخمر في الروايات: ٨٧
- ٨٩..... شرب الخمر أسوأ من السرقة والزنا: ٨٩
- ٩٠..... ٢- القمار: ٩٠
- ٩١..... الشطرنج في حديث الامام الصادق عليه السلام: ٩١
- ٩٢..... ٣- الوثنية وعبادة الأصنام: ٩٢
- ٩٤..... عبادة الأهواء: ٩٤

- ٩٦..... ٤ - الرياء:
- ٩٧..... الصلاة من أرباح التجارات:
- ٩٨..... مقدمة حول الآيات الشريفة:
- ٩٩..... آثار الصلاة:
- ١٠٠..... الصلاة ظهير الانسان:
- ١٠٢..... صلاة الاستسقاء:
- ١٠٤..... طريق الصلاة ينتهي عند أعظم حقيقة:
- ١٠٧..... أربعون يوماً من الصلاة:
- ١١٠..... ومنافع أخرى:
- ١١١..... الصلاة، علاج للنرجسية:
- ١١٣..... الامام زين العابدين عليه السلام في مرآة الصلاة:
- ١١٦..... أويس القرني في مرآة العبادة:
- ١١٩..... في صفين:
- ١٢٠..... الآداب الظاهرية والباطنية للصلاة:
- ١٢١..... الآداب الباطنية للصلاة:
- ١٢٢..... المراحل الباطنية للصلاة:
- ١٢٢..... ١ - حضور القلب:
- ١٢٤..... السفر المادي والسفر المعنوي:
- ١٢٨..... ٢ - التفهم:
- ١٢٨..... ٣ - التعظيم:
- ١٢٩..... ٤ - الهيبة:
- ١٣٠..... ٥ - الأمل والرجاء:

١٣١	٦ - الحياء والخجل :
١٣٤	الصلاة في رؤى العارفين:
١٣٤	معاني الشريعة والطريقة والحقيقة:
١٣٦	المراحل الثلاث في القرآن الكريم:
١٣٧	الصلاة في مرآة الشريعة:
١٣٩	الصلاة في مرآة الطريقة:
١٤٠	النية والاخلاص في الصلاة:
١٤٣	حقيقة أفعال صلاة أهل الطريقة:
١٤٥	الصلاة في مرآة الحقيقة:
١٤٦	الصلاة بين الحق والعبد:
١٤٧	حقيقة الصلاة لدى أهل الحقيقة:
١٤٩	اقتداء الكائنات بصلاة أهل الحقيقة:
١٤٩	الحالات المعنوية للأخوند الكاشي:
١٥١	الركوع و السجود الحقيقي:
١٥٣	القبلة:
١٥٤	حكاية:
١٥٧	الاستقبال في كلام الشهيد ثاني:
١٦٠	حالة القلب:
١٦٢	قدما الخوف والرجاء:
١٦٢	كيفية استحصال حالة الخوف:
١٦٤	حكاية الخوف:
١٧١	حقيقة تكبيرة الاحرام:

- ١٧٦ ظاهر و باطن تكبيره الاحرام:
- ١٧٨ تفسير تكبيره الاحرام:
- ١٧٩ اللطائف التوحيديه في تكبيره الاحرام:
- ١٨٦ العبادة حاجتنا نحن البشر:
- ١٨٦ حكاية في طاعة الحق:

الباب (١٤) في آداب قراءة القرآن الكريم

- ١٩٦ في رحاب القرآن الكريم:
- ١٩٨ كليات من قضايا القرآن:
- ٢٠٦ القرآن الكريم، حبل الله المتين:
- ٢٠٨ الهدف من نزول القرآن:
- ٢١١ أدب التلاوة والقراءة:
- ٢١٤ واجباتنا ازاء القرآن الكريم:
- ٢١٤ ١ - تعلم القرآن الكريم:
- ٢١٦ ٢ - فهم القرآن الكريم:
- ٢١٧ ٣ - العمل بالقرآن الكريم:
- ٢١٨ القرآن، يشتمل على أفضل النظم:
- ٢١٨ (نيل السعادة هدف الحياة الانسانية):
- ٢١٩ (النشاط الانساني المبرمج):
- ٢٢١ (برنامج الخلق أفضل برنامج للحياه):
- ٢٢٢ (ان الخلق يقود الانسان باتجاه السعادة).

٢٢٥ القرآن الكريم يشتمل على برنامج الحياة:
٢٢٧ (الجدور الأساسية للإسلام في الرؤية القرآنية):
٢٣٣ القرآن في مرآة العرفان:
٢٣٥ (خصائص القرآن الكريم):
٢٣٨ (حقيقة حروف القرآن):
٢٣٩ (أسماء القرآن في كتاب الله):
٢٤٠ القرآن، نبع السعادة في الدنيا والآخرة:
٢٤١ عطاء القرآن الثر:
٢٤٢ آداب القراءة:
٢٤٥ شروط القراءة:
٢٤٥ ١ - خشوع القلب في القراءة:
٢٤٦ ٢ - الفراغ في القراءة:
٢٤٦ ٣ - مكان القراءة:
٢٤٧ فرار الشيطان من القلب الخاشع:
٢٤٩ تصفية القلب:
٢٥٠ حواس القلب:
٢٥١ اطوار القلب:
٢٥٤ سدّ الأبواب على دخول الشيطان:
٢٥٥ طرق نفوذ الشيطان:
٢٥٨ فوائد الاستعاذة:
٢٥٩ الاستعاذة في كلام العارفين:
٢٦٠ حقيقة الاستعاذة:

- ٢٦٣ الشيطان في كلام صدر المتألهين:
- ٢٦٣ الاستعاذة، لدى الفخر الرازي:
- ٢٦٥ الاستعاذة في كلام الكاشفي:
- ٢٦٨ الشيطان اخطر الموانع في الوصول الى الكمال:
- ٢٦٩ (سبب العداوة مع الشيطان):
- ٢٧١ (كيفية محاربة الشيطان):
- ٢٧٢ (خواطر الانسان):
- ٢٧٧ (حيل الشيطان ومكره):
- ٢٧٩ نقطة أخرى في الاستعاذة:
- ٢٨١ فراغ الخاطر في قراءة القرآن:
- ٢٨٤ الترتيل في القراءة:
- ٢٨٥ التفكر عند قراءة القرآن:
- ٢٨٥ القرآن، سفرة الاحسان:
- ٢٨٧ سورة الحمد، مركز البركات الالهية:
- ٢٨٩ تفسير آخر لسورة الحمد:
- ٢٩١ أسباب ذكر بسم الله في مطلق سور القرآن:
- ٢٩٥ معنى و فائدة بسم الله:
- ٢٩٧ معنى حروف بسم الله:
- ٢٩٧ الاسم الأعظم:
- ٢٩٩ معنى ﴿الرَّحْمَنِ﴾:
- ٣٠٠ معنى ﴿الرَّحِيمِ﴾:
- ٣٠١ تفسير آخر لـ«بسم الله الرحمن الرحيم»:

٣٠٢	وجاء في أحد التفاسير:
٣٠٣	مفهوم الشكر والمدح والحمد:
٣٠٣	التأمل في عوالم الوجود يوجب الحمد:
٣٠٤	عالم الكون:
٣٠٨	في عالم النبات:
٣٠٨	عالم حيوانات:
٣٠٩	عالم انسان:
٣١٠	تكرار «الرحمن الرحيم» في سورة الحمد
٣١١	مالك يوم الجزاء:
٣١٢	العبودية لله وحده:
٣١٣	الهداية:
٣١٤	معنى الصراط:
٣١٥	﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:
٣١٧	حقيقة العبودية:
٣١٩	الله الواحد:
٣٢٠	ليس له كفو:
٣٢١	عقوبة تارك الصلاة:
٣٢٥	المحتويات: